الزبير

مع نبذة تاريخية عن نجد والكويت

تأليف

يوسف حمد البسّام

دار الحكمة

لندن

* **الزبير قبل خمسين عاماً**
* **تأليف**: يوسف حمد البسام
* **الطبعة**: الأولى
* **الناشر**: دار الحكمة - لندن
* **الإخراج الفني**: المتحدة للطباعة والنشر وتكنولوجيا المعلومات

ISBN: 9781784810153

DAR ALHIKMA
Publishing and Distribution

دار الحكمة
للنشر والتوزيع

88 Chalton Street, London NW1 1HJ
Tel.: +44 (0) 20 7383 4037 Fax: +44 (0) 20 7383 0116
E-Mail: hikma_uk@yahoo.co.uk Website: www.hikma.co.uk

الزبير

قبل خمسين عامًا

مع نبذة تاريخية عن نجد والكويت

تأليف
يوسف حمد البسام

١٩٧١

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) الحمد لله رب العالمين (٢) الرحمن الرحيم (٣)
ملك يوم الدين (٤) إياك نعبد وإياك نستعين (٥)
اهدنا الصراط المستقيم (٦) صراط الذين
أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم
ولا الضالين (٧) ...... آمين.

صدق الله العظيم

الإهداء

إلى كافة أبناء الزبير الكرام

وإلى كل الذين وردت أسماؤهم في هذا الكتاب أقدم كتابي هذا

المؤلف

كلمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد: فقد طلب مني بعض الإخوان أن أضع تاريخاً مختصرا عن الزبير منذ تأسيسها حتى ما قبل خمسين سنة فجمعت مجموعة من المصادر المدرجة عناوينها في آخر هذا الكتاب مع أسماء مؤلفيها. وأخذت منها هذه النبذة المختصرة عن تاريخ الزبير وأطلقت عليها اسم (الزبير قبل خمسين عاماً) لأنه ليس تاريخاً شاملاً كاملاً حتى يصح لي أن أسميه تاريخ الزبير. كما أني أعتذر إذا كان هناك نقص أو أخطاء في هذا الكتاب لأن دوري كما ذكرت هو جمع المعلومات من المصادر وتبويبها. وأرجو من القراء الكرام موافاتنا بكل ما لديهم من الأخبار الصحيحة والمعلومات المنقولة من أوثق المصادر التاريخية لتفادي النقص في الطبعة الثانية إن شاء الله.

وأضفت إلى ذلك نبذة تاريخية عن نجد والكويت إكمالاً للفائدة. وأخيراً أشكر كلاً من فضيلة الشيخ عبد الله بن محمد الرابح والأخوان عبد الله بن محمد الزيد وعبد العزيز بن سعود البابطين على جهودهم التي قدموها حتى أصبح هذا الكتاب في حيز الوجود.

الزبير ٥ ربيع الثاني ١٣٩١هـ

الموافق ٢٩ مارس ١٩٧١ م

المؤلف

يوسف حمد البسام

نسب المؤلف

ينتسب البسام إلى الوهبة. والوهبة من بنى تميم. وبني تميم من القبائل العربية العدنانية.

لقد كانت قبيلة بني تميم تسكن في شمال نجد. قرب قفار البلدة المعروفة قرب حائل. وفي وقت ما ولسبب من الأسباب تركت بنو تميم حياة البداوة وسكنت بلدة أشيقر بالوشم.

أما أسرة البسام. فإنها تنتسب إلى بسام بن عقبة بن ريس بن زاخر بن علوي بن وهيب بن قاسم. ووهيب بن قاسم هو الجد الجامع إلى جميع الوهبة.

وكان لبسام بن عقبة ثلاثة أولاد هم عساكر، وعبد الله، ومنيف ولعساكر ولد اسمه بسام على اسم أبيه ولمنيف أيضاً ولد اسمه بسام على اسم أبيه.

أما عبد الله فله ولد اسمه أحمد وقد كان أحمد هذا عالماً وفقيهاً. نزح من بلدة أشيقر سنة ١٠١٠هـ واستوطن بلدة (ملهم) حيث تولى القضاء فيها. ثم إنه لم ترق له الإقامة في ملهم. فتركها في نفس السنة وتوجه إلى بلدة (القصب) وتولى القضاء فيها بناءً على طلب من أهلها. وفي سنة ١٠١٥هـ ارتحل من القصب وسكن بلدة (العيينه) وتوفي فيها سنة ١٠٤٠هـ عن ولد اسمه عبد الله على اسم أبيه وتوفي عبد الله عن ولد اسمه محمد وتوفي محمد عن ولد اسمه إبراهيم. ثم إن إبراهيم ارتحل من العيينة وسكن بلدة (حرمه) في سدير (لعله سنة ١١٦٠هـ) وفي سنة ١١٧٩هـ ارتحل ابنه حمد من حرمه وسكن بلدة (عنيزة) في القصيم. وتوفي فيها سنة ١٢٠٤هـ عن ستة أولاد هم محمد، وسليمان، وعبد القادر، وإبراهيم، وعبد الرحمن، وعبد العزيز.

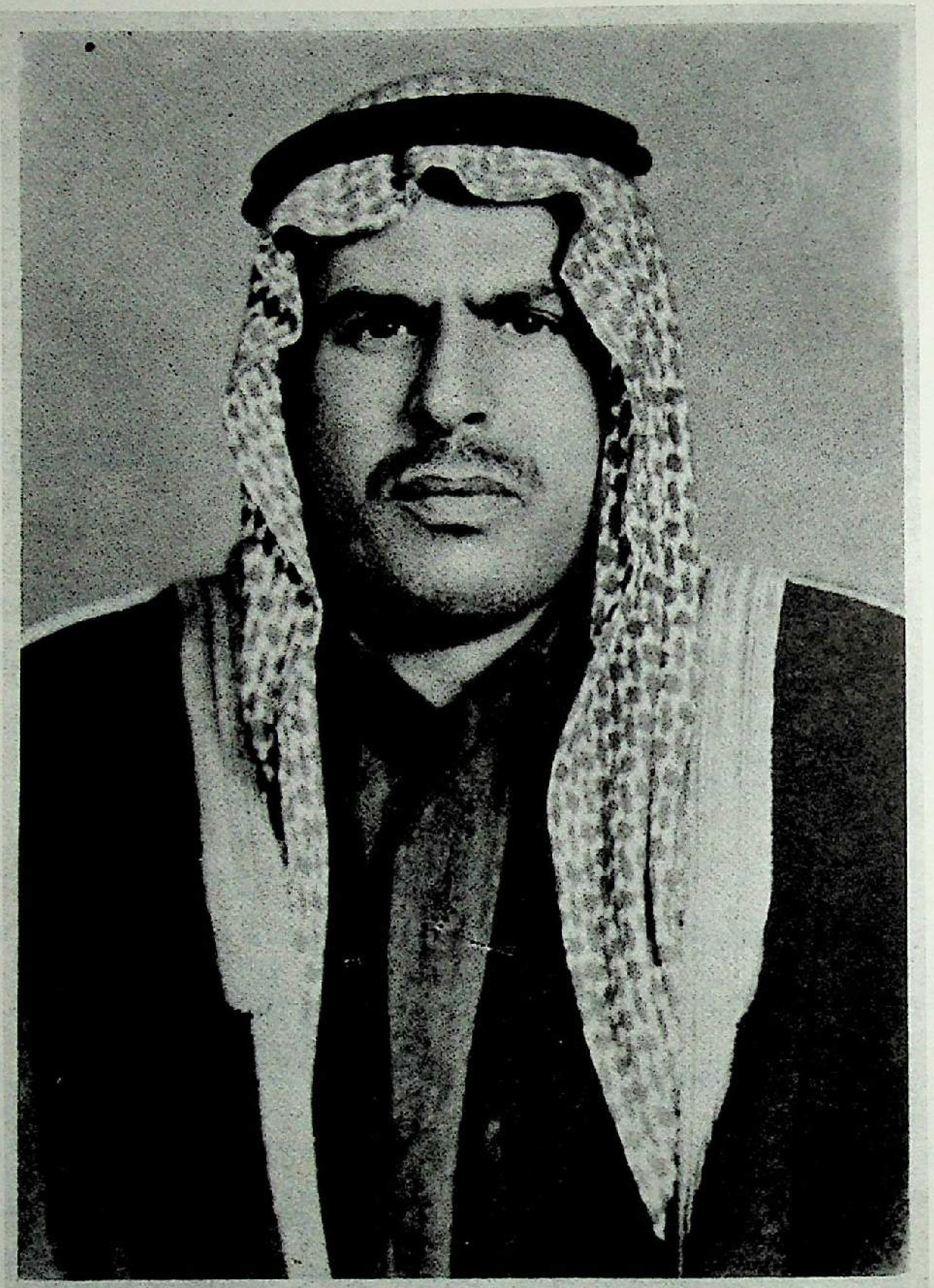
توفي عبد الرحمن في عنيزة سنة ١٢٦١هـ عن أربعة أولاد. هم محمد، إبراهيم، عبد المحسن، عبد الله. وقد توفي محمد سنة ١٢٨٩هـ في عنيزه وكان له ولدان هما عبد الله المتوفي سنة ١٢٨٦هـ ووالده على قيد الحياة. وحمد المتوفي في ٢٠ محرم سنة ١٣٣٧هـ بدون عقب.

ولعبد الله من الأولاد الذكور ثلاثة هم فهد، وسليمان، وعبد العزيز وفي أوائل النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري. انحدر عبد العزيز من نجد وسكن الزبير. حيث توفي فيها سنة ١٣٥٣هـ عن ولد اسمه حمد لا يزال قيد الحياة.

وعليه يكن مؤلف هذا الكتاب – هو يوسف بن حمد بن عبد العزيز بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن حمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن بسام بن عقبة بن ريس بن زاخر بن علوي بن وهيب بن قاسم.

ووهيب بن قاسم هو وهيب بن قاسم بن موسى بن مسعود بن عقبة بن سنيع بن نهشل بن شداد بن زهير بن شهاب بن ربيعة بن أبي سؤد بن مالك بن حنظله بن مالك بن زيد بن مناة بن تميم.

وتميم بن مر بن أد بن طانجه بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .....



يوسف حمد البسام (مؤلف هذا الكتاب)

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله. وعلى آله وأصحابه وبعد:

فلقد راودت أذهان الكثير من أبناء هذا البلد فكرة تأليف كتاب يضم بين دفتيه تاريخ بلدة الزبير بن العوام ابن صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم. الصحابي المعروف وأحد العشرة المبشرين بالجنة. ويطول الحديث في ذكر هذا الصحابي الكريم بحيث لا يتسع لفضائله هذا الكتاب.

إن هذا البلد الذي انتشر أبناؤه شأنهم شأن غيرهم في النزوح والاستيطان وهذه سنة في البشر. أخذت الرغبة تلح في إنجاز كتاب مطبوع ليعرف لما لهذا البلد الذي بني على انقاض البصرة القديمة ولما لأهله من خصائص وصفات إسلامية كريمة.

ولقد منيت جميع المحاولات بالفشل إلى أن قيض الله له رجالاً من أبنائه قاموا بتضافر جهودهم على اخراج هذه الفكرة إلى الواقع بحيث تصبح حقيقة تاريخية تضاف إلى المكتبة العربية. فقد عهد الذين ذكرهم المؤلف في كلمته بالفكرة فقام مشكوراً بما أنيط به خير قيام. واعتمد على النصوص الموثوقَة وترك الباب مفتوحاً لمن يريد التوسع في ذلك.

والناظر في التاريخ يرى أن له مصدران صحيحان أولهما الآثار إذ أن الآثار وثيقة بارزة لتاريخ أية أمة وهي صورة حية عن ذلك الواقع. لأن التاريخ هو الصورة الواقعية

للماضي. أما المصدر الثاني فهو الرواية. والرواية مصدر وثيق للتاريخ يعتمد عليه في نقل تلك الصورة. وقد قام أسلافنا بتدوين تاريخنا بأمانة ودقة عن هذين المصدرين.

أما إذا كان التاريخ مؤلفاً من قصص من نسج الخيال أو خليطاً يطبعه المؤلف بنفسيته فهذا لا معول عليه لأنه ليس من التاريخ الصحيح. فلم يحظ بالنصوص والآثار. لذلك نجد الأخ يوسف البسام قد أسند كل نص إلى مصدره.

وكل ما جاء في هذا الكتاب من آثار أو روايات يترك للقارئ الحكم عليها من مصادرها فنشكره على هذا الكتاب الذي جاء وافياً بالمطلوب. وقد عهدنا بالأخ يوسف حمد البسام الصدق والأمانة. وهو من عائلة معروفة بالتجارة والعلم وهي غنية عن التعريف.

ولقد توفرت الشروط وتحققت الفكرة التي راودت أبناء هذا البلد فجاء محققاً للآمال. والناظر إلى تاريخ البصرة التي بني الزبير على انقاضها يجد أنها تسلمت طلائع المسلمين. فتبوأت مكانة عالية في نفوسهم لما لها من وسطية عجيبة فغرباً مكة المكرمة والمدينة المنورة وشمالاً الكوفة وبغداد والموصل. وبين ذلك دمشق والقدس وشرقاً والشمال الشرقي بلاد الري وخراسان. وجنوباً خليج البصرة الذي أكسبها مداً وجزراً على أرضها ومياهها العذبة الرقراقة وحدائقها الغناء. فإنك أيها القارئ الكريم حين تشاهد مياه شط العرب في مدها وجزرها تروي بساتينها ونخيلها الباسقات بشكل خلاب. تعرف ما للبصرة وأرضها الطيبة المعطاة من مكانة في نفوس المسلمين. فعندما تقف على أطلال البصرة القديمة. الزبير الآن. وترسل ناظريك صوب الشرق تشاهد بلاد السواد. سواد الخضرة والمياه الجارية. أحد العراقين وبندقية العرب. وإذا اتجهت بناظريك غرباً شاهدت الجزيرة برمالها الذهبية المترامية الأطراف. وهناك بين هذا وذاك الخليج العربي تطل منها على البحر العربي والمحيط الهندي والدنيا بأسرها. وصدق ابن الزبير الذي شيد بلدته منذ أربعة قرون على تلك الأطلال. حين يقول واصفاً إياها بالمثل المشهور عنده (الدنيا بصرة) أنه يصف الدنيا بزهوها وجمالها وحب الإنسان لها يصفها وكأنها البصرة الفيحاء.

لقد مصرها أجدادنا الأمجاد وبرعوا بالعلوم العقلية والنقلية وغيرها وقد أنجبت علماء أفذاذاً. ساهموا في العلوم الإنسانية وعُنوا بها وأثروا تأثيرا فعالا ووضعوا القواعد وأحاطوا اللغة العربية بسياج من الضبط والدقة. فما يستشهد بقول أو بنص أو قاعدة إلا ويرد ذكر للبصرة على لسانه.

وفي عصرنا هذا قامت مدن في العالم أخذت مكانتها فلم تتأخر البصرة بل وجدناها سباقة في أخذ مكانتها. وقد استخرج منها النفط وشيدت فيها جامعة. وأن النهضة ستتلألأ بإذن الله على أيدي أبنائها البررة وتأخذ البصرة مكانتها في دنيا الناس. سدد الله الخطى ووفق الجميع إلى الخير...

٢٦ رجب سنة ١٣٩١ هـ.

١٧ أيلول سنة ١٩٧١م.

عبد الله محمد الزيد

كلمة تقديم لتاريخ الزبير

من السيد عبد الله بن السيد محمد الرابح

اطلعت على تاريخ مدينة الزبير ومعرفة المهم من الأحداث التي وقعت فيها ومعرفة مبدأ تأسيسها وسكانها فوجدته تاريخا نافعا جداً حافلاً بالمهم من الأحداث والوقائع التي وقعت فيها مما يعتبر لذة للقارئ ومنفعة لمن يريد الوقوف على مثل هذه الأحداث لاسيما وقد اعتمد جامعه ومؤلفه الأخ الجليل الحاج يوسف بن حمد البسام على المصادر المهمة المختلفة في ضبط هذه الأحداث وقد جاء كما قلنا جامعاً المهم منها. ولقد كانت فكرة جمع هذه الأحداث وتاريخها وتاريخ مدينة الزبير أملا يراود أذهان أناس عديدين حاولوا الكتابة عن الزبير وتاريخها وكنا نسمع منذ عقلنا في صغرنا أن هنالك بعض المثقفين والمتحمسين لتاريخ الزبير وجمع أحداثه ووقائعه في كتاب حيث أن هذه الفكرة لم يسمع أن أحداً قام بها بالفعل إنما هنالك محاولات وآمال يبديها بعض الناس ويؤيدها الآخرون، ويقوم بتنفيذها وكتابتها بالفعل. وأول من علمت أن قام بكتابة تاريخ الزبير الأخ عبد الله بن محمد الشارخ في البحرين طلب منه أن يكتب له في موضوع مشيخة الشيوخ آل إبراهيم شيوخ مدينة الزبير سابقاً فكتب له والدي ما يعلمه ويعرفه في هذا الموضوع بصفته كان صديقا للشيخ إبراهيم الراشد وأخوانه وأنا بنفسي وبخطي كتبت لوالدي ورقات بما يخص ذلك ولكن مع ذلك لم نسمع أن هذه الكتابات عن تاريخ الزبير نفذت وأخرجت للناس في كتاب يطلع عليه الراغبون في الاطلاع على ذلك وسمعت أيضاً بعد ذلك أن الشيخ محمد العساني أحد العلماء في الزبير جمع شيئاً من ذلك لغرض إخراجه بالفعل تاريخا للزبير والآن بل ومنذ ما يزيد على عشرين سنة قام الأستاذ عبد الرزاق الصانع والأستاذ عبد العزيز العمر وهما لا يزالون يجمعان ويكتبان تاريخا للزبير ولا ندري متى يخرجان هذا الكتاب ليقرؤه الراغبون في الاطلاع على ذلك وكنا نتوقع من الأخ يوسف البسام أنه هو الذي يمكن أن ينفذ هذه الرغبة لما نعهده فيه من الهمة والجد في كل أمر يحاول القيام به وقد تحقق هذا الأمل فعلاً فجزاه الله خيراً على ما بذل من جهد وتعب في جمع هذه الأحداث وتنسيقها وتنظيمها حتى صارت بالفعل تاريخاً مفيداً ممتعا كما لا ننسى من أعان على إخراجه بالطبع وهو الأخ الوجيه السيد عبد العزيز بن سعود البابطين جزاه الله خيرا وشكر له هذه المساعي الحميدة والمعونة المشكورة والله يتولى الجميع بتوفيقه ورعايته.

كتبه بقلمه

عبد الله محمد الرابح

تمهيد

شبة الجزيرة العربية :

تقع شبة الجزيرة العربية في الجنوب الغربي من قارة آسيا.

يحدها من الشمال الهلال الخصيب (المكوّن من العراق وسوريا ولبنان وفلسطين) ومن الجنوب البحر العربي. من الشرق خليج البصرة وخليج عمان. ومن الغرب البحر الأحمر.

مساحتها :

تقدر مساحة شبة الجزيرة العربية بـ ٣,٠٠٠,٠٠٠ ثلاثة ملايين كيلو متر مربع أي بطول ٢٢٥٣ كيلو مترا وعرض ١٨٥٠ كيلو مترا تقريباً.

نفوسها :

لم يحص عدد سكان شبه الجزيرة العربية بصورة مضبوطة ولكن يقدر بـ ١٢,٠٠٠,٠٠٠ باثنى عشر مليون نسمة تقريباً.

أقسامها :

تنقسم شبة الجزيرة العربية اليوم إلى الأقسام التالية:

أ - المملكة العربية السعودية: وتتألف من (نجد والحجاز والإحساء وعسير).

ب- اليمن الشمالية.

ج- اليمن الجنوبية.

د- الكويت.

هـ- جزر البحرين وإمارات الخليج العربي وهي (قطر، أبوظبي، دبي، الشارقة، عجمان، أم القيوين، الفجيرة، رأس الخيمة.

و- سلطنتي مسقط وعمان.

البصرة

البصرة القديمة

البصرة مدينة إسلامية مشهورة بنيت ومصرت في أيام الخليفة الثاني سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه سنة (١٥هـ ٦٣٦م).

وذهب بعضهم أن عمر أنفذ عتبة بن غزوان سنة (١٤هـ) إلى البصرة فنزلها ومصرها فلعله أنفذه سنة ١٤ ومصرها سنة ١٥ جمعاً بين الروايتين.

وكان في مكانها محل يسمى (الخريبة) تقيم فيه عساكر كسرى لتمنع العرب من العبث.

وكان سويد بن قطبة الذهلي وبعضهم يقول قطبة بن قتادة يغير في ناحية الخريبة من البصرة على العجم. ولما بلغ عمر رضي الله عنه خبر سويد وما يصنع بالبصرة رأى أن يوليها رجلاً من قبله. فولاها (عتبة بن غزوان) بن جابر بن وهيب بن نسيب أحد بني مازن بن منصور بن عكرمة بن خصفه حليف بني نوفل بن عبد المناف. وكان من المهاجرين الأولين. وكان قصد عمر رضي الله عنه بذلك أن يتخذ البصرة للمسلمين مدينة يشتون بها ويستريحون من غزواتهم في بلاد الفرس. وكان البناء بالقصب لكثرته هناك.

ثم أرسل إلى عمر رضي الله عنه للاستئذان بالبناء باللبن. فقال افعلوا ولا يزيدن أحدكم على ثلاث أبيات ولا تتطاولوا في البنيان والزموا السنة لتزمكم الدولة.

وأول شيء بني فيها مسجدها ووضعوه بالوسط حيث تتفرع الشوارع منه.

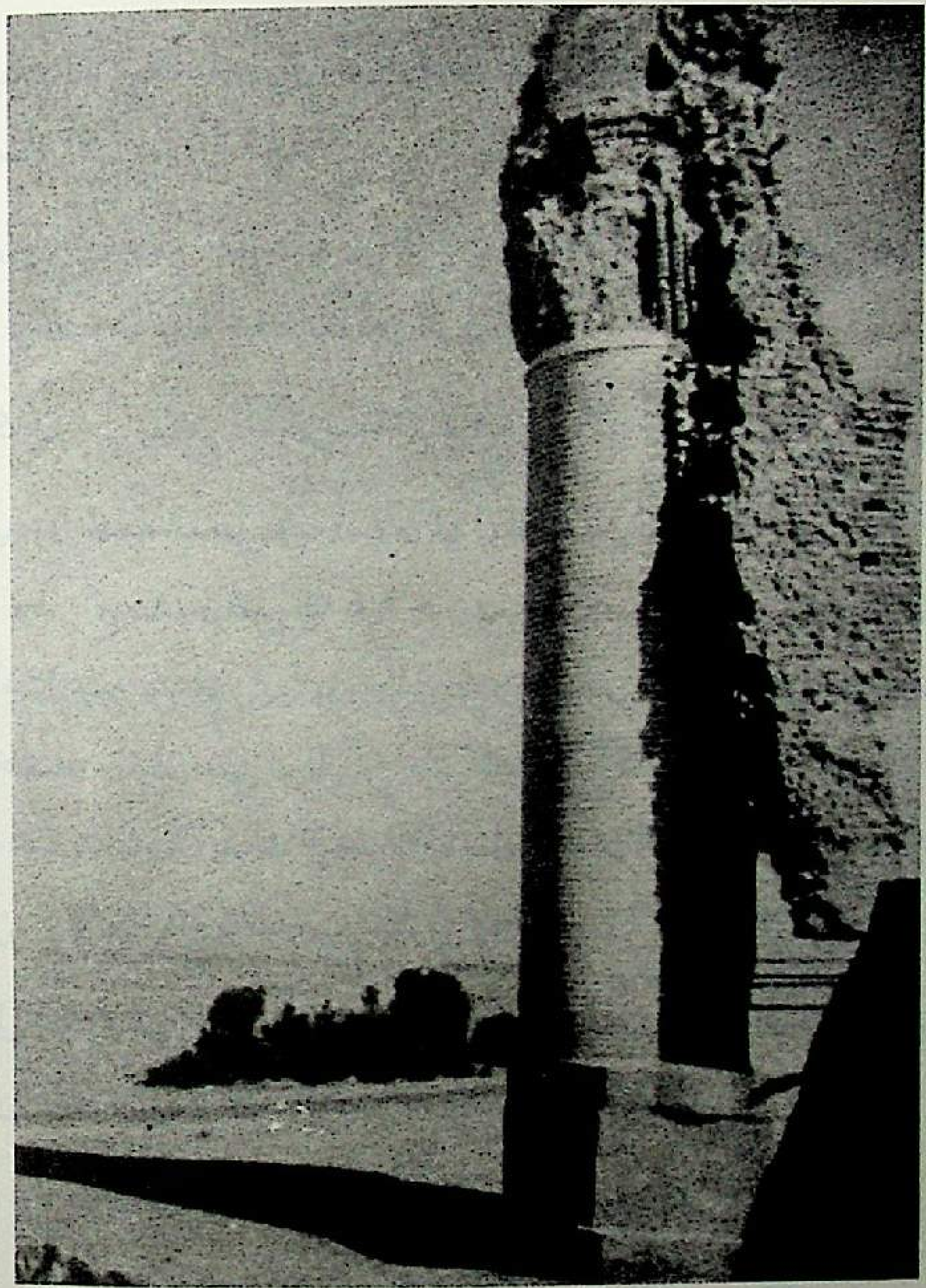
سبب تسميتها بالبصرة:

يقال أن عتبة بن غزوان. لما كتب إلى عمر رضي الله عنه يستأذن في تمصيرها وصفها له بقوله:

إني أرى أرضاً كثيرة القضة. في طرف البر إلى الريف ودونها منافع فيا ماء وفيها قصباء. فقال عمر رضي الله عنه هذه أرض بصره قريبة من المشارب والمراعي والمحتطب.

(ومعنى البصرة في اللغة الأرض الغليظة أو الأرض ذات الحجارة الرخوة البيضاء وهي موجودة بها).

فنزل عتبه وبنى مسجدها من القصب وبنى إمارتها دون المسجد في (الرحبة) التي يقال لها رحبة بني هاشم.



بقايا جامع البصرة القديمة

وكان أول مولود ولد بها هو عبد الرحمن بن أبي بكره. وأبو بكره هذا هو أول من غرس النخيل بالبصرة.

ثم استعمل عليها عمر رضي الله عنه المغيرة بن شعبة. ثم أبا موسى الأشعري سنة (١٧) للهجرة. فبنى الجامع باللبن وكذلك دار الإمارة.

ولما استعمل معاوية زياداً على البصرة. بنى المسجد بالجص وسقفه بالساج. ولكن لكثرة ما حصل على البصرة من التقلبات والحروب والفتن. خربت تلك البصرة وأنشئت البصرة الحديثة وكان إنشاؤها في أول القرن الثامن الهجري - الرابع عشر الميلادي.

هذا وقد كان في قديم الزمان في البصرة علماء أعلام. انتهت إليهم كثيرٌ من العلوم العقلية والنقلية. فمنهم أبو الأسود الدؤلي واسمه ظالم بن عمر بن سفيان. واضع علم النحو وكان شاعراً ومن شعره:-

وكنتَ متى لم ترع سرك منشراً

توازعه من مخطئ ومصيبِ

فما كل ذي لبِ بمؤتيك نصحه

وما كل مؤت نصحه لبيبِ

وقال أيضاً يخاطب ابناً له لا يطلب الرزق:

وما طلب المعيشة بالتمني ... ولكن أدل دلوكَ في الدلاء

تجئ بمثلها طوراً وطوراً ... تجئ بحمأة وقليل ماء

وقال أيضاً:

يقول الأرذلون بنو قشير ... طوال الدهر لا تنسى عليا

بنو عم النبي وأَقرباه ... أحب الناس كُلهم إليا

فإن يكن حبهم رشداً أحبه ... ولست بمخطيءٍ إن كان غيا

توفي أبو الأسود سنة ٦٩ للهجرة بالبصرة.

ومن علمائها أيضاً الخليل بن أحمد الفراهيدي. ويكنى أبا عبد الرحمن. ولد بالبصرة عام (١٠٠) للهجرة. ونشأ بها واشتغل بالعلوم وصنف عدة كتب أجلها في فن العروض. وهو أول من وضعه توفي في البصرة سنة ١٦٠ للهجرة ومن علمائها أيضاً الحسن بن أبي الحسن البصري. ومحمد بن سيرين المعبر.

ومنذ سنة ٢٥٧هـ والبصرة آخذة بالتقهقر والانحطاط. كما تغلب عليها صاحب الزنج وقتل أهلها ثم أصابتها مصائب التتر ونوائب العجم وتسلط السفلة والجهلة عليها من الأعراب والأعجام. حتى أمست طللاً دارساً. وكانت البصرة في صدر حضارتها من أشهر المدن وأكثرها أدباً وعلماً وتجارة وعزاً. وأجلها شأناً وأبهجها مركزاً ولاسيما في أيام العباسيين الذين زادوا في عمارتها وأشادوا فيها الأبنية الجليلة من صروح ومقاصير ومساجد. وقد كانت بعد بغداد في الأهمية والذكر وكانت مركزاً للتجارة بين (أوربا والهند والعراق وإيران). وكانت السفن تأتيها بالبضائع بحراً والقوافل تقبل اليها براً.

وأما في العلوم والفنون:

فكانت أشهر من أن تذكر فخرج منها فطاحل علماء المسلمين وفقهائهم وأنشئت فيها في القرن الرابع العجري مدرسة عظيمة فطار صيتها في الأفاق. ودعيت البصرة قبة الإسلام. ودعي أصحاب هذه المدرسة (بإخوان الصفا). وقد بثوا أفانين العلوم الدينية والفلسفة بمؤلفاتهم، ومصنفاتهم الكثيرة.

وكانت البصرة تناظر الكوفة في المذاهب العربية. وهو أمر مشهور في كتب النجاة. ولذا كانت أشهر من أن تذكر في صحة العربية وثقتها. وقال العلماء حيث ما وجد اختلاف بين البصريين والكوفيين. فمذهب البصريين أصح من جهة اللفظ. ومذهب الكوفيين أصح من جهة المعنى. غير أنها بعد تلك العظمة أخذت تسقط شيئاً فشيئاً. ويتقلص ظلها. وقد أسرع في انحطاطها غزوات العرب حتى أشرفت على الخراب في أواخر القرن السادس العجري - الثاني عشر الميلادى.

وقد اندثرت عن آخرها سنة (٧٠١هـ) وأرخوا خراب البصرة. بقولهم (خامدون).

وقد دخلها ابن بطوطة في أول القرن الثامن الهجري - الرابع عشر الميلادي وقد أثنى بن بطوطة برحلته بمكارم الأخلاق وإيناس الغريب والقيام بحقه. وقال فلا يستوحش بينهم

قريب سوى أنه رأى خطيبهم يوم الجمعة يلحن في خطبته على المنبر. وذلك لقلة وجود العلماء في البلدة.

وفي ذلك يقول العلامة الشيخ عثمان[1] بن سند المالكي الشهير أخر فضلاء البصرة.

لقد كانت البصرة الفيحاء من قدم ... مجرى الأبحر نحوٍ تقذف الدررا
فأصبحت وهي صفراء الوشاح فلا ... نحو فيها سوى نزر وهم فقرا

(١) الشيخ عثمان بن سند من أهل البحرين توفي في بغداد سنة (١٢٥٠هـ) تقريباً.

وقعة الجمل

خلاصتها أن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) كان متجهزاً إلى الشام في أوخر سنة (٣٨) للهجرة. فأتاه الخبر بأن (طلحة والزبير وعائشة) رضي الله عنهم قد خرجوا من مكة المكرمة قاصدين العراق للأخذ بثأر (عثمان بن عفان) رضي الله عنه. فخطب علي في قومه. وحثهم على مناصرته. فأجابوه. وعاد نحو البصرة بتلك الجموع التي كان عازماً بها على الشام. ونظمت له جموع أخرى حتى بلغت قواته نحو (٩) آلاف. وقيل نحو (١٢) ألفاً. فسار بهم فنزل (الزاوية) وسار من الزاوية يريد البصرة.

وسار طلحة والزبير وعائشة. فالتقوا عند موضع قصر (عبيد الله بن زياد) وكان نزولهم في عام (٣٨). وعند قرب الحرب بلغت جموع علي بن أبي طالب (٢٠) ألفاً. فجرت بين الفريقين مذاكرات بالصلح. حتى تم الصلح بينهما وناموا تلك الليلة وهم عازمون على الصلح. ثم في أثناء الليل قاموا وتشاوروا على إنشاب الحرب. فغدوا مع الغلس. وما يشعر بهم أحد. وخرجوا متسللين وعليهم ظلمة. فقصد مضرهم إلى مضرهم. وربيعهم إلى ربيعهم. ويمنهم إلى يمنهم. فوضعوا فيهم السلاح. فثار أهل البصرة. وثار كل قوم في وجوه أصحابهم الذين أتوهم. وبعث طلحة والزبير إلى الميمنة. وهم ربيعه أميراً عليها عبد الرحمن بن الحرث. وإلى الميسرة عبد الرحمن بن عتاب. وثبتا في القلب وقالا ما هذا. قالوا طرقنا أهل الكوفة ليلاً. فقالا لقد علمنا أن علي غير منته حتى يسفك الدماء وإنه لن يطاوعنا.

فرد أهل البصرة أولئك الكوفيين إلى عسكرهم. فسمع علي وأهل الكوفة الصوت. فخرج وأرسل رؤساء الميمنة والميسرة. وأقبل كعب بن سور. حتى أتى عائشة رضي الله عنها. فقال لها أدركي فقد أبى القوم ألا القتال. لعل الله أن يصلح بك.

فركبت وألبسوا هودجها الأدراع. فلما برزت من البيوت وهي على الجمل بحيث يسمع الغوغاء، وقفت واقتتل الناس. وقاتل الزبير. فحمل عليه عمار بن ياسر فجعل يحوزه بالرمح. والزبير كافٍ عنه. وبينما عائشة واقفة إذ سمعت ضجة شديدة فقالت ما هذا. قالوا ضجة العسكر. قالت بخيرٍ أو بشر. قالوا بشر.

فما فاجأها إلا الهزيمة. فمضى الزبير من وجهه إلى (وادي السباع).

فأما طلحة فأتاه سهم غريب فأصابه فشك رجله بصفحة الفرس. وهو ينادي إليّ عباد الله الصبر الصبر. فقال له القعقاع بن عمر (يا أبا محمد) أنك جريح وإنك عما تريد لعليل. فأدخل البيوت. ودخل ودمه يسيل وهو يقول. اللهم خذ لعثمان مني حتى ترضى. فلما امتلأ خفه دماً وثقل، قال لغلامه: أردفني وأمسكني وأبلغني مكاناً أنزل فيه. فدخل البصرة. وأنزله في دار فمات فيها.

وأما الزبير فإنه لما انحاز. قال الأحنف بن فيس: من يأتيني بخبر الزبير. فقال عمرو بن جرموز أنا. فأتبعه فلما لحقه نظر إليه الزبير. قال ما وراءك قال إنما أريد أن أسألك. فقال غلام للزبير. أسمه (عطيه) إنه معد قال ما يهولك من رجل. وحضرت الصلاة. فقال ابن جرموز الصلاة فقال الزبير الصلاة. فلما نزل استدبره ابن جرموز فطعنه في جربان درعه فقتله. وأخذ فرسه وسلاحه وخاتمه وخلى عن الغلام. فدفنه في (وادي السباع). ورجع إلى الناس بالخبر. وقال الأحنف لابن جرموز. والله لا أدري أحسنت أم أسأت فأتى ابن جرموز علي رضي الله عنه. فقال لحاجبه استأذن لقاتل الزبير. فقال علي أأذن له وبشره بالنار. وأحضر سيف الزبير عند علي. فأخذه فنظر إليه. وقال طالما جلى به الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم. وبعث به إلى عائشة لما أنجلت الواقعة. وانهزم الناس يريدون البصرة.

فلما رأوا الخيل أطافت بالجمل. عادوا قلباً كما كانوا حيث التقوا وعادوا في أمر جديد.

ووقعت ربيعه بالبصرة ميمنة وبعضهم ميسرة. وقالت عائشة لما أنجلت الواقعة وانهزم الناس لكعب بن سور خل عن الجمل. وتقدم بالمصحف فادعهم إليه. وناولته مصحفاً فاستقبل القوم والسبئية أمامهم. فرموه رشقاً واحداً فقتلوه. ورموا أم المؤمنين في هودجها. فجعلت تنادي البقية البقية يا بني. ويعلو صوتها. كثرة الله أُذكروا الله والحساب. فيأبون إلا إقداما. وبالأخص أهل الكوفة إلا القتال. ولم يريدوا إلا عائشة التي ذكرت أصحابها فاقتتلوا حتى تنادوا. فتحاجزوا ثم رجعوا فتقاتلوا. فقال علي من يحمل علي الجمل. فأنتدب له هند بن عمر الجملي. وجعل القوم يتقاتلون على خطام البعير. حتى لم ير مثل ذلك اليوم منظراً. وكأن الناس الجبل الأسود يتساقطون تحت الجمل كالفراش على السراج. هذا يأخذ خطام الجمل. ليأسر أم المؤمنين. والآخر يأخذه ليخلصها. حتى ضاع الخطام بين الايدي. فنادى علي رضي الله عنه اعقروا الجمل فإنه إن عُقر تفرقوا. فضربه رجل فسقط. فما سمع صوت قط أشد من عجيج الجمل.

فرمى البعير نفسه على شقه، وجرجر البعير. فقال القعقاع لمن يليه أنتم آمنون. واجتمع هو وزفر على قطع بطان البعير. وحمل الهودج فوضعاه وإنه كالقنفذ لما فيه من ضرب السهام. ثم اطافابه وفر من وراء ذلك من الناس.

فلما انهزموا أمر علي رضي الله عنه منادياً فنادى ألا لا تتبعوا مدبراً. ولا تجهزوا على جريح ولا تدخلوا الدور وأمر علي نفر أن يحملوا من بين القتلى وأمر أخاها محمد بن أبي بكر أن يضرب عليها قبةً وقال أنظر هل وصل إليها شيء من جراحه فأدخل رأسه في هودجها. وقيل لما سقط الجمل أقبل محمد بن أبي بكر إليه ومعه عمار بن ياسر فاحتملا الهودج فنحياه فأدخل محمد يده فيه فقالت أم المؤمنين من هذا أحرق الله يده فقال لها قولي في الدنيا فقالت في الدنيا.

فأتاها علي رضي الله عنه وقال كيف أنت يا أمه فقالت بخير قال يغفر الله لك قالت ولك فلما كان الليل أدخلها أخوها محمد البصرة وأنزلها في دار عبد الله بن خلف الخزاعي على صفية بنت الحرث بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار وهي أم طلحة الطلحات بن عبد الله بن خلف. وتسلل الجرحى من بين القتلى ليلاً فدخلوا البصرة فأقام علي خارج البصرة ثلاثة أيام وأذن للناس في دفن موتاهم فخرجوا إليهم فدفنوهم وكان عدد القتلى عشرة آلاف خمسة من أصحاب علي وخمسة من أصحاب عائشة.

ثم جهز علي رضي الله عنه عائشة بكل ما ينبغي لها من ركب وزاد ومتاع وغير ذلك وبعث معها كل من نجا ممن خرج معها إلا من أحب المقام واختار لها أربعين امرأة من نساء البصرة المعروفات وسير معها أخاها محمد بن أبي بكر فلما كان اليوم الذي ارتحلت فيه أتاها علي فوقف لها وأحضر الناس فخرجت وودعتهم.

وقالت يا بني لا يعتب بعضكم على بعض إنه والله ما كان بيني وبين علي في القديم إلا ما يكون بين المرأة وبين أحمائها وإنه علي معتبتي لمن الأخيار.

وقال علي رضي الله عنه صدقت والله ما كان بيني وبينها إلا ذاك وإنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة وخرجت (يوم السبت غرة رجب وشيعها علي أميالاً وسرح بنيه معها يوماً.

فكان وجهها إلى مكة المكرمة. فأقامت إلى الحج ثم رجعت إلى المدينة المنورة.

المِربد

المِربد بكسر الميم وسكون الراء المهملة وفتح الباء الموحدة وسكون الدال المهملة. اسم موضع في البصرة القديمة من جهتها الغربية على طرف البر. قبلي الزبير وقرب ضريح الحسن البصري. لما قدم العرب بقيادة عتبة بن غزوان أناخوا بذلك الموضع. وجاء في قول الأصمعي المربد كل شيء حبست فيه الأبل. ويسمى هذا المربد مربد البصرة.

كان المربد في أول الأمر محطاً ومناخاً للقوافل التي ترد البصرة أو تصدر منها. وهكذا كان شأنه في عهد الخلفاء الراشدين سوقاً عاماً تباع فيه اللوازم من التمور والأبل وغيرها.

وقد سكن المربد قسم من القبائل التي أرسلها سيدنا عمر رضي الله عنه لسكنى البصرة. وبنيت في المربد آنذاك مساجد وأسواق منها (سوق الدباغين) وقصر زربي وقصر جعفر بن سليمان العباسي. وقد اصطبغت حياة المربد بصبغة سياسية حربية. وكذلك علمية وأدبية دونتها كتب التاريخ.

فالحركة السياسية المشهورة (بوقعة الجمل) بعد مقتل سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه. فلما تحركت الجيوش من الحجاز قادمة إلى البصرة تحت قيادة الزبير وطلحة. دخلت المربد فاحتلته.

وقد غص المربد بالجماهير الغفيرة من الناس بحيث لو رموا حجراً ما وقع إلا على رأس إنسان. أخذ المربد يتسع مركزه ويرتفع شأنه فصار محلة كبيرة وسوقاً عظيمة في عهد الأمويين وقد كانت وفود الأقوام العربية تؤم المربد من فصحاء وشعراء وأدباء. فصار معرضاً لكل قبيلة تعرض شعرها ومفاخرها وآدابها وتاريخها. وأصبح مجتمعاً عظيماً بعد أن أخذ (سوق عكاظ) في الجاهلية في الخمول والاندثار. فصار المربد صورة معادلة في الإسلام لسوق عكاظ في الجاهلية ولئن كان لسوق عكاظ في الجاهلية الأثر الكبير في اللغة العربية بألفاظها وأساليبها ومفاخرها فإن المربد أيضاً عظيم الأثر.

ويشبه المربد عكاظ في أمر الشعر وحلقاته بل يزيد عليه. فلكل شاعر مجلس ولكل قبيلة ناد وشاعر يذود عنها. لقد دون الأدباء في كتبهم ما استقوه من المربد ما يعجز تعداده سواء في الأدب واللغة والبيان وأفانين الشعر إلى غير ذلك.

فقد فصل كتاب (النقائض) ما كان بين جرير والفرزدق من المهاجاة والمفاخرة ولكل منهما عبقرية بعيدة الغور تفتق له من الشعر الواناً تشغل به السامعين من البدو والحضر. واستمر المربد يؤدي أغراضه زمناً غير يسير. ثم أضحى في الصدر العباسي الأول يؤدي غير تلك الأغراض. إذ أن العصبية القومية ضعفت في النفوس بمهاجمة الفرس للعرب. وكثرت الأغلاط في اللغة وأحس العرب بما هم فيه من خطر. وقوي نفوذ الفرس، وبدأ الناس في البصرة يحيون حياة اجتماعية هي أقرب إلى حياة الفرس.

وقد أخذ المربد في دوره الثاني يعلو شأنه وتستجيب له أسباب الكمال حتى برز منه فحول الشعراء وعلماء اللغة والنحو والآداب ورواة الشعر والحديث. فمن أبطاله البارزين. بشار، وأبو نواس، والأصمعي، وأبو عمرو ابن العلاء، والمقفع الأديب والفيلسوف المشهور. والمازني، والمبرد، والجاحظ وغير هؤلاء.

خراب المربد على يد صاحب الزنج:

بقي المربد على حالة تلك سنيناً وأعواماً. حتى امتدت عليه وعلى البصرة عوادي الدهر من الفتن وغيرها.

وكان أهمها الكارثة العظمى التى أتى بها صاحب الزنج (محمد علي) في حربه مع أهل البصرة. وقد كان مبدأ حركته يوم الأربعاء ٢٦ رمضان سنة (٢٥٥هـ) ومنتهاها يوم السبت ٢ صفر سنة (٢٧٠هـ).

لقد شن على البصرة غارات طاحنة هدم أكثر مساجدها وشب حريقا في مسجدها الكبير. وهدم القصور والبيوت وفتك بالناس. فأحرق منازلهم وأسواقهم وكتبهم.

ثم بدأ المربد بعد انخذال صاحب الزنج وقتله من قبل (الموفق بالله) العباسي في سنة ٢٧٠هـ يسترجع مكانتة. ورغم تلك النكبات بقي في المربد شعلة ضئيلة تضطرم بهدي الناس.

وقد تخرج فحول من الرواة والعلماء نسبوا إلى المربد منهم سماك بن عطية المربدي وأبو الفضل عباس بن عبد الله بن الربيع بن راشد المربدي. وغيرهم كثيرون ثم إن المربد بعد تلك النكبات التي حلت به لم يبق منه إلا اليسير. واتخذت بعض عرصات خرائبه مقابر. ولما أتى السائح ناصر خسروا إلى البصرة سنة ٤٤٣هـ ذكر أن معظمها خرائب وذكر منها ثلاث أسواق سوق خزاعة، سوق عثمان، سوق القداحين ولم يشر إلى ذلك المربد. أما ياقوت الرومي (المعروف

بكثرة أسفاره للتجارة وتردده على البصرة) فقد ذكر في كتابه معجم البلدان سنة ٦١٣هـ إنه رأى المربد بائنا عن البصرة. فيقول مربد البصرة من أشهر محالها وكان سوقاً للأبل قديماً. وبه كانت مفاخرات الشعراء والخطباء وهو الآن بائن عن البصرة نحو ثلاثة أميال. فيستدل من أقواله أن المربد كان في زمانه شبه قرية بعيدة عما تبقى من بيوت البصرة.

وأما ابن بطوطة الرحالة المشهور والذي زار البصرة سنة (٧٢٦هـ) لم يذكر أي أثر للمربد، فهذا مما يؤكد أن المربد اندرست آثاره قبل مجئ ابن بطوطة. ولم يبق من مشاهد البصرة سوى الجامع الكبير وثلاثة محلات. وهذه اندرست عند منسلخ سنة (٨٠٠هـ) وانتقل بقية سكان البصرة القديمة إلى أرض البصرة الحديثة.

الزبير

الزبير

موقعها:

تقع الزبير غرب مدينة البصرة الحالية وهي تبعد عنها أكثر من سبعة أميال أو ثمانية. والبلدة واقعة على آثار مدينة البصرة القديمة وعلى مقربة من أرض وقعة الجمل الشهيرة. وكان موقعها سابقاً محطاً لتجمع قوافل تجار البصرة عند مسيرها إلى الشام وشبه الجزيرة العربية.

سبب تسميتها بالزبير:

يقع الزبير في وادٍ يقال له (وادي النساء) لأن النساء كن يظهرن إليه ويلتقطن منه الكماء. ثم سمي (وادي السباع) قيل أن أسماء بنت دريم مر بها وائل بن قاسط فراها منفردة في خبائها فهم بها فقالت له والله لأن هممت بي لأدعون أسبعي. فقال ما أرى في الوادي غيرك فصاحت ببنيها (يا كلب، يا ذئب، يا فهد، يا دب، يا سرحان، يا سيد، يا سبع، يا ضبع، يا نمر) فجاؤا يتعادون بالسيوف، فقال وائل بن قاسط ما هذا إلا وادي السباع. فلزم هذا الاسم ذلك الوادي ثم لما دفن فيه الزبير بن العوام سنة (٣٨هـ) بعد وقعة الجمل صار يسمى (الزبير).

تأسيسها:

يعتقد أن تأسيس الزبير هو في سنة (٩٧٩هـ) لما أمر السلطان سليم بن سليمان الثاني أن يقام فيها مسجد على ضريح الصحابي الزبير بن العوام رضي الله عنه فشيد المسجد وأقيمت القبة على ضريح الزبير رضي الله عنه وذلك في شهر رجب من سنة ٩٧٩ هـ.

آثارها:

١- خرائب مدينة البصرة القديمة. والبصرة من المدن الإسلامية أسست في عهد الخليفة الثاني سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة (١٤هـ).

٢- ضريح الصحابي الجليل سيدنا الزبير بن العوام رضي الله عنه داخل الجامع المسمى باسمه. والزبير بن العوام هو ابن صفية عمة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وأحد العشرة المبشرين بالجنة. قتله عمرو بن جرموز سنة (٣٨هـ) وعمره (٦٨ سنة).

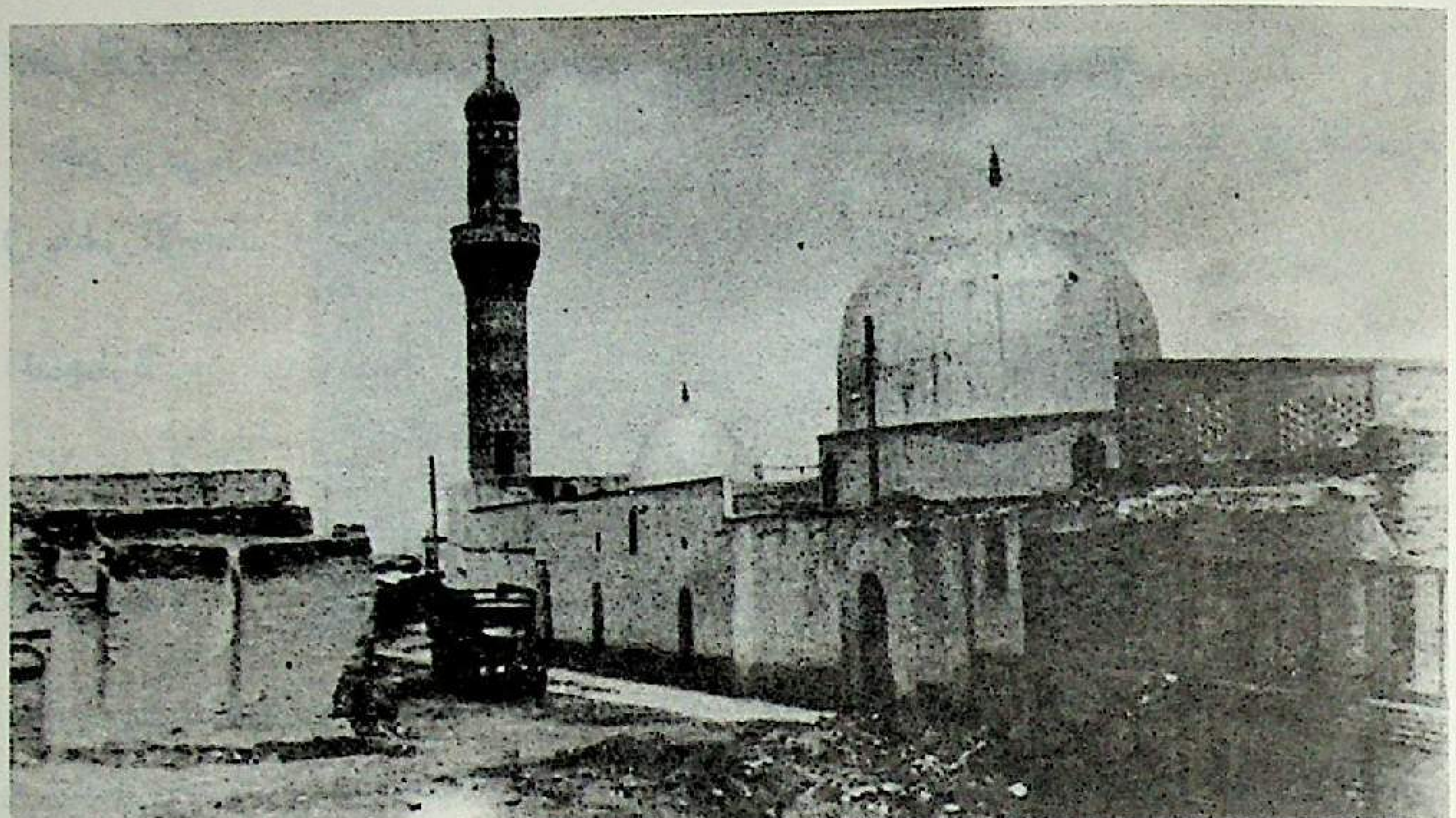
٣- ضريح عتبة بن غزوان مؤسس مدينة البصرة القديمة والمتوفى سنة (١٦هـ) وضريحه داخل الجامع تعلوه قبة (ويقال أن صاحب هذا الضريح ليس عتبة بن غزوان بل هو عتبة غلام أنس بن مالك رضي الله عنه.

٤- ضريح أنس بن مالك. شمال البلدة في (الشعيبة) تعلوه قبة. وقد كان أنس بن مالك هذا خادماً للنبي محمد صلى الله عليه وسلم ارتحل من المدينة المنورة وسكن البصرة وتوفي سنة (٩٣هـ) وعمره مائة سنة.

٥- ضريح طلحة بن عبيد الله شرق البلدة على مسافة ثلاثة أميال منها تقريباً تعلوه قبة. وهو طلحة بن عبيد الله بن عثمان. ابن عم الخليفة الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأحد العشرة المبشرين بالجنة توفي في البصرة سنة (٣٨هـ) متأثراً بجرح أصابه أثناء وقعة الجمل.

٦- ضريح الحسن البصري المتوفي سنة (١١٠هـ) وهو من التابعين ضريحه في وسط مقبرة الزبير المسماة باسمه تعلوه قبة مخروطية الشكل.

٧- محمد بن سيرين المعتبر من التابعين ومن كبار البصرة القديمة توفي سنة (١١٠هـ) أثناء المرض الذي اجتاح البصرة في ذلك التاريخ ضريحه مجاور لضريح الحسن البصري داخل الحجرة.



جامع الزبير بن العوام



ضريح الحسن البصري

جو الزبير:

الجو في الزبير معتدل ولكنه شديد الحرارة في فصل الصيف أحياناً. كما تنشط رياح السموم في بعض الأحيان. والهواء على العموم جيد.

التجارة:

لا يوجد في الزبير نشاط تجاري كبير. ومعظم السلع والبضائع ترد إليها من البصرة وتستهلك محلياً.

الزراعة:

ليس في الزبير زراعة ذات شأن كبير. وذلك لقلة المياه وإن اضطر أحد للزراعة يجب أن يستند إلى حفر (بئر) يسحب منها الماء[1] وأهم المزروعات هي (الطماطة، والبطيخ، والبصل، والثوم) وأكثر ما يغرس فيها (الاثل) وهو شجر يستفاد منه بالوقود. وتنبت في بريتها الكمأ وذلك إذا جادت الأمطار الموسمية كما تنبت الأعشاب وتكون الصحراء حدائق غناء ومراعي خصبة يستفيد منها البدو الرحل الذين يعيشون على الحيوانات ومنتوجاتها.

الصناعة:

تكاد تكون معدومة، إذ لا تتعدى الحدادة والنجارة وغيرها من الحرف والأعمال الأخرى. وربما يقوم بعض أفراد الطائفة الإحسائية في نسج (العبي) أحياناً. والصناعة في الزبير قليلة جداً إذا ما قورنت مع الكويت أو البصرة.

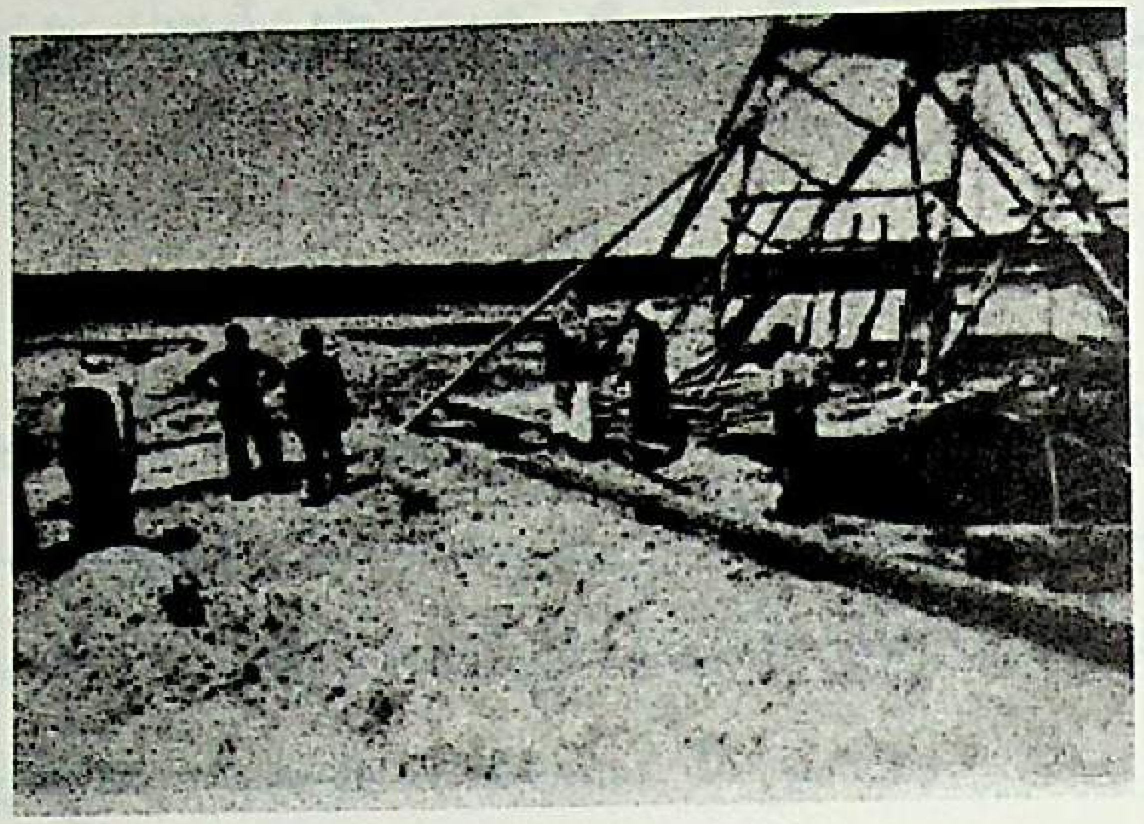
موارد مياه شرب أهل الزبير:

يعتقد أن الزبيريين أول ما نزلوا الزبير كانوا يشربون من آبار في مكان هو الآن وسط المدينة يعرف (بالحسي[2]) الحصي وربما تحولوا عن تلك الآبار عندما دنت البيوت إليها إلى آبار الدريهمية المعروفة جنوب البلدة. وكثيراً ما تتغير مياه هذه الآبار بسبب قلة الأمطار وكثرة الوارد عليها. أما الشيوخ والأغنياء فقد حفروا لشربهم آبار خاصة في مناطق أخرى مثل الشعيبة ولوذان والذروية وعلى العموم تكون مياه جميع تلك الموارد عذبة في موسم الأمطار. وتقل عذوبتها كما تقل المياه أيضاً في فصل الصيف.

---

(١) لقد كانت تستخدم الحيوانات لسحب المياه من الآبار أما الآن فاستعيض عنها بالماكينات الحديثة.

(٢) الآبار العذبة القريبة المياه كما هو معروف تسمى حسيان. ومفردها حسو، وربما قالوا حسيات تصغير حسيان وحسي تصغير حسو ثم تحرف الاسم فيما بعد وأصبح (حصي).



بكرة على بئر



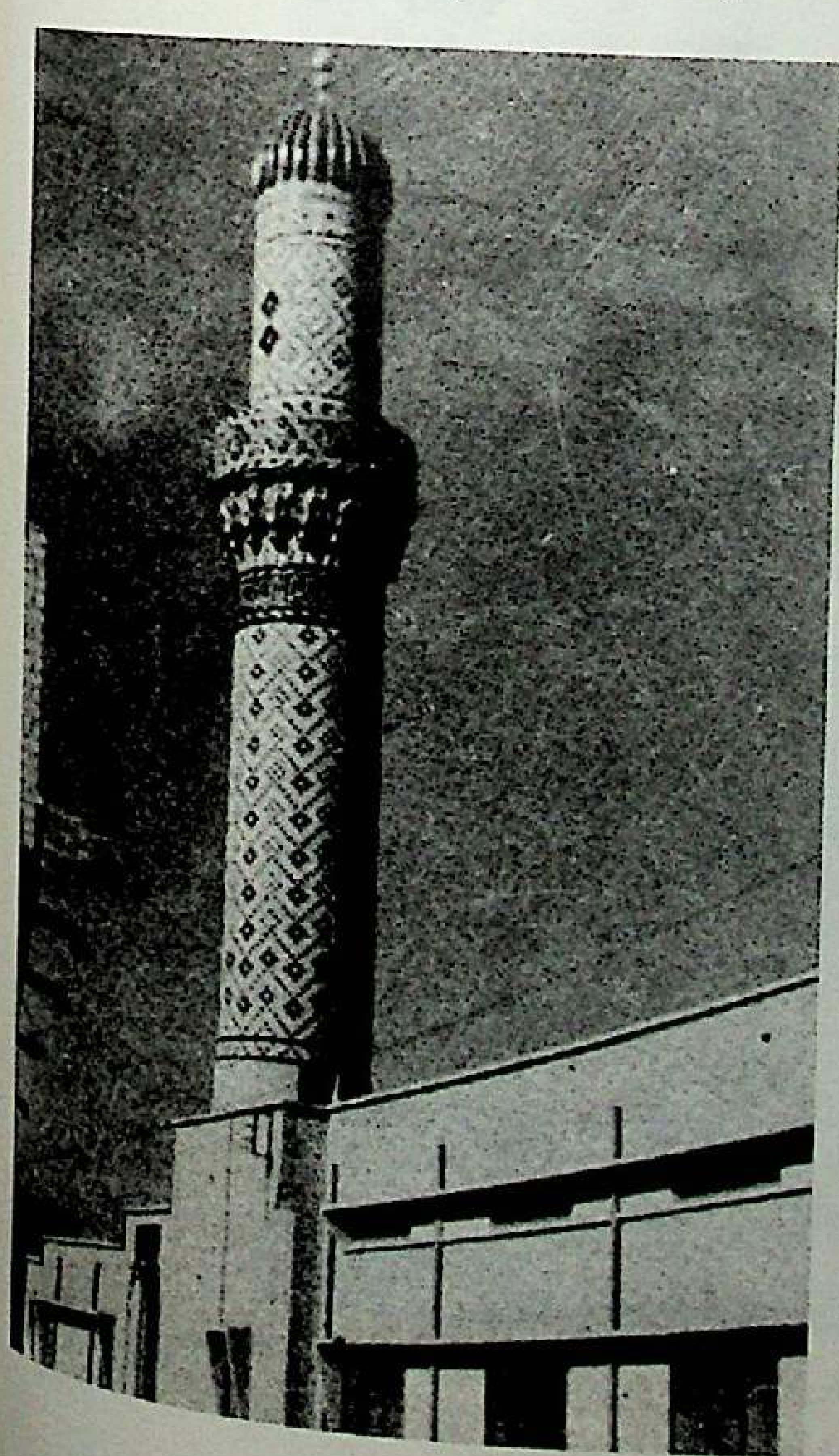
سقاء في آبار الدريهمية

بعض الأماكن المشهورة في الزبير

جبل سنام:

هو الجبل الوحيد في صحراء الزبير المترامية الأطراف. ويشاهد من مسافات بعيدة وهو أفضل هاد ودليل لسالكي تلك المنطقة يقع جنوب غربي مدينة الزبير. على بعد أربعين كيلو متراً تقريباً والذي يسلك طريق الزبير - الكويت يرى هذا الجبل من مسافات بعيدة. وكذلك يراه السائر على ظهر الباطن من مسافات أبعد.

(ويقول السيد عبد الجبار الراوي في كتابه (البادية) أنني شاهدت هذا الجبل (جبل سنام من كل أطرافه وصعدت إلى قمته فلم أجد فيه آثارا قديمة غير فوهة أشبه بفوهة بئر على سفحه الغربي لا يزيد قطرها على ثلاثة أرباع المتر. ولكن الذي يضع راحة كفه على فم الفوهة يشعر ببخار حار له رائحة النفط وقد فهمت من بعض الرعاة أن (أخصائيين أجانب زاروا هذا الجبل وشاهدوا هذه الفوهة وأدلوا فيها بعض الأطفال حيث شاهدوا في الداخل فسحة عظيمة وعمقاً لا نهاية له) انتهى كلام الراوي.



جامع النجادة في الزبير

والمسافة بين هذا الجبل والبحر تقدر بأقل من خمسين كيلو متر. وأقرب منطقة على البحر لهذا الجبل هي (أم قصر).

سفوان:

موضع شرق جبل سنام مسافة خمسة عشر كيلو متراً تقريباً. وتبعد سفوان عن مدينة الزبير خمسة وثلاثين كيلو مترا تقريباً. وفيه آبار غزيرة المياه وعذبه. وتنمو به زراعة النخيل والفواكه والخضروات وعلى بعد خمسة كيلو مترات شرقي سفوان توجد آبار شديدة الملوحة وعلى مثل هذه المسافة غرباً توجد آبار عذبة مثل آبار سفوان ويسمى هذا الموضع (الصخيبري) ويملك آبار سفوان آل سويط شيوخ قبيلة الظفير وأناس من أهل الزبير منهم (آل نقيب وآل بسام وآل تركي) وغيرهم.

أم قصر:

موضع يقع على البحر. يقال إن سبب تسمية هذا المكان بهذا الاسم نسبة إلى قصر شيده أحمد[1] بن رزق الأسعد التاجر المشهور والمتوفي سنة ١٢٢٤هـ.

المقدم (المجدم):

موضع على ساحل البحر من جهة الغرب بين مدينة الزبير وأم قصر أطلق عليه هذا الاسم لأن السفن الشراعية كانت سابقاً تأتي من الكويت إلى الزبير وترسو فيه محملة بالبضائع والمسافرين. ولما كان الطريق البري بين الزبير والكويت غير آمن آنذاك بسبب تعرض البدو وقطاع الطرق للمسافرين يفضل بعض أهل الزبير السفر إلى الكويت بحراً. كما أن أجرة السفر في البحر أقل من أجرة السفر عن طريق البر. (ومن هذا المرفأ سافر إلى الكويت الشاعر المشهور محمد بن حمد اللعبون).

(١) ينتسب أحمد بن رزق الأسعد إلى قبيلة بني خالد، أصله من أهل حرمه انتقلت أسرته منها وسكنت الغاط وكلتاهما من قرى نجد ثم رحل والده إلى الإحساء ثم ارتحل هو من الإحساء ونزل الزبارة في قطر وبعدها رحل إلى البصرة وتوفي فيها في مكان يسمى قردلان مقابل مدينة البصرة من جهة الشرق يفصله عنها شط العرب.

الدريهمية:

الدريهمية موضع جنوبي مدينة الزبير يبعد عنها مسافة أربعة أميال تقريباً وفي وسط هذا المكان منخفض فسيح أحيط من جهاته الثلاثة الشمالية والجنوبية والشرقية بسدة ترابية ارتفاعها ثلاثة أمتار تقريباً وكذلك العرض وذلك لحفظ مياه الأمطار في هذا المنخفض حيث آبار الدريهمية المشهورة التي يشرب منها أهل الزبير سابقاً. (قبل تأسيس إسالة الماء سنة ١٩٣٦م) وعلى طرف هذا المنخفض من جهة الشمال برج دائري الشكل (طوبة) يستعمل لحماية السقائين عند غدوهم ورواحهم وقت الحاجة، كما يوجد برج آخر شمال الدريهمية في موضع يقال له الشمريه للغرض نفسه.

البرجسية:

غرب البلدة بمسافة عشرة كيلو مترات تقريباً. والبرجسية من أجمل المنتزهات في الزبير فيها قصور خربة ونخيل غير عامرة. يملكها أناس من أهل الزبير. منهم البابطين. والنصر الله وغيرهم وفي منتصف الطريق بين مدينة الزبير والبرجسية. تلال ترابية قليلة الارتفاع تسمى (الجبيلات).

كويبده:

مكان شمال غربي البلدة فيه آبار عذبة يبعد عن بلدة الزبير مسافة خمسة عشر كيلو مترا تقريباً. تحيط به أشجار الأثل من كل جانب. وقد كان بعض أفراد قبائل الظفير تقطن كويبده صيفاً حول هذه الآبار وشرقي كويبده مكان يسمى (أم شداد) أطلق عليه هذا الاسم لوجود تل من التراب يشبه شداد البعير.

السدة:

شرق بلدة الزبير على مسافة أربعة أميال تقريباً. وهي أرض منبسطة ممتدة من الشمال إلى الجنوب. بين الزبير والبصرة. وهذه الأرض سبخة جرداء لا ماء فيها ولا نبات ما عدا شجيرات مالحة تنبت في المنخفضات في فصل الصيف. كما يوجد ملح الطعام الذي أجوده ما هو قريب للشعيبة. وذلك لعدم مرارته بسبب بعده عن البحر. وتمتد هذه الأرض الواسعة من كرمة علي شمالاً حتى البحر جنوباً. وأما مياه الفيضان فأنها تأتي من جهة الشمال بسبب ارتفاع مناسيب المياه في نهري (دجلة والفرات) ويسمونه ماء (الموح). وعندما ترتفع مياه البحر التي يسمونها (البحيرة) فأنها تغطي جزءاً كبيراً من هذه الأرض.

وكانت الحيوانات سابقاً هي واسطة النقل بين البصرة والزبير. وكان المسافرون من الزبير وإليها يركبون ظهور الأبل والخيل والحمير في ذهابهم وإيابهم ونقل البضائع والأمتعة.

وفي موسم الفيضانات تستعمل القوارب الصغيرة التي يأتي بها أصحابها من البصرة خصيصاً لهذا الغرض. حيث تقوم بنقل المسافرين والبضائع من البصرة إلى الزبير وبالعكس. حتى جفاف مياه الفيضان. وشرقي الزبير أيضاً على مسافة ميلين تقريباً بقايا جامع البصرة القديمة وفي القرب منه تل مرتفع يعرف باسم (جبل سعود) نسبة إلى الإمام سعود بن عبد العزيز آل سعود الذي نصب خيمته على هذا الجبل أثناء محاصرته للزبير سنة (١٢١٨هـ).

وخلف جبل سعود شرقاً موضع يعرفه باسم (الحصوة) وقد كان هذا الموضع مرفأ ترسو فيه القوارب التي تنقل المسافرين أثناء تغطية السده بمياه الفيضان. وعندما احتل الانكليز البصرة سنة ١٩١٤م. وبعد معركة الشعيبة الشهيرة سنة ١٩١٥م. أنشأت قوات الاحتلال البريطاني سدة ترابية من المعقل (ماركيل) إلى الشعيبة لتسيير القطار[1] من البصرة إلى بغداد. وقد أقيمت أيضاً سدة ترابية بين البصرة والزبير وعبد الطريق بالقير وأصبح صالحاً لسير السيارات من الشعيبة إلى البصرة على طول أيام السنة. (هذا وفي الزبير أماكن مشهورة أخرى. ولكن ذكرنا ما هو قريب من البلدة ومشهور).

(١) انشئت في شمال الشعيبة قرب ضريح أنس بن مالك محطة للقطار يركب منها المسافرون من الزبير ويتزود القطار بما يحتاجه من ماء وغيره.

عادات الزبيريين

العيد في الزبير:

لا يعرف الزبيريون عطلا أو أعيادا. عدا عيدين إسلاميين هما عيد الفطر وعيد الأضحى. أما عيد الفطر كما هو معروف عند جميع المسلمين يحل بعد الانتهاء من صيام شهر رمضان المعظم. وأوله اليوم الأول من شهر شوال. ويعرف اليوم الأول من شوال برؤية الهلال مساء آخر يوم من شهر رمضان، أو إكمال عدة رمضان ثلاثين يوماً. أما عيد الأضحى أوله كما هو مألوف بين المسلمين اليوم العاشر من شهر ذي الحجة. ويحل بعد يوم الحج. يوم الوقوف بعرفة مباشرة.

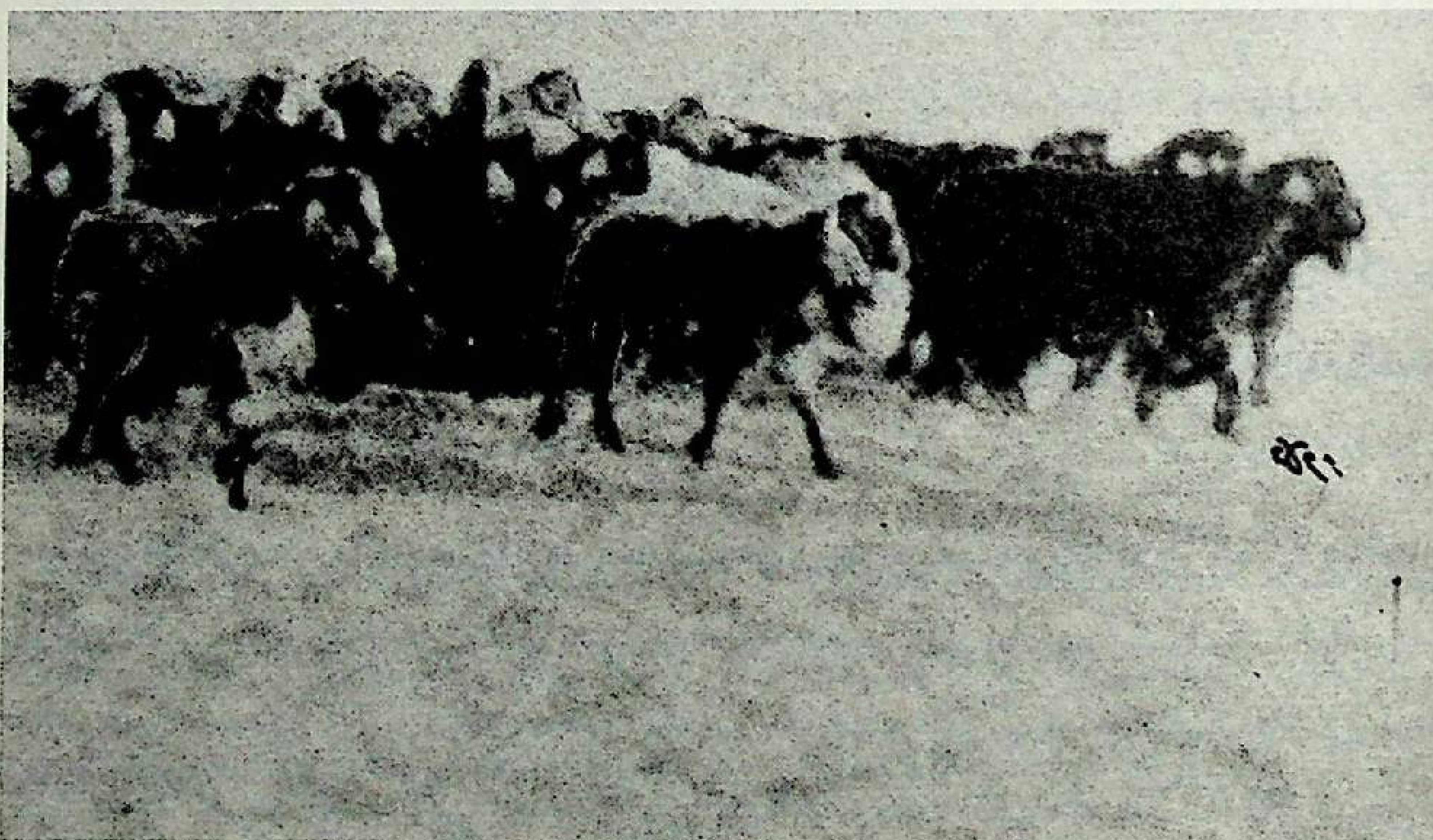
للعيد هنا من الأبهة والجلال مثل ما له في سائر الأقطار الإسلامية فهناك ترى رمز المحبة الإسلامية ظاهراً. والاتحاد الديني محكماً. وهناك ترى الاحقاد تتطاير من القلوب، والضغائن تذهب من الصدور، وهناك ترى الحكمة في مشروعية تلك العبادة الشريفة متحلية بأعظم مظاهرها. يحس بها من القوم حتى الصغير، يستيقظ كل فرد منهم من نومه مبكراً. وبعد أن يغتسل ويتطيب ويرتدي أجمل ما لديه من ملابس (ملابس العيد) يذهب إلى صلاة العيد فى (مصلى العيد) الذي عادةً يكون خارج البلدة في أطراف البناء، يذهبون مهللين ومكبرين وحامدين الله على ما خصهم به من جزيل النعم. ثم يؤدون صلاة العيد خلف إمام واحد ثم الاستماع إلى خطبة العيد. وحتى النساء يذهبن لأداء صلاة العيد واستماع الخطبة.

طعام العيد:

اعتاد أهل الزبير منذ أول تأسيسها بصنع طعام خاص للعيد وذلك في صبيحة اليوم الأول منه. فبعد عودتهم من صلاة العيد مباشرةً يخرجون بالطعام إلى الشوارع والطرقات على شكل جماعات، جماعات يجلسون على الأرض جميعاً لا فرق بين كبيرهم وصغيرهم غنيهم أو فقيرهم، يأكلون جميعاً وعند الفراغ من الأكل، يوزع باقي الطعام على الفقراء، وأغلب الفقراء عادة يكونون من البدو المقيمين حول المدينة. وقد اعتادوا أن يكون طعام العيد من الأرز واللحم، أو الدجاج مع الأرز ويعتنون بطهي طعام العيد عناية خاصة. وبعد تناول الطعام يعود كل فرد إلى منزله.



صورة الدواليب في أيام العيد



قطيع من الماعز في طريق عودته إلى الزبير من المرعى

مراسيم العيد:

بعد الانتهاء من صلاة العيد تبدأ التهاني. فيقول المهنيء لأخيه (عيدك مبارك ويجيبه بقوله أيامكم سعيدة) والعيد ثلاثة أيام والثاني والثالث. تعطل خلالها جميع الأعمال. ثم تستأنف بعدها ومن المراسيم التي اعتاد عليها الزبيريون منذ القدم. أن يزور كل فرد أقاربه وأصدقاءه في منازلهم مهنئاً بالعيد.

كما تفتح المجالس (الدواوين) أبوابها لاستقبال المهنئين، ومن العادة الجارية أن كل محله تفتح مجالسها في وقت واحد حتى يتمكن الزائرون من الزيارة وتقديم التهنئة، وجرت العادة أيضاً أن تكون الزيارة في صبيحة اليوم الأول لمحلة الرشيدية. وفي مساء اليوم نفسه محلة الشمال وفي صباح اليوم الثاني محلة الكوت وفي المساء محلة الزهيرية ولا تزال جميع تلك العادات جارية حتى يومنا هذا، وتقدم القهوة العربية كما يقدم الشاي للزائرين.

عوائد العيد:

اعتاد الأغنياء والذين أنعم الله عليهم مساعدة الفقراء والأرامل واليتامى والمساكين في أيام العيد كلي يشعروا بعطف الناس عليهم ويشاركوا الناس بالأفراح والمسرات. وكثيراً ما يقدم الأغنياء للفقراء الدراهم أو الطعام من تمر أو أرز أو دقيق وغير ذلك قوتاً للفقراء أيام العيد أو بتقديم الكسوة لهم (ملابس العيد).

وبعد الانتهاء من من سلام العيد وتقديم التهاني يخرج بعضهم للنزهة أو الصيد في الخارج وذلك للأنس والترويح عن النفس حتى انتهاء أيام العيد. ومن عادتهم أيضاً اللعب (بالعرضة) والعرضة مشهورة ومعروفة في نجد والكويت والخليج العربي. أما الأطفال فإنهم يرتادون محلات الأنس واللعب التي أعدت لهم في أيام العيد (الدواليب) أما النساء فلا يخرجن من بيوتهن سواء كان ذلك في أيام العيد أو غيرها.

عادات الزبيريين في مجالسهم:

المجلس هو الذي يقابل المرء فيه زائريه أو يدعو إليه أصحابه ويسمى (ديواناً) ويكون في جناح الحرم فيه حجرة أمامها بهو في أحد جوانبه (إيوان) للصيف. وفي صدر الحجرة صفت آلات (القهوة) والشاي وقماقم ماء الورد ومجامر العود صفاً متقناً.

أما (الوجاغ) وهو الموقد الذي تصنع فيه القهوة. فهو حفرة مجوفة مربعة على حافتيها مجلسان صغيران أقيم لكل واحدٍ (متكئاً) (جدار صغير) أحدهما يجلس فيه رب البيت بنفسه والزائر الوجيه. والثاني لصانع القهوة.

وأحياناً يوجد خلف المجلس الأخير أو عن يساره مخزن (للحطب ومجموعة آلات القهوة تسمى (دلال) جمع (دله) أو (معاميل) وهي مؤلفة من أباريق مستوية أشكالها في حين اختلافها في الحجم والأسماء فمنها (المصب) وهو الذي تسكب منه القهوة للشاربين و(اللقمة) وهي التي تطبخ فيها و(الخمرة) وهي ما تكون مجمعاً لبقاياها. وقد يوجد في المجلس من كل نوع عدة. ومن تلك الأباريق ما يصنع في بغداد أو الشام وتسمى آلات الشرب (فناجيل) تحريف (فناجين) والمفرد (فنجان) وهي من الكؤوس الصغيرة، وليس من العادة المتبعة أن يملأ الكأس كما يصنع ذلك في بعض الجهات. وهناك (المحماس) وهو الذي تقلى فيه القهوة على النار ثم تدق في (الهاون) وهو قالب من الحديد مجوف. وللقهوة أهمية عند أهل الزبير وكذلك عند أهل نجد واليمن وأهل الكويت والخليج العربي والإحساء في البادية. بحيث لا يتم إكرام الزائرين بدون تقديمها، مهما قدم من لذيذ المأكل والمشرب. ومن هنا كثرت أشعارهم في مدحها. وهناك نموذجاً مما قالوه فيها لتعرف مقدار أهميتها عند القوم.

(قال شاعر نجد الكبير محمد العبد الله القاضي في وصف القهوة العربية وكيفية صنعها ومبلغ احتفائهم بها).

يا من لقلب كل ما التم الإشفاق … من عام الاول به دواليك وأخفوق
يجاهد جنود في سواهيج الاطراق … ويكشف له أسرار كتمها بصندوق
إلى عن له تذكار الأحباب واشتاق … باله وطف بخاطره طاري الشوق
قربت له من غاية البن ما لاق … بالكف صافيها عن العذف منسوق
أحمس ثلاث يا نديمي على ساق … ريحه على جمر القضا يفضح السوق
حذراك والنيه وبالك والإحراق … واصح تعير بعاجل الحمس مطفوق
إلى أصفر لونه ثم بش بالاعراق … وبقت كما الياقوت يطرب له الموق
وعطت بريح فاضح فاخر فاق … لا عنبر ريحه بالأنفاس منشوق
دقه بنجر يسمعه كل مشتاق … راعي الهوى يطرب إلى دق بخفوق

واحشه بدله مولع كنها ساق	بلوره منصوبه تقل غرنوق
خله تفوح وراعي الكيف يشتاق	إلى طفح له جوهر صح له لوق
قموره صفار كالزمرد بالإسعاف	واكبارها الطافح كنها صافي الموق
وزله على وضحابها خمسة ارناق	هيل ومسمار بالأسباب مسحوق
مع زعفران والشمطري إلى انساق	ريحه مع العنبر على الطباق مطبوق
إلى اجتمع هذا وهذا بتفاق	وحبه كغيث العوق عن كل مخلوق
بفنجال حين صافي عنه الارماق	يفضي وكرسيه غدان المعشوق
إلى حب فابصر جوهره تقل شبراق	أو دم جوف أمزع منه معلوق
خمرٍ إلى منه تساقا بالارياق	وعليه من صافي الورد مذلوق
راعية كنه شارب ريق ترياق	كاس الطرب وسرور من ذاق له ذوق
يحتاج من خمر السكارى إلى فاق	طفل يشف شفاه والعتق مفهوق
عبث يميل بحبته ما بعد ماق	وهو يضاهي باهي البدر معشوق
بين اشفتيه إلى غنج حق براق	عجل رفيقه بالطها يعطي اطبوق
سطر كتب من حبر عينه بوراق	خديه صادين ونونين من فوق
كن العرق بأخدودها جمر الارناق	ينثر على الوجنات باللون معشوق
بالعنق كن المسك والخد براق	والمشخص بصدره الشاخ مدقوق
يمشي برفق خايف مدمج الساق	يقصم حجول ضامها الثقل من فوق
إلى حصل لك ساعة وأنت مشتاق	اقطف زهر مالاق والعمر ملحوق
فلا حضر ما قلت عندي فالأرزاق	بيد كريم كافل كل مخلوق
وصلاة ربي عدد ما بارق حاق	على النبي الهاشمي خير مخلوق

(ويقول راكان بن حثلين رئيس قبيلة العجمان في القهوة)

يا محلا الفنجال مع سيحة البال	في مجلس ما فيه نفس ثجيله
هذا ولد عم وهذا ولد خال	وهذا رفيج ما لقينا مثيله
يابو هلا طير الهوى خبث البال	طبعه خبيث والحباري جليله

(هذا والقهوة تقدم كل شخص مهما صغر مقامه ولكن إذا سما مقامه فإن القهوة تحضر له من جديد. ولا يصح الاعتذار عن قبولها).

الكرم:

الكرم من الصفات المعروفة عند العرب في الجاهلية والإسلام، ولا يزال العرب حتى الآن يتفاخرون به. وفي الحديث الشريف (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه) ولا يكاد يخلو بيت من بيوت الزبير من مضيف (مكان يقابل فيه الضيوف) قد يكون حجرة واحدة قريبة لباب المنزل وقد يكون جناحاً مستقلاً. واحترام الضيف وحمايته من المسائل المسلم فيها في بلاد العرب وحق الحماية ثلاثة أيام. كما أن حق الضيافة ثلاثة أيام أيضاً. هذا إذا كان الضيف أجنبيا أما إذا كان من الأقارب أو الأصدقاء، فإنه يبقى وكأنه في منزله بين أهله.

وينادي السيد خادمه يا ولد. وإذا كان يريد القهوة فإنه (يقول هات قهوة) والخادم ينادي سيده (عمي) وسيدته (عمتي).

ومن حق القادم من سفر أن أصدقاءه ومعارفه يزورونه في بيته ويقولون لأقرب الناس إليه. قرت عينك (أي سررت لحضور فلان) فيرد بقوله بوجه نبيك. وعند لقائهم يقبل الأصغر وجه الأكبر أو كتفه. والغالب أن يدعو أصدقاء القادم صديقهم إلى دعوة عشاء أو غداء أو على القهوة بعد المغرب مع جمع من أصدقاءه. ويقول المدعو لصاحب الدعوة عند خروجه من المنزل (أكرمك الله) ويرد الداعي بقوله (حياك الله).

المساواة:

إذا استثنينا التفاضل في الأنساب والإمارة فالناس فيما سوى ذلك يكادون يتساوون في جميع ما لهم من الحقوق وما عليهم من الواجبات. والناس جميعاً سواء في نظر الشريعة الإسلامية. لا فضل لشريف ولا لسيد ولا لحاكم. إذا تعدى أي شخص كان على شخص آخر. فالحاكم الشرعي كفيل بإنصافه ورد الحق إليه.

والزبيريون ديمقراطيون بفطرتهم. وهم لا يعرفون الألقاب ولا يعتبرونها يدعو بعضهم البعض بأسمائهم المجردة أو بابي فلان إذا كان كبيراً في السن.

عادات أهل الزبير في شهر رمضان:

شهر رمضان معروف في العالم الإسلامي كله. فرض الله سبحانه وتعالى صيامه وصيام شهر رمضان كما هو معروف فرض من فروض الإسلام الخمسة. التي أولها (شهادة أن لا إله إلا الله) وأن محمدا عبده ورسوله. وثانيها إقامة الصلاة. وثالثها: إيتاء الزكاة. ورابعها: صوم شهر رمضان وخامسها: حج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلا).

ويحل شهر رمضان برؤية الهلال في مساء آخر يوم من شعبان، أو إكمال عدة شعبان ثلاثين يوما.

وفي أول ليلة من رمضان، بعد صلاة المغرب تقرع الطبول في الأسواق والطرقات تأكيداً لرؤية الهلال. وفي منتصف كل ليلة تقرع الطبول في كل حي من المدينة كي يستيقظ الناس من النوم لصنع طعام (السحور) ويسمى قارع الطبل (أبو طبيلة) وبعد انتهاء الشهر وعند حلول موسم التمر يقوم بضرب الطبل أمام البيوت فمنهم من يعطيه التمر ومنهم من يعطيه نقودا. وعند حلول شهر رمضان يهنئ بعضهم بعضا. بقولهم (مبارك عليك الشهر) ويرد المخاطب قائلاً (علينا وعليكم بالأعمال الصالحة).

ومن عاداتهم أيضاً أن يقوم كل منهم بزيارة أقاربه مهنئاً، وتفتح (الدواوين) ويزور بعضهم البعض.

أما الأغنياء فربما يعدون طعام الإفطار في بيوتهم. وقد اعتاد بعض الفقراء الإفطار عندهم في منازلهم.

(أما زكاة الفطر (الفطرة) فهي معروفة لدى جميع المسلمين تدفع عن كل مسلم ذكرٍ كان أم أنثى صغير أو كبير (وحتى الجنين الذي هو في بطن أمه). وقدرها صاع من تمر أو صاع من بر أو زبيب أو غير ذلك على أن يكون من غالب قوت أهل البلد). ويتصدق الأغنياء على الفقراء في كل وقت. خصوصاً في شهر رمضان. ويحرص القوم على أداء الصلاة في المساجد مع الجماعة وحتى النساء يسمح لهن بالخروج لصلاة (التراويح) في المساجد في مكان خاص أعد لهن خلف الرجال محاطاً بستار.

الطعـام:

والعادة في الطعام (الأكل) أن تقدم قصعة واحدة أو عدة قصعات إذا كان العدد كبيرا. ويحيط عدد قليل أو كثير بالقصعة. بدون تفاوت في منزلتهم يأكلون جميعاً بأيديهم من قصعة واحدة. والعادة أن الإنسان إذا شبع يكف عن الأكل ولا يقوم حتى يقوم الجميع مرة واحدة. فإذا قام واحد خطأ قام الجميع. ويعدون بقاء البعض بعد قيام بعض الآكلين من الشره. والنساء في العادة لا يأكلن مع الرجال بل يأكلن على حده ومن العيوب العظيمة أن تأكل المرأة مع زوجها. أو الأم مع أولادها الكبار. أما الأطفال الصغار فيأكلون مع أبيهم أو أمهم. ولكن إذا كبرت البنات انفصلن في الأكل عن أبيهن وصرن يأكلن مع أمهن فقط، وهذه العادة ليست خاصة في الزبير بل في الكويت ونجد.

والعادة في الطعام أن لا يجهز بكمية تناسب الآكلين فالبيت الذي يضم ثلاثة أنفار مثلاً. يحضر الطعام فيه لخمسة أو ستة احتياطاً للطوارئ فإذا لم يحضر ضيف أعطي الطعام للفقراء أو القي للحيوانات. وطريقة طبخ الطعام مختلفة. كما أن أنواع الطعام أيضاً عديدة.

ومن طرق إكرام الضيف تقديم القهوة. والعادة أن يصب للضيف بضع قطرات من القوة ثم يتكرر الصب مرة أخرى حتى يهز الضيف يده مكتفياً. والقهوة في كل البلاد العربية تحضر بدون سكر. والقهوة من إمارات الكرم. كما جرت العادة أن يتناول الفنجان الأول صاحب البيت إن كان هو المتولي لخدمة ضيوفه. أو الخادم المتولي للصب. والغالب في الضيافات أن يُرش الضيف بماء الورد والبخور من قبل زيادة الإكرام. وإذا أحضر للضيف بخور العود أو ماء الورد. فلا يجوز المكث بعد ذلك. ومن قبل الأمثال الدارجة (ما بعد العود قعود).

ويطلق على المرش (قمقم) (وهي كلمة فارسية الأصل أن لم تكن تركية) إشارة للضيف قم ولا تجلس. ولذا أكثر المضيفين يأخرون ماء الورد والبخور حتى لا يهم الضيف بالانصراف. (ومن العادات الإسلامية التي لا يزال أهل نجد محافظين عليها الانصراف بعد الأكل بقليل (فإذا طعمتم فانتشروا) والدعوة إلى شرب القهوة. كالدعوة إلى شرب الشاي في البلاد المتمدنة ولا شيء ينال من إحساس العربي أكثر من إهانة الضيف أو أن يسخر أحد من الجالسين في مجلس بشخص آخر مهما كانت منزلته. أو يأتي بغيبة أي شخص غائب ويعتبر مثل هذا إهانة لصاحب المجلس نفسه. كما أن صاحب المجلس يكون مسئولا ومعاتبا عما يحدث في مجلسه. وأكثر الناس لا يسمحون للمغتابين والذين يخوضون في أعراض الناس بارتياد مجالسهم خشية من المشاكل والفتن التي تحدث بسببهم...

المـرأة:

المرأة على العموم في الزبير غير متعلمة. ولكنهن في الغالب يتعلمن في صغرهن قراءة القرآن الكريـم وشؤون المنـزل. أمـا الكتابة فلا تعـرف إلا نادراً ولقـد قامت قيامة أهـل الزبير حول موضوع تعليم البنات سـابقاً (أما الآن فقليل من البنات غير متعلمات) وفي السابق يعتبر تعليم المرأة من العيوب النسائية (أما في الوقت الحاضر فيعتبر جهلها من العيوب).

ولقـد كانـت النساء في الزبير يلازمن بيوتهـن ولا يخرجن منها إلا لـضرورة قصوى كزيارة الأقـارب أو عيـادة المرضى. ويكون ذلك غالباً في الليل ومن المفاخـر عند الزبيريين أن المرأة لا تخرج من بيتهـا إلا بإذن من زوجها وليس للمـرأة رأي حتى في الـزواج. فأهلها يوافقون على الـزواج وهـي تخبر به على سـبيل الأخبـار فقط. وليس لهـا حق الاعـتراض وإن اعترضت فلا يسمع لها رأي.

والغالـب في الـزواج التبكير في الرجل والمرأة وكان من الشـائع إجبار بنت العم على الزواج مـن ابـن عمها. وليس لها أن تتزوج بأجنبي إلا إذا أذن ابن العم لها بذلك. وقد يحدث الخلاف بين أبناء العم أيهم أولى بالزواج.

ومـع أن الرسـول صلى الله عليه وسـلم أذن برؤية الزوجة قبـل الزواج، فإن هـذا الاذن لا يعـرف مطلقاً ويعتبر من العيوب عند أهل الزبير. فالزواج يتم بدون أن يرى الزوج زوجته إلا ليلة الزفاف.

(أما في الوقت الحاضر فالمرأة هـي صاحبة الأمر والنهي. لا ينفـذ شيء إلا بأذنها حتى وإن كان ذلـك خلافـاً للعـادات والتقاليـد العربيـة الموروثة من الآبـاء والأجداد. فهنـاك نجد من ينادي بحرية المرأة والسفور وغير ذلك من عادات وتقاليد الأمم الشرقية أو الغربية. كمساواة المـرأة بالرجـل في جميع الحقوق والواجبـات (في الوقت الـذي جعل الله سـبحانه وتعالى المرأة نصـف الرجـل بـكل شيء بالميراث وفي الشـهادة وغير ذلك وقـال تعالى في محكـم كتابه العزيز **(الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض)**.

الـزواج:

(الزبيريون كغيرهم لا يتصاهرون إلا مع من يكافأ معهم حسباً ونسبا) وعادتهم عند الزواج أن يقوم والد الزوج أو ولي أمره بالاتصال بوالد الزوجة أو ولي أمرها شفهياً أو يكون الاتصال أحياناً بواسطة شخص آخر أو كتاب ويسمى هذا الاتصال (الخطبة).

وبعـد أن يتشـاور أهـل الزوجـة فيـما بينهم ويتراجعـون في الموضوع ويسـألون عـن الزوج وأخلاقـه وأهله، وهل الزوج أهـلٌ للزواج يعطون رأيهم بالموافقـة أو عدمها. ويكون الرفض بعذر مقبول (كصغر السن أو ما شابه ذلك).

وبعد موافقة أهل الزوجة يدفع الزوج مبلغاً من النقود يسمى (الدزه) ثم بعد ذلك يتفق على موعد (الزفاف) وذلك بعد العقد الشرعي على الزواج. فإذا كان اليوم المتفق عليه أعلن الزوج ذلك ودعى أصحابه وأصدقائه.

وقد جرت العادة أن يؤدي الزوج صلاة العشـاء في المسـجد. وبعد انتهاء الصلاة يخرج من المسـجد متوجهاً إلى منزله يحيط به أصدقاءه والمدعـوون وفي (ديوانية) الزوج يتناول المدعوون القهـوة الخاصة وتكون عادةً حلوة ممزوجة بالسكر. ثم يطاف عليهم بماء الورد والبخور وإذا كان منـزل الزوج صغيراً، تطلب ديوانية أقرب المجاورين له. ولا يرون في ذلك شـيئاً بل حق الجار على الجار.

هذا وأصدقاء (العريس) وأقاربه كثيراً ما يساعدونه إذا كان فقير الحال. ويعتبرون هذا واجباً عليهم نحو صديقهم أو قريبهم. وربما أعاروه ملابس الزواج إذا كان لا يملك ملابس تناسب الزواج، ويسـاعد المجاورين أهل الزوج في أسبوع الزواج. ويقدمون لهم كل ما يحتاجون من ملابس وحلي ومفروشات للزينة أمام الناس في أيام الزواج. وبعد أن يهنأ الزوج بزواجه وتقدم التهاني أيضاً إلى أهله وأقاربه من الذكور الموجودين معه. يدخل الزوج مع لفيف من أصدقاءه وأقاربه إلى البيت. وسط صفوف من النساء يحيين الزوج ومن معه بالهلاهيل (الزغاريد) وبعد بضعـة دقائق مـن إقامتهم في الحجـرة، يطاف عليهم بماء الـورد والبخور ثـم ينصرفون ويبقى الزوج وحده في الحجرة. وبعد دقائق تحضر الزوجة محوطة بأقاربها، وتقدم إلى الزوج.

ويقيم الزوج وليمة يدعو إليها أصدقاءه وأقاربه بمناسبة زواجه.

الولادة والحضانة:

المرأة في الزبير لها القدرة الكافية على أن تقوم بواجب القابلة لنفسها في أي وقت وعلى أي وضع كان إضافة إلى وجود مولدات (قابلات) متمرنات على حرفة التوليد. والأم هي التي (ترضع وتحضن) وتربي الولد بصورة عامة. ولكن البعض يترك حضانة الولد ورضاعته إلى غير أمه حتى ولو كانت قادرة على ذلك.

الختـــان:

ويسمونه (الطهر) وقليلاً من أهل الزبير من يطهر ابنه وهو في دور الرضاعة بل أغلبهم لا يختن ابنه إلا إذا بلغ أربع سنوات أو خمس. وربما تجاوزوا هذا السن إلى تسع سنوات أو عشر. ويقوم بعملية الختان هذه عادةً بعض (الحلاقين) الذين يتقنون هذه المهنة.

التربية والتعليم:

الزبيريون كغيرهم يعتنون بتربية أولادهم سواءً كانوا ذكوراً أو إناثا يعلمونهم ما ينفعهم في دينهم ودنياهم.

فهم لا يزوجون بناتهم إلا من أزواج أكفاء تتوفر فيهم الديانة والأخلاق الحسنة والاستقامة والرجولة بكاملها. كما أنهم لا يختارون زوجات لأولادهم إلا من أسر كريمة. تتكافأ معهم حسبا ونسبا. ويعتنون بالأولاد عناية كبيرة. حيث أن الأب لا يفارق ابنه والابن لا يفارق أباه إلا إذا كبر. والقصد من ذلك هو أن يتعلم الأبناء من الآباء الخصال الطيبة والسجايا الحميدة. وكثيراً ما يرافق الأبناء آباءهم في العمل وفي السفر والصيد وغيره.

ويرسل الأولاد إلى الكتاتيب (الملالي) وهي المدارس المعروفة في ذلك الوقت. يتعلمون القرآن الكريم والكتابة والقراءة وبقية العلوم الأخرى المعروفة في ذلك الوقت. فمنهم من يكمل تعليمه ومنهم من يترك فتكون نتيجته الحرمان في المستقبل. وقد كانت هذه (الملالي) تقوم مقام المدارس النظامية في الوقت الحاضر.

أما البنات فانهن يرسلن إلى النساء المتعلمات يتعلمن على أيديهن القرآن الكريم فقط. وربما تعلمن القراءة والكتابة ولكن هذا لا يكون إلا نادراً. وإذا بلغت البنت الحادية عشرة أو الثانية عشرة من عمرها تمنع منعاً باتاً من الخروج من المنزل أو الوقوف في باب المنزل أو قربه ولا يراها أحد حتى على سطح المنزل ويطلقون على هذا الحجر اسم (تخفير) وتبقى البنت هكذا حتى زواجها وعندئذ يكون زوجها مسؤول عنها.

(ولكن هذه العادة تغيرت الآن كما تغير كل شيء في كل مكان وأخذ الناس يسيرون مع موكب الحضارة العصرية).

عاداتهم عند الموت:

الموت سنة الله في خلقه وفي الآية الكريمة (**فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون**) فكل حي مصيره الفناء والبقاء لله الواحد القهار. والمسلم لا يعترف لغير الله بقدرة في هذا الكون. ويعتقد بأن ما هو مكتوب عليه لابد وأن يقع. ولهذا لا يتكل على غير الله ولا يخضع لأحد غيره سبحانه وتعالى.

(وهذه سنة أهل التوحيد).

والزبيريون موحدون بفطرتهم لا يشركون مع الله أحدا ولا يعتقدون بغير الله. وقد نهى النبي محمد صلى الله عليه وسلم أن يدعى أحد غير الله. والدعاء لغير الله شرك. والشرك كفر. وقد جاء في الحديث الشريف (أن الله سبحانه وتعالى يغفر جميع الذنوب إذا شاء ولكن لا يغفر لمن أشرك به).

ولهذا نرى الموحدين لا يندبون ميتاً ولا يحزنون على عزيز مات، فهم يعتقدون أن الإنسان أمانة الله أعطاها ثم استردها ولصاحب الأمانة الحق في استردادها متى شاء.

وفي الزبير إذا مات الميت يغسل ويكفن ويصلى عليه ويدفن حسب الآداب الإسلامية. وبعد الفراغ من الدفن يقف ذووه صفاً واحداً لاستقبال تعازي المشيعين. ويحرص ذوي الميت وأقاربه وجيرانه وأصدقائه وغيرهم ممن يعرفه أو لا يعرفه على الحضور أمام المنزل لتشييع الجنازة. وحملها على الأكتاف إلى المسجد وعادةً يكون (مسجد الدروازة) لقربه من المقبرة وبعد الفراغ من الصلاة على الجنازة تحمل على الأكتاف حتى المقبرة وتوارى التراب.

ولا تقيم النساء العزاء في بيوتهن كما يفعل ذلك أهل المدن وأهل البدع والخرافات[1]. وقد نهى النبي محمد صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال (ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب

---

(١) يقف بعض العلماء في الوقت الحاضر ضد البدع والخرافات ولاسيما ما كانت وسيلة للشرك، كالتمسح بالقبور والصلاة عندها وطلب الحاجة منها وفضيلة الشيخ (محمد بن عبد الرحمن السند) إمام وخطيب مسجد النجادة هو أشد المكافحين لهذه البدع والضلالات والداعين إلى التوحيد - المؤلف.

ودعى بدعوى الجاهلية) وقال أيضاً (لعن الله العدادات والنواحات) وأهل الميت لا يضعون الطعام لدعوى الناس إليه. كما يفعل ذلك أهل المدن. ولكن الأغنياء من المجاورين يصنعون طعاماً لأهل الميت لمدة ثلاثة أيام فقط. ويقال أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم أمر أهله أن يصنعوا طعاماً لأهل جعفر بن أبي طالب وقال (أصنعوا لآل طالب طعاماً فقد أتاهم ما يشغلهم) وقد جاء في الحديث الشريف. لا حزن بعد ثلاثة أيام.

ويقول المعزي (عظم الله أجرك) ويرد المخاطب (استجاب الله دعاك).

الطب والتمريض:

كان أهل الزبير يعتمدون في التداوي على الطب القديم وتجارب المجربين وقد كان ولا يزال الكثيرون يحترفون التطبيب العربي مما يضعه لهم عجائز الحي وشيوخه. وقد اشتهر الكثيرون من النساء والرجال بمعرفة هذا النوع من الطب واتخذه البعض مهنة لهم.

وكثيراً ما يشفى بعض المرضى من الوصفات التي يصفها هؤلاء المتطببون والتي تكون على الأكثر مركبة من الحشائش والنباتات البرية. وقد برز رجال مشهورون بإخراج العظام المكسورة، ومعالجة جميع أنواع الكسور والرضوض واستعمال الكي. وغير ذلك من أنواع الطب العربي القديم وكثيراً ما يكتب للمرضى الشفاء. ولكنهم لا يهتمون بالأمراض المعدية والسارية التي تنتقل بواسطة العدوى. والتي خطرها أكبر وانتشارها أكثر كالجدري، والسل، والكوليرا وغير ذلك من الأمراض، وتكثر الوفيات بين الأطفال الذين هم في دور الرضاعة. وذلك إما لمرض أمه لإصابتها بمرض معدٍ ينتقل إلى الطفل أو أن يكون الطفل نفسه مريضاً وبين فترة وأخرى تجتاح الزبير بعض الأوبئة. التي تنتشر بين الناس انتشار النار بالهشيم وتفتك بهم. وعندما تجتاح الزبير هذه الأمراض السريعة العدوى والانتشار، يتعذر على هؤلاء الذين لا يعرفون غير الطب العربي القديم مكافحتها وتحصين الناس منها. وعلى هذا تكثر الوفيات ويقل عدد السكان.

وقد اشتهر من أهل الزبير أناس كثيرون يتقنون الطب العربي القديم يصفونه للناس عندما يشتكي أحد من مرض. ومن أبرز هؤلاء (الحاج مثال المطيري) من قبيلة مطير المعروفة. وهو مشهور خصوصاً فيما يخص العظام وتركيبها والكي. كما تشتهر البادية بهذا النوع من الأطباء الذين كثيراً ما يأتون إلى الزبير لقضاء حاجاتهم منها. ويصفون أنواع الأدوية النباتية وغيرها من المواد الموجودة عند (العطار) والتي يستعملها كثير من المرضى. ونالوا الشفاء على أيديهم.

ومن أشهر أطباء البادية المدعو (عبود الخصيلي) من الصلبه ويعرف (بالحاج سليمان).

ومن الأدوية الشائعة للأمراض المستعصية ولاسيما الأمراض (العصبية) كتابة سورة من القرآن في صحن. ثم محو الكتابة بماء الورد ثم سقيها للمريض. ويتخذ البعض من هذا التطبيب تجارة رابحة. وعندما يصاب أحد بمرض (نفساني) أو قلق أو يصاب الأطفال بالأراق (قلة النوم) تكتب سورة (الفاتحة) وبعض سور القرآن الكريم. وعلى الأكثر تكون أول سورة (يس) تكتب بورقة وتغلف بجلده يسمونها عوذة تعلق بالرقبة أو تربط بالساعد. ومن الأدوية الشائعة لكثير من الأمراض حتى القروح المستعصية. أن يذهب أحد أقارب المريض. ومعه فنجان فيه ماء ثم يقف على باب المسجد. لينفث فيه المصلين عند خروجهم من المسجد. ومنهم من ينفث بلا قراءة. ومنهم من ينفث بعد قراءة ما يريد من قرآن ودعاء. ويداوون مرض الحصبة عند الأطفال بحجزهم في حجر مظلمة لا تدخلها الشمس وحمية الأطفال حمية تامة عن جميع المأكل ويداوون (اليرقان) الذي يسمونه أبو (صفير) بالكي في أصابع اليد والرجل. وقد كانوا ينهون عن تنظيف العين المصابة بالرمد الصديدي الذي يسمونه (أبو طبيق) ويكتفون بمنع الطفل عن بعض المأكل. وقد تكون النتيجة أصابة الكثير بالعمى أو غيره من الأمراض.

ومن العقائد الشائعة في الزبير أن الجروح تشم أو تتأثر بالروائح العطرية فتنتفخ وتؤذي المريض. ولذا فالجرحى يضعون قطعة من الحلتيت في خرقة يسدون فيها أنوفهم حتى لا يشموا أو حتى لا يتأثر الجرح بالروائح الطيبة.

ويعتقد بعض البسطاء من الناس بأن من يشرب ماء (السادة) أو يأكل طعامهم. لا تلدغه حية أو عقرب. ومتى ما لدغ فانهم يأتون بشيء يسمونه (خرزة السادة) توضع على مكان اللدغة.

(أما الآن فقد قل استعمال الطب القديم أو أنعدم تقريباً إلا فيما يخص كسور العظام وتجبيرها. ويشتهر ناصر بن حسن المبيض بذلك وبمهارة جيدة قد تفوق على التجبير العصري الحديث بالجبس. في بعض الأحيان. وقد زالت جيع الاعتقادات الشائعة سابقاً. وحل الطب الحديث محل الطب القديم وأخذ الناس من تلقاء أنفسهم يقبلون على التطعيم ضد الأمراض. وانتشر ذيوع الطب الحديث بسبب القضاء على الجهل وانتشار العلم والثقافة في كل مكان).

الصيد:

أهل الزبير مولعين بالصيد ولعاً كبيراً، يشدون الرحال إلى الصحراء بقصد الصيد، فمنهم من يقضي يوماً كاملاً في هذه الهواية الممتعة. ومنهم من يقضي أياماً عديدة بدون كلل أو ملل. ويستعلمون للصيد البنادق النارية أو (الصقور) وربما اقتنى البعض الكلاب السلوقية. حيث تربى عندهم وهي صغيرة، ويعتنون بتدريبها على الصيد.

أما الصقر فهو عادة يصطاده الصيادون في فصل الخريف. ويعتنون به وبتدريبه على الصيد. وقد يعهد إلى أناس يكونون على الأكثر من (الصلبة) بتربية الصقور والعناية بها وبتدريبها يطلقون عليه اسم (صقار) نسبة إلى الصقر.

(أما الطريقة التي يعملها الصيادون الذين يصطادون الصقور فهي على الوجه الآتي:

يقومون أولاً بصيد الحمام البري (الجميري) الذي يكثر في آخر فصل الصيف وأوائل الخريف وبواسطته تصطاد الصقور في أماكن مختلفة مثل (النخيله) شمال الزبير أو البحر جنوباً. ويختفي الصياد في مكان يعده لنفسه ثم يطلق الحمامة بعد أن تربط رجلها بحبل ناعم وقوي. وإذا شاهد الصقر الحمامة من بعيد. قدم إليها محاولاً افتراسها. ولكن الصياد لا يعطيه الفرصة بل يجر الحبل شيئاً فشيئاً. كي يتبعها الصقر إلى أن تصل الحمامة إلى الشبكة. والصقر يعدو وراءها ثم يقع في شباك الصيد فيأتي إليه الصياد ويأخذه منها. وبعض الصيادين الغير متمرنين أو الذين تأخذهم الغفلة. فإن الصقر يعدو على الحمامة يفترسها وهي في الجو أو يقتلها قبل أن يتخذ الصياد ما يجب اتخاذه وكثيراً ما يربح الصيادون من صيدهم ولكنهم أحياناً يعودون بخفي حنين صفر اليدين. ومن أشهر أنواع الصيد البري الظباء، والأرانب، والحباري، والحمام، والقطا ولكل منها مواسم خاصة مع وجودها في المواسم الأخرى أحياناً. فتكون (الظباء) على الأكثر في فصل الصيف (والأرانب) في ليالي الصيف المقمرة. (والحباري) في فصل الربيع. (والحمام) في الخريف. (والقطا) في الصيف خصوصاً عند موارد المياه. وقد كانت (كويبده) مشهورة بكثرة (القطا).

وتستعمل بنادق الصيد لجميع أنواع الصيد. أما الكلاب السلوقية فإنها تساعد في صيد الأرانب والظباء. كما أن الصقور تستعمل لصيد الحباري. أما الآن فقد أنعدم استعمال الكلاب السلوقية. وقل استعمال الصقور. وانصراف أغلب الناس عن الصيد.

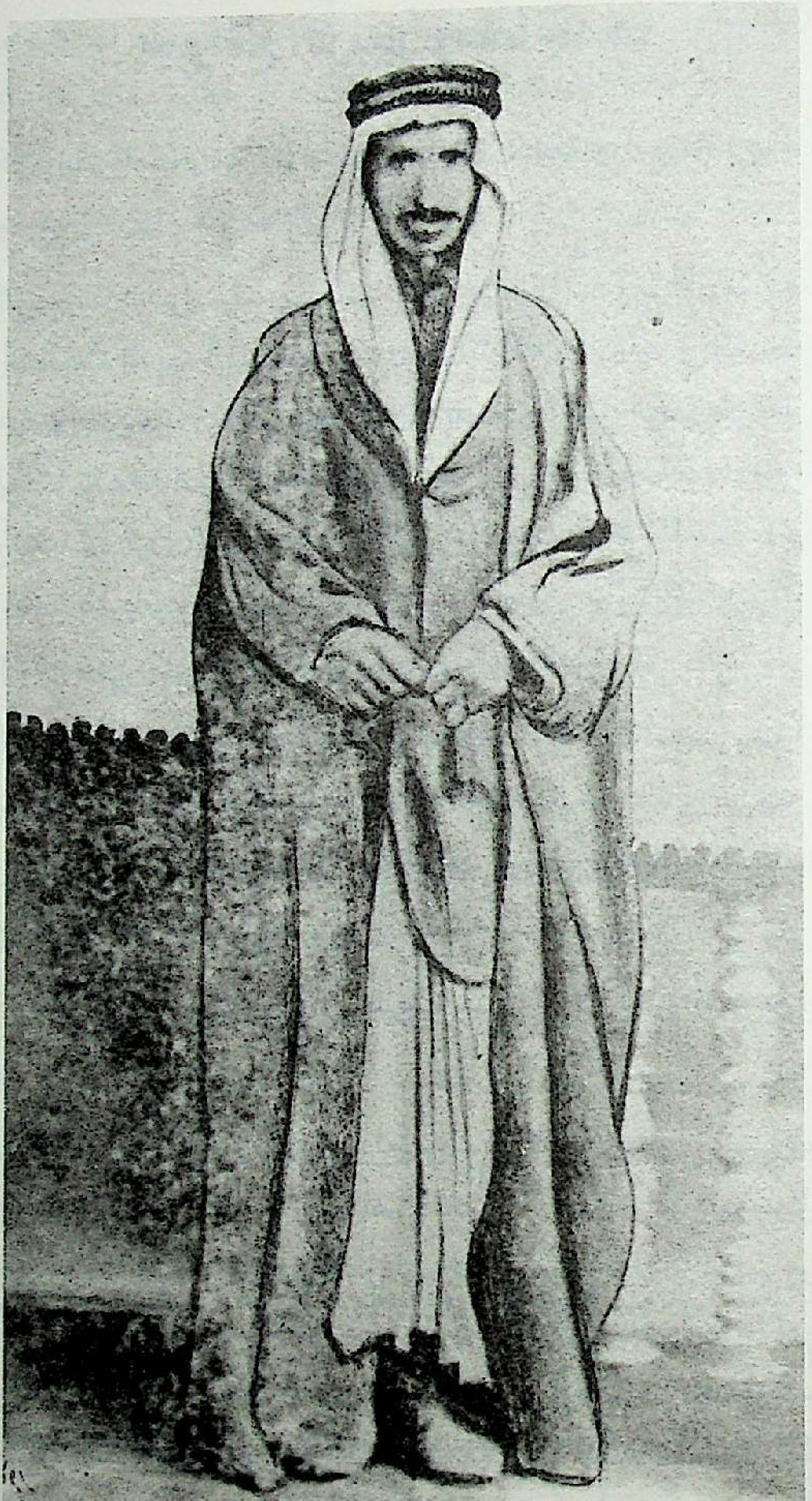
عادات أخرى:

وهناك بعض العادات التي انقرضت تماماً. أو في طريقها إلى الزوال منها:- أنهم في آخر يوم من شعبان يصنعون طعاماً. يكون غذاء جيدا باعتبار اليوم الذي يليه غرة رمضان. ويجتمع الجيران من النساء فقط. في بيت أحداهن كل واحدةٍ تأتي بطعامها كما هي العادة في طعام العيد. ولكن طعام العيد يكون في الشوارع ويختص به الرجال. أما طعام آخر يوم من شهر شعبان. فيكون في أحد البيوت. وتختص به النساء ويسمون هذا اليوم يوم (الكريش). ويحيي البعض ليلة (النصف من شهر شعبان) بالدعاء وقراءة القرآن كما أن البعض الآخر من الصبيان يحييها باستعمال البوتاس وإشعال الشموع والطرب.

ويجوب الصبيان الشوارع والطرقات. يطوفون البيوت في ليلة الخامس عشر من شهر رمضان. حيث توزع عليهم المكسرات والزبيب والفستق وغيرها من الحلويات ويسمونه (كركيعان) كما أن بعض نساء الحي يجتمعن في بعض البيوت حتى وقت السحور للتسلية.

ويعتقد بعض النساء والجهلة من الرجال أن ليلة (التاسع) من ذي الحجة من الليالي المباركة. فيقومون بطلاء بقعة من الأبواب والشبابيك المقابلة للقبلة. وكذلك يطلون بقعة من الحيوانات البيضاء أو التي يغلب البياض على أكثر جسمها، كالغنم، والبقر، والدجاج. ويكون الطلاء أما فوق الرأس أو على الظهر.

وتقام الموالد الشريفة في مناسبات مختلفة منها. ذكرى ميلاد (النبي محمد صلى الله عليه وسلم) في الثاني عشر من ربيع الأول. وليلة الإسراء والمعراج. في يوم ستة وعشرين رجب. كما تقام الموالد عند الختان، أو العودة من أداء فريضة الحج، أو من سفر طويل والشفاء من مرض مزمن...



عبود الخصيلي (طبيب البادية) من الصلبه ويعرف بالحاج سليمان



رجل من أهل الزبير يحمل بيده صقراً

جوامع الزبير ومساجدها

في الزبير الآن نحو خمسة وعشرون مسجداً منها نحو سبعة جوامع تقام فيها صلاة الجمعة وهذه الجوامع هي:

١- **جامع الزبير بن العوام:** يقع وسط البلدة في محلة الكوت. وهو أول مسجد أسس في الزبير. أنشأه الأتراك بعد أن احتلوا البصرة سنة (٩٥٣هـ) أما تأسيس المسجد فهو في سنة (٩٧٩هـ). وأطلق عليه هذا الاسم نسبة إلى الصحابي الجليل الزبير بن العوام رضي الله عنه وفي داخل المسجد ضريح الزبير رضي الله عنه تعلوه قبة. وبالقرب منه من جهة الشرق ضريح (عتبة بن غزوان) مؤسس مدينة البصرة القديمة. أما بناء المسجد (عمارته الحالية القائمة الآن) فقد قامت على نفقة المرحوم الشيخ (قاسم بن محمد الإبراهيم (أهل الدورة) سنة ١٣٣٥هـ وبإشراف المرحوم الشيخ (عذبي المحمد الصباح).

٢- **جامع (النجادة):** لم نقف على تاريخ تأسيسه بالضبط. ويقال أنه أسس سنة (١٠٠٣هـ) وقيل سنة (١٠٠٧هـ) وقد أطلق عليه اسم النجادة نسبة إلى الذين يسكنون حوله من أهل الزبير الذين انحدروا من نجد في ذلك الوقت. أما عمارته الحالية. فقد قامت على نفقة المرحوم الشيخ (عبد الله السالم الصباح أمير دولة الكويت السابق).

(ويذكر الرحالة الألماني (نيبور) الذي زار البصرة سنة (١٧٦٥م) الموافق سنة (١١٧٨هـ) تقريباً قوله.

ولما كان المسلمون يرغبون في أن يدفنوا موتاهم بجانب أوليائهم. فما زال كثير من الأموات يجلبون من البصرة الحديثة إلى البصرة القديمة (الزبير). لقد دمرت المدينة في أنها إلا حد كبير. حتى أنه لم يباشر بتشييد بعض البيوت الصغيرة حول قبر الزبير من جديد إلا منذ ثلاثين أو أربعين سنة وقد سميت البصرة القديمة منذ ذلك الحين (بالزبير) وسكن هذا المكان منذ ثمانية أو عشرة أعوام عدد غفير من السنة الذين طردهم من نجد مؤسس المذهب الجديد عبد الوهاب[1] حتى أصبح بالإمكان تسمية الزبير بالمدينة الصغيرة وذلك لأنه شيد هناك (جامع آخر إضافة إلى الجامع المذكور) انتهى كلام نيبور.

(١) أخطأ نيبور بذكره أن أهل الزبير طردوا من نجد: الحقيقة أنهم هم انحدوا من تلقاء أنفسهم ولم يطردهم أحد، وأما عن ذكر عبد الوهاب، الصحيح هو: الشيخ محمد بن عبد الوهاب مجدد المذهب الحنبلي ولم يأت بمذهب جديد بل هو مصلح عظيم.

٣- **جامع (الخشيرم):** يقع في محلة الزهيرية. أسسه محمد الخشيرم ويعرف الآن باسم (مسجد الحنيف) نسبة إلى عائلة الحنيف. الذين توارثوا الإمامة والخطابة فيه أكثر من مائة سنة. كان إمامه الشيخ جاسم الحنيف المتوفي سنة (١٣٠٠هـ) ثم ابنه يوسف المتوفي سنة (١٣٤١هـ) ثم محمود المتوفي قبل بضع سنوات. أما إمامه وخطيبه الحالي فهو الشيخ عباس رشيد الأعظمي البغدادي.

٤- **جامع النقيب:** يقع جنوبي السوق في المكان المعروف (دروازة الدريهمية) أسسه المرحوم السيد أحمد بن السيد محمد سعيد النقيب سنة (١٣٠٧هـ) وفي وسطه قبر تعلوه قبة صغيرة هو قبر (السيد يعقوب النقيب) وقد توفي السيد أحمد النقيب مؤسس الجامع في ٢٨ جمادى الآخرة سنة ١٣٢٣هـ أما والده السيد محمد سعيد النقيب فقد توفي في ربيع الأول سنة ١٣١٤هـ.

٥- **جامع الرشيدية:** يقع وسط محلة الرشيدية على الشارع العام تأسس سنة (١٣١٠هـ) ويقول ابن غملاس في كتابه (المساجد والأئمة) خططت محلة الرشيدية سنة (١٣١٠هـ) وتأسس المسجد وفرغ من بنائه سنة (١٣١٣هـ) ومؤسسه هو محمد الصبيح. وقد جدد بناء هذا الجامع سنة (١٣٧٢هـ) الموافق (١٩٥٣م) على نفقة الحاج صبيح البراك الصبيح.

٦- **مسجد مزعل:** في محلة الشمال شرق البلده. ويقال أن محلة الشمال كانت تسمى سابقاً (العزيزية) ومؤسس هذا الجامع هو مزعل باشا السعدون سنة (١٣٢٤هـ).

٧- **جامع (المنتفك):** يقع غربي البلدة في محلة العرب. أسسه الحاج عبد الله عبد اللطيف العثمان التاجر الكويتي المعروف. وقد توفي المؤسس في تلك السنة (١٣٨٥هـ).

٨- **مسجد الرواف:** يقع شرقي السوق. وهو من المساجد القديمة في الزبير. ويقال أن مؤسسه هو محمد الرواف.

٩- **مسجد المجصة:** جنوب الشارع العام (الباطن) وهو أيضاً من المساجد القديمة في الزبير أسسه السميط.

١٠- **مسجد غانم:** يقع في المجصة جنوبي مسجد المجصة. أسسه غانم الغانم ويعرف الآن باسم (مسجد بن لاحق) ولا نعلم كيف لحقه هذا الاسم.

١١- **مسجد الزهيرية:** مؤسسه الحاج إبراهيم عبد اللطيف الزهير سنة (١٣١٧هـ) عندما قام المذكور بتخطيط محلة الزهيرية. وزاد فيه محمد بن براك العصيمي.

١٢ - **مسجد البسام:** يقع في بقشة الرشيد المعروفة على الشارع العام مؤسسه هو علي المحمد البسام سنة (١٣٨٤هـ).

١٣ - **مسجد الخال:** يقع شرقي جامع النقيب أسسه عبد الله الخال سنة (١٣١٠هـ) وقد توفي عبد الله الخال سنة ١٣١٤ عن ولد اسمه أحمد وتوفي سنة ١٣٨٩هـ.

١٤ - **مسجد الخضيري:** مؤسسه علي العبد العزيز الخضيري. والمسجد مقابل بيت السيد هاشم النقيب في محلة الكوت.

١٥ - **مسجد المشري:** يقع في محلة الكوت قرب بيوت المشري وهو من المساجد القديمة لم نقف على تاريخ تأسيسه غير أن أول إمام فيه توفي سنة ١٢٩٥هـ حسب ما رواه ابن غملاس في كتابه المخطوط. وأما مؤسسه هو حسين باشا المشري المتوفي في ١٨ رجب سنة ١٣٢٠هـ ويعرف (بمسجد الكوت).

١٦ - **مسجد القرطاس:** يقع قبالة جامع الزبير أسسه الحاج عيسى القرطاس والد عبد الوهاب باشا القرطاس سنة (١٣٠٧هـ) أما وفاة المؤسس فهي في سنة ١٣٠٨هـ.

١٧ - **مسجد الدروازة:** يقع وسط السوق. ويقال إن مكانه كان سابقاً مزرعة يملكها عبد المحسن الخترش وقد قام المذكور ببناء دار لتوضع فيها توابيت الموتى. ثم أنه وسع تلك الدار وجعلها مسجداً. وأطلق عليه اسم مسجد الدروازه. لأن موقعه عند باب السور القبلي. وهو الباب الذي تخرج منه الجنائز إلى المقبرة وقد اعتاد أهل الزبير الصلاة على الجنائز في هذا المسجد لكونه قريباً من المقبره. وفي سنة (١٣٠٠هـ) أمر المرحوم عبد الله[1] المشري بتوسعة المسجد وإعادة بنائه من جديد على نفقته الخاصة.

١٨ - **مسجد الذكير:** يقع في محلة الرشيدية. قرب مدرسة النجاة الأهلية. مجاوراً لها من جهة الجنوب وقد أسس هذا المسجد سليمان وحمد الذكير سنة ١٣٤١هـ.

١٩ - **مسجد ديم خزام:** قبلي البلدة أسسه محمد بن فوزان الدليجان سنة (١٣١١هـ). أطلق عليه هذا الاسم لكونه في موضع يعرف (بديم خزام) يقال أن جمل عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها عقر في هذا المكان أثناء وقعة الجمل الشهيرة سنة (٣٨هـ).

---

(١) توفي عبد الله المشري في ٨ ربيع الثاني سنة ١٣٢١هـ.



(حاتم الزبير) المرحوم عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن المشري المشهور (بكرمه وجوده وإحسانه)

٢٠- **مسجد (الحصي):** وسط البلدة عن السوق شمالاً وقد ذكر عبد الله بن إبراهيم الغملاس في كتابه المخطوط (الأئمة والمساجد) أن مؤسسي هذا المسجد هم الحسن والمطلق. ويقول غيره أسسه الملحم والله أعلم. غير أن أول إمام فيه هو الشيخ محمد الدايل المتوفي سنة ١٣٢٠هـ.

٢١- **مسجد الباطن:** يقع شمال الباطن. وهو من المساجد القديمة. أسسه عثمان آل زهير جد المرحوم قاسم باشا بن محمد الزهير. وأول إمام كان فيه هو الشيخ عبد الله بن جميعان الذي تولى القضاء في الزبير من سنة ١٢٧٦هـ حتى سنة ١٢٨٥هـ.

٢٢- **مسجد سوق الجت (البرسيم):** يقع في وسط المدينة في سوق الجت المعروف. تأسس سنة (١٢٥٣هـ) أسسته فاطمة بنت حمد بن إبراهيم البسام المتوفية في بغداد سنة (١٢٥٨هـ) وقد كان المرحوم الشيخ صالح المبيض قاضي الزبير إماماً فيه من سنة ١٢٩٦هـ حتى وفاته سنة ١٣١هـ.

٢٣- **مسجد الإبراهيم:** يقع وسط البلده على الشارع العام. اختلفت الروايات فيمن هو مؤسسه فمنهم من قال الإبراهيم. ومنهم من يقول الشبلي ويقول آخرون غير ذلك. ولكن أطلق عليه اسم مسجد الإبراهيم لكونه ملاصقاً منزل عبد الرحمن الإبراهيم الراشد ثم ابنه الشيخ عبد الله الإبراهيم. ولم نوفق أيضاً بتاريخ تأسيسه بالضبط. إلا أن أول إمام كان فيه هو المرحوم عبد العزيز المكينزي المتوفي سنة ١٣٨٩هـ.

٢٤- **مسجد الخمسة:** يطلق عليه هذا الاسم ولا نعرف سبب هذه التسمية. كما أننا لم نقف على تاريخ تأسيسه. ويقال أن مؤسسة هو عبد المحسن الشدي وقيل أسسه العبد الكريم. ويجوز أن تكون الرواية الأخيرة هي الأصح لتواترها عند الناس. يقع في محلة الشمال جنوبي الشارع العام.

٢٥- **مسجد بن فرج:** مسجد بن فرج يقع شمال البلدة في محلة الرشيدية. أما كيف تأسس هذا المسجد. لقد كان قرب مسجد ديم خزام عنه شمالاً مسجداً صغيراً يسمى (مسجد بن رفه) مسوراً بجدار قليل الارتفاع وهذا المسجد هو مكان (بيت سعد الجاسم وبيت عبد الله المنيف) الآن. وعندما تولى الشيخ إبراهيم بن عبد الله الإبراهيم مشيخة الزبير. أمر بإزالة هذا المسجد لكونه قريباً من مسجد ديم خزام. وتحويله إلى مكان آخر شمال البلدة. فاختط أرض قرب مزرعة ناصر الشماس لتكون مسجداً ولكنه تركها بدون بناء. ترك

هذه الأرض مدة من الزمن لعدم وجود بناء هناك آنذاك. ومنذ أكثر من أربعين سنة تقريباً أسس المرحوم ناصر الفرج هذا المسجد. وقد أحاطه من جهاته الأربع بجدار ارتفاعه ثلاثة أمتار تقريباً. وتركه لعدم وجود سكان في تلك المنطقة. ولضعف حاله من الناحية المادية من الجهة الأخرى. ومنذ ثلاثين سنة تقريباً أكمل الحاج محمد الناصر الصالح وإخوانه بناء المسجد. من ثلث شقيقتهم زوجة الشيخ مشاري الإبراهيم. وقد ساهمت زوجة المرحوم السيد عبد المحسن الطباطبائي. المتوفية يوم الأحد ٣ جماد الثاني سنة ١٣٩٠هـ وتبرعت في الأبواب والشبابيك بواسطة المعمار المرحوم عبد الله الحمد العليان. وقبل خمسة وعشرين سنة تقريباً جاء الحاج محمد الناصر الصالح بشخص من أهل الكويت يدعى عبد الوهاب القطامي لتصحيح قبلة المسجد فوجدت منحرفة شمالاً وهذا لا يجوز. وقد ورد في القرآن الكريم (وحيثما تكونوا فولوا وجوهكم شطره) أي المسجد الحرام في مكة المكرمة. وورد في الحديث الشريف قول النبي محمد صلى الله عليه وسلم الكعبة قبلتكم أحياءً وأمواتاً. ولما تقاعس الحاج محمد الناصر الصالح عن تصحيح القبلة نهض صالح العثمان المطير وجمع الإعانات من المحسنين. وهدم المسجد وأعاد بناءه من جديد سنة (١٣٧٣هـ) وكان أكثر من تبرع الحاج محمد الصالح وأخوانه وقدر ما تبرعوا به هو (٢٠٠) دينارا أما تكلفة المسجد فقد بلغت (٤٦٠٠) دينار.

مصلى العيد القديم:

المعروف الجامع هو الذي تقام فيه صلاة الجمعة، كالجوامع السابقة الذكر. أما المسجد فهو الذي تقام فيه بقية الفروض. ما عدا الجمعة. والمصلى هو الذي لا يوجد فيه أذان ولا إقامة (كمصلى العيد).

ويذهب بعض العلماء واتباع المذهب الحنبلي على أفضلية صلاة العيدين في الصحراء خارج البناء.

وعلى هذا الأساس اختص مصلى العيد القديم، خارج السور شمال غربي (البلدة) وأخذ الناس يخرجون لأداء صلاة العيدين في هذا المكان واستماع الخطبة ويؤم الجميع في الصلاة، إمام وخطيب (مسجد النجادة) باعتباره أكبر مساجد الزبير وأقدمها.

وفي سنة (١٣٠٠هـ) سور الحاج عيسى القرطاس المصلى من جهاته الأربع وأقام فيه محراباً للصلاة ومنبراً للخطبة. وكان قصد الحاج عيسى القرطاس من بناء الجدار حفظ المسجد من الأوساخ والقاذورات التي تلقى حوله. وفي سنة (١٣٢٧هـ) بيع مصلى العيد هذا على (علي الفريح) بمبلغ (٣٤) ليرة (وبموجب موافقة قاضي الزبير، الشيخ عبد الله بن حمود) وبعد وفاة علي الفريح سنة ١٣٣٠هـ آل المصلى إلى ابنه أحمد الفريح وفي سنة ١٣٣٥هـ باعه أحمد الفريح على الشيخ إبراهيم العبد الله البراهيم شيخ الزبير.

وفي سنة ١٣٤٣هـ بعد عودة الشيخ إبراهيم من بغداد، اتفق مع إخوته على أن يكون النصف القبلي من بيتهم ملكاً للشيخ إبراهيم، والنصف الشرقي ملكاً للشيخ محمد.

أما مصلى العيد، فيكون النصف الجنوبي للشيخ أحمد والشمالي للشيخ فهد وقد بنى الشيخ أحمد له بيتاً في قسمة وسكنه مع عائلته، وكذلك الشيخ فهد، وقد باع أخيراً الشيخ فهد بيته على الحاج عبد العزيز البسام، ثم إن ورثة المرحوم الشيخ أحمد باعوا قسمهم على المذكور بعد وفاة والدهم (هذا هو مصلى العيد القديم).

وفيما يلي نص الفتوى التي أفتى بها فضيلة الشيخ عبد الله العبد الرحمن الحمود قاضي الزبير حول بيع مصلى العيد القديم، منقولة (من كتاب ابن غملاس) المخطوط. وعنوان هذا الكتاب (الأئمة والمساجد في الزبير).

(وقد توفي الشيخ عبد الله بن إبراهيم الغملاس مؤلف هذا الكتاب نحو سنة ١٣٥٤هـ (رحمه الله).

نص الفتوى:

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين.

الحمد لله الذي شرع بناء المساجد لإقامة شرائع الدين، ووعد بانيها ابتغاء وجه الله تعالى بيتاً في أعلى عليين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الحاملين شرائع الدين صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد: فقد سئل الشيخ عبد الله بن حمود من علماء الحنابلة عن بقعة عينها أهل البلد في الصحراء من حريم البلد ومرافقه إرصاداً لمصلى العيد لتحصيل السنة.

ثم الآن انتشر حولها البنيان فانتفى عنها اسم الصحراء وكرهت الصلاة فيها لغير عذر شرعي. فحصل متشوق أن يجعلها بيتاً له ويبني عوضاً عنها مصلى عيد خارج البنيان مساحته وارتفاعه معلوم على الوجه الشرعي فأفتيته بذلك والحالة هذه على ما كتب في المذهب.

وقال في آخر الرسالة

ولا أظن بعد هذا النظر أن يفتي عاقل فاضل من أهل العلم (بوقفيته) تلك البقعة التي سُلبت اسم المصلى عنها وسلبت اسم الصحراء، صارت معطلة من كل مصلحة بل مأوى للغائط والجيف ولعب الصبيان من أهل البادية حولها وكلابهم وطريقهم. فقد اتضح بأن البقعة المسؤول عنها لا شبه في جواز التعرف فيها بوجه من الوجوه سواء كانت محدودة أو محوطة أو لا وثمنها يصرف في تعمير مصلى خارج البنيان شرعاً يتولاه حاكم أو من يعول عليه من وجوه البلد هذا مقتضى المذهب والقواعد الشرعية.

قال: وكان الفراغ في تسويدها سنة ١٣١٦هـ.

وبيعها في اليوم الثاني في شعبان سنة ١٣٢٧هـ.

مصلى العيد الحالي:

في سنة (١٣١٧هـ) تأسس مصلى العيد الموجود حالياً، والكائن غربي البلدة جنوب ديم خزام وشمال الحسن البصري. أشرف على بنائه الحاج سعد الخليوي بأمر من الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الحمود قاضي بلدة الزبير أنذاك. ثم انتقلت صلاة العيد إليه وبعد سنوات عديدة من تأسيسه تهدم بناءه (جدرانه) فأعاد الحاج محمد سليمان العقيل بناءه من جديد على نفقته الخاصة وهو البناء الموجود اليوم. وقد أحاط به البناء من كل جانب، وأصبح وسط البلدة ولا يزال إمام وخطيب مسجد (النجادة) يلقى خطبة العيد فيه كما هو سابقاً.

مدرسة الدويحس الدينية:

تأسست هذه المدرسة سنة (١١٨٥هـ) ومؤسسها هو دويحس بن عبد الله الشماس. وقد أوقف عليها (٢٠) عشرون جريباً من النخيل في البصرة (تديرها وتشرف عليها الآن دائرة أوقاف البصرة) درس فيها عدد من العلماء والمشايخ منهم الشيخ إبراهيم الجديد، والشيخ أحمد بن عثمان الجامع، والشيخ إبراهيم الغملاس، والشيخ حبيب بن قاسم آغا الكروي البغدادي،

والشيخ عبد الله العبد الرحمن الحمود. ثم عطلت الدراسة فيها وأخيراً سعى جماعة من أهل بلد الزبير بإعادة فتحها من بينهم الشيخ عبد الله الرابح والسيد عبد العزيز عمر العلي والسيد عبد الرزاق الصانع. وقد أستئنفت الدراسة فيها سنة ١٣٦٦هـ تقريباً وعين الشيخ محمد الحمد العسافي مدرساً فيها ثم عين الشيخ عبد الله بن محمد الرابح حتى سنة (١٣٨٧هـ) جمعت جميع المدارس الدينية في البصرة والزبير بمدرسة واحدة مقرها في البصرة ونقل الأستاذ الشيخ عبد الله الرابح للتدريس في هذه المدرسة ولا يزال حتى الآن.

التكيـة:

(التكية) الواقعة قرب مسجد الزبير من جهة الشمال. ويفصلها عنه الطريق العام كانت سابقاً أرض خالية من البناء يحدها شمالاً (مقبرة الرفاعي) وفي سنة (١٣٠٧هـ) أمر السيد أحمد بن السيد محمد سعيد النقيب في بناء التكية على نفقته الخاصة وجعلها مأوى يسكن فيه الفقراء (والدراويش) وبقيت على هذه الحالة حتى سنة (١٣٨٠هـ) تقريباً، حيث هدمت وأعيد بناؤها من جديد. على نفقة والدة الشيخ عبد العزيز السعود الصباح، إلا أن المشرف على البناء صالح العثمان المطير سلمها إلى دائرة أوقاف البصرة لتكون مدرسة دينية في الزبير ولكن الأوقاف أجرتها إلى دائرة المعارف. وأصبحت (روضة للأطفال) وبعد أن نقلت الروضة إلى مكان آخر في البلدة أجرت الروضة (التكية) على إمام مسجد الزبير وسكنها مع عائلته.

(أما مقبرة الرفاعي، فهي مقبرة قديمة يرجع تاريخها إلى وقت تأسيس الزبير. وكانت أسرة الرفاعي البصرية يدفنون موتاهم فيها ولكن منذ مدة طويلة من الزمن أخذت الأسرة المذكورة كغيرها تدفن في مقبرة الحسن البصري (المقبرة العمومية في الزبير).

بئر الحصي (النازوحه):

في سنة (١٣١٤هـ) قام محمد بن فوزان الدليجان مؤسس مسجد ديم خزام بحفر بئر في الحصي المعروف (النازوحه) وتقع هذه البئر قبلة الحصي قرب بيت سالم الحميد. وأمام هذا البئر حوض مستطيل الشكل متجهة نحو الشمال. وأستأجر مؤسس المشروع الخيري هذا شخصاً بمرتب شهري يقوم بسحب الماء من البئر وصبه في الحوض كي تشرب منه الحيوانات من أبل وحمير وأغنام وغيرها. وبعد وفاة محمد الدليجان قطع المرتب الشهري الذي كان يعطى للشخص الذي يقوم بسحب الماء من البئر وأخذ كل إنسان يسحب الماء من البئر بنفسه لسقي

حيواناته. وفي سنة ١٣٦٨هـ تقريباً دفنت البئر وزال أثرها بسبب دفن مستنقع الحصي المعروف وسط البلدة.

(لعبد الله بن محمد الربيعة الشاعر المعروف والمتوفي سنة ١٢٧٢هـ بستان غرسه في النخيل والأشجار (يسمى الخابور) ويقع قرب المدرسة الرشدية. وكانت مياه السيول تدخله من جهة الشمال بواسطة فتحات وتخرج شرقاً. وفي سنة ١٣٣٤هـ أمر الشيخ إبراهيم العبد الله إلبراهيم شيخ الزبير أنذاك بفتح الطريق المقابل لمسجد الحصي بعد أن أشترى البستان المذكر من محمد العبد الله الربيعة المتوفي سنة ١٣٣٦هـ وفتح الطريق والفضلة استدخلها المجاورون بثمن.

بئرا ديم خزام:

في سنة (١٣١٤هـ) أمر السيد أحمد بن السيد محمد سعيد النقيب بحفر بئر على الجانب الجنوبي من (حفرة ديم خزام) وكان ماؤها عذباً شديد العذوبة يشرب منها الناس وترد عليها المواشي، وعمل السيد أحمد النقيب حوضاً دائري الشكل تشرب منه الحيوانات.

ولما رأى السيد أحمد النقيب كثرة الناس على هذا البئر وتزاحمهم عليه كل يريد أن يستقي الماء لنفسه أو يريد أن يسقي حيواناته، أمر بحفر بئر أخرى تبعد عن البئر الأولى مسافة قريبة. وقد دفنت هاتان البئران عندما ردمت حفرة ديم خزام المشهورة والواقعة غربي البلدة (مكان بيع الأغنام في الوقت الحاضر).

بركة ديم خزام (المدي):

في سنة (١٣١٤هـ) حفر محمد بن فوزان الدليجان بئراً شمال مسجد ديم خزام وأحاط الأرض التي حولها من جوانبها الأربعة بجدار ارتفاعه ثلاثة أمتار تقريباً وغرس النخيل الموجود في ديم خزام اليوم. وأنشأ (المدي) المعروف والكائن شمالي المسجد وجعله ملاصقا لجدار (البقشة) ومستطيل الشكل يصب فيه الماء بواسطة ساقية من بئر البستان المذكور وكانت هذه البئر عذبة بسبب وجود حفرة ديم خزام حولها من جهة الغرب. وهذه الحفرة تكون مملوءة بمياه الأمطار في معظم أيام السنة لوقوعها في طريق (شعيب) ديم خزام الذي يكون اتجاهه من جهة الغرب ثم ينساب شرقاً ماراً في بستان محمد الدليجان ومخترقاً البلدة عن طريق الحصي ثم تخرج مياه السيول إلى الخارج من جهة الشرق في الشارع المعروف اليوم (الباطن) وقد أنشأ

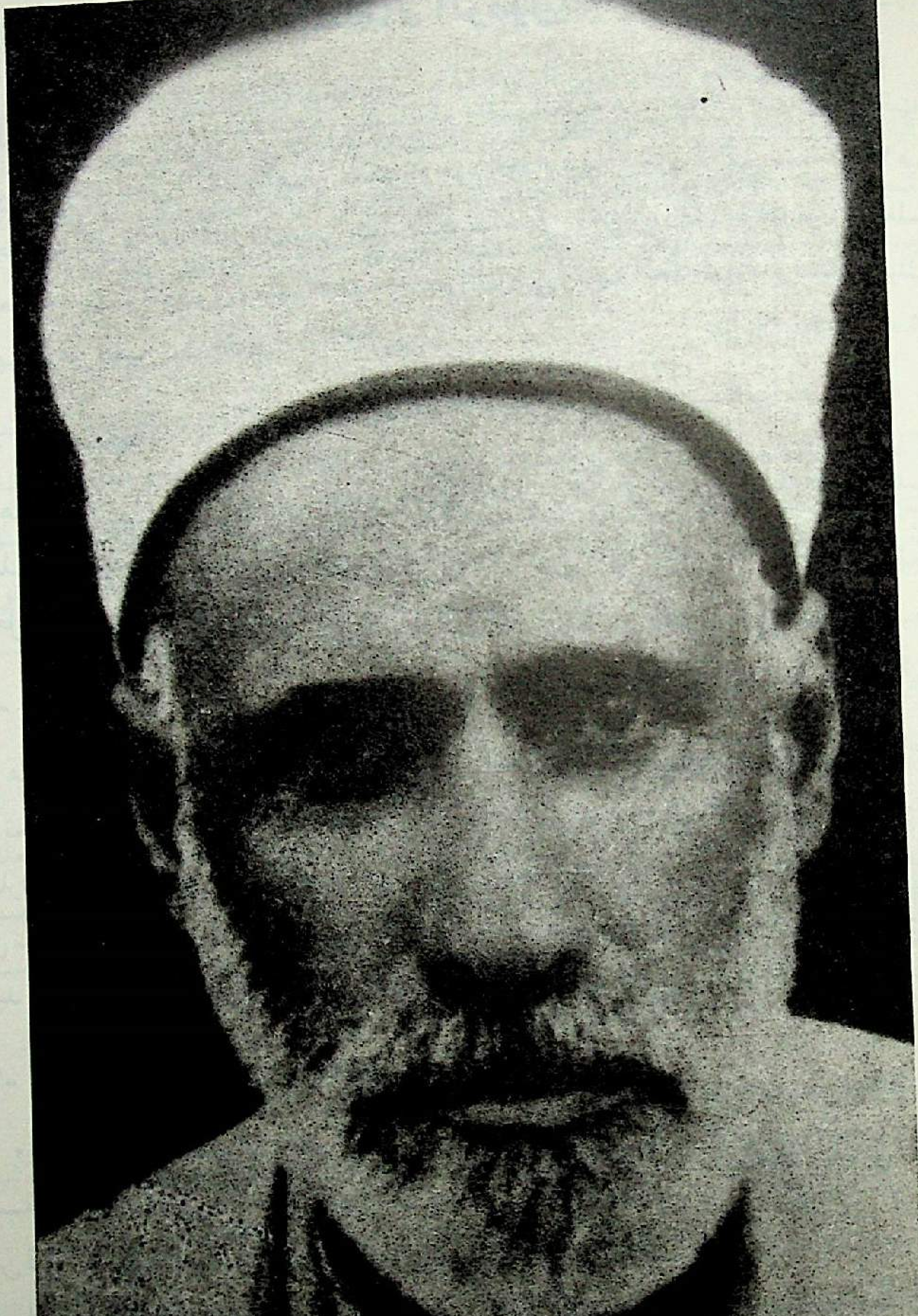
محمد الدليجان داراً في بستانه يغسل فيها الموتى من البدو والفقراء ثم ينقلون إلى مسجد ديم خزام للصلاة عليهم وذلك لقرب هذا المسجد للمقبرة وكانت الأبل والحمير والأغنام يؤتى بها ليلاً ونهاراً لسقيها من هذا المدي ولاسيما مواشي البدو الذين اعتادوا البقاء حول البلدة في فصل الصيف ومعظم هؤلاء من الصلبة.

القضاء في الزبير

أقدم من تولى القضاء في الزبير وأول من عرفه هو الشيخ (إبراهيم بن محمد الجديد) وذلك في أيام يحيى آل زهير وقبله. وإبراهيم الجديد هذا هو أول مدرس في مدرسة الدويحس ويعتقد أنه كان مدرساً وقاضياً في وقت واحد وقد ترأس إبراهيم الجديد قاضي بلد الزبير وفد الزبير الذي ذهب إلى بغداد لمقابلة الوالي (سليمان باشا) كما أنه هو أي الشيخ إبراهيم الجديد كان المشرف على بناء سور البلدة أثناء تأسيسه وقد فرغ من بناء السور سنة (١٢١١هـ) ثم تولى القضاء بعده.

الشيخ محمد بن سلوم الفرضي حتى وفاته	سنة (١٢٤٧هـ) توفي
فتولاه الشيخ أحمد بن عثمان الجامع	إلى سنة (١٢٧٦هـ) عزل
فتولاه الشيخ عبد الله بن جميعان	إلى سنة (١٢٨٥هـ) توفي
ثم الشيخ إبراهيم الغملاس	إلى سنة (١٢٨٩هـ) عزل
ثم الشيخ حبيب الكروي البغدادي	إلى سنة (١٢٩٥هـ) توفي
ثم الشيخ عبد الله النفيسه	إلى سنة (١٣٠٠هـ) توفي
ثم الشيخ صالح المبيض	إلى سنة (١٣١٥هـ) توفي
ثم الشيخ عبد الله العبد الرحمن الحمود	إلى سنة (١٣٣٥هـ) عزل
ثم الشيخ عبد المحسن البراهيم أبا بطين	إلى سنة (١٣٣٩هـ) عزل

ثم أعيد تعيين الشيخ عبد الله العبد الرحمن الحمود مرة أخرى وظل قاضياً حتى الغيت المشيخة سنة (١٣٤٢هـ) وانتهى القضاء.



فضيلة المرحوم الشيخ عبد المحسن بن إبراهيم البابطين قاضي (الزبير ثم الكويت) سابقاً

علماء الزبير

الزبير كغيرها من المدن الإسلامية، تهتم بالعلم وتقدر العلماء على اختلاف طبقاتهم. وكانت الزبير سابقاً تسمى (الشام الصغير) لكثرة وجود العلماء فيها، ويقال أنه قبل سنة ١٣٠٠هـ يوجد فيها أكثر من مائة عالم كلهم من علماء المذهب الحنبلي. وهؤلاء العلماء متفاوتون في العلم والمعرفة فمنهم النحوي ومنهم الفقيه ومنهم الفرضي ومنهم المحدث وغير ذلك، وإليك أشهرهم من الذين تولوا القضاء أو التدريس.

١- ابن جديد:

هو الشيخ إبراهيم بن محمد بن جديد، نجدي الأصل، رحل من نجد إلى الشام قاصداً طلب العلم ثم مر ببغداد، ثم رحل إلى البحرين ودرس على يد الشيخ محمد بن عبد الله بن فيروز ثم رحل من البحرين وحل في الزبير ودرس في جامعها.

٢- ابن سلوم:

هو الشيخ محمد بن سلوم (الفرضي) ينتمي إلى قبيلة الوهبة من بني تميم، ولد في بلدة (الغاط) في نجد سنة ١١٦١هـ. وقد أخذ الفقه من الشيخ أحمد بن محمد بن عبد الله بن علي بن محمد بن مبارك التويجري قاضي بلدة (المجمعة) والمتوفي في سنة ١١٩٤هـ وبعد أن رحل الشيخ محمد بن سلوم من نجد وتوجه إلى البحرين وأخذ علم الحساب والفقه والآداب من الشيخ محمد بن عبد الله بن فيروز وأشتهر في علم الفرائض. تولى قضاء الزبير وتوفي سنة ١٢٤٧هـ رحمه الله.

٣- الشيخ أحمد بن عثمان الجامع:

ولد سنة ١١٩٤هـ في الزبارة من أعمال قطر وقرأ العلوم على علماء الإحساء والبحرين. وفي سنة ١٢٤٨هـ استوطن الزبير وعين قاضياً وظل يشغل القضاء حتى سنة ١٢٧٦هـ ثم عزل من قبل الشيخ سليمان بن عبد الرزاق الزهير حاكم الزبير أنذاك. وذلك لكبر سنه وعين بدلاً منه الشيخ عبد الله بن جميعان. وقد توفي الشيخ أحمد الجامع في العشرين من شهر ربيع الثاني سنة ١٢٨٥هـ وعمره أحدى وتسعون سنة.

٤- الشيخ عبد الله بن جميعان:

الشيخ عبد الله بن جميعان من العلماء البارزين في الزبير في ذلك الوقت. كان إماماً لمسجد الباطن. وفي سنة ١٢٧٦هـ عين قاضياً للزبير وذلك من قبل الشيخ سليمان بن عبد الرزاق الزهير شيخ الزبير. وكانت توليته القضاء خلفاً للشيخ أحمد بن عثمان الجامع الذي عزل عن القضاء بسبب تقدمه في السن، وظل الشيخ عبد الله بن جميعان يشغل القضاء حتى سنة ١٢٨٥هـ.

٥- ابن غملاس:

هو الشيخ إبراهيم الغملاس من أسرة الغملاس المعروفة في الزبير، كان إماماً في مسجد (المجصة) المسجد الذي أسسه السميط. وفي سنة ١٢٨٥هـ عين إماماً وخطيباً في مسجد النجادة بعد وفاة محمد بن أحمد الجامع، وفي نفس الوقت عين قاضياً في الزبير ومدرساً في مدرسة الدويحس الدينية. وظل هكذا حتى سنة ١٢٨٩هـ فعزله (أهل حرمه) عندما تولوا زمام السلطة في الزبير وأسند القضاء للشيخ حبيب الكروي البغدادي، وقد توفي الشيخ إبراهيم الغملاس في ذي القعدة سنة ١٢٩٣هـ.

٦- الشيخ حبيب الكروي:

هو الشيخ حبيب بن قاسم اغا الكروي البغدادي. ولد في بغداد سنة ١٢٣١هـ قرأ العلوم على العلامة ألوسي أفندي ثم سكن الزبير وعين مدرساً في مدرسة الدويحس الدينية سنة ١٢٨٧هـ ثم تولى القضاء سنة ١٢٨٩هـ وبقي مدرساً وقاضياً حتى وفاته في شهر محرم سنة ١٢٩٥هـ وتولى القضاء بعده الشيخ عبد الله النفيسة.

٧- الشيخ عبد الله النفيسة:

الشيخ عبد الله النفيسة من أسرة نجدية الأصل ومن العلماء المشهورين في الزبير أسند إليه القضاء سنة ١٢٩٥هـ وبقي يمارسه حتى وفاته سنة ١٣٠٠هـ رحمه الله.

٨- الشيخ صالح المبيض:

الشيخ صالح المبيض من كبار علماء الحنابلة المشهورين في الزبير كان إماماً في مسجد (سوق الجت) من سنة ١٢٩٦هـ حتى وفاته وفي سنة ١٣٠٠هـ تولى القضاء بعد وفاة المرحوم الشيخ عبد الله النفيسة وتوفي الشيخ صالح المبيض في شوال سنة ١٣١٥هـ.

٩- الشيخ عبد الله بن حمود:

الشيخ عبد الله العبد الرحمن الحمود من مشاهير علماء الزبير كان إماماً في مسجد القرطاس عندما انشأه المرحوم الحاج عيسى القرطاس. وفي سنة ١٣٣٩هـ انتقل إلى مسجد الزبير وقد تولى المرحوم الشيخ عبدا لله بن عبد الرحمن الحمود القضاء في الزبير من سنة ١٣١٥هـ بعد وفاة الشيخ صالح المبيض وظل قاضياً للزبير قرابة عشرين سنة وفي سنة ١٣٣٥هـ عزل وأسند القضاء للشيخ عبد المحسن بن إبراهيم ابا بطين وفي سنة ١٣٣٩هـ أعيد تعيينه قاضياً وظل يمارس القضاء حتى سنة ١٣٤٢هـ وفيها انتهت المشيخة في الزبير بتنازل الشيخ إبراهيم بن عبد الله الإبراهيم عنها انتهى القضاء في الزبير. والحق القضاء في الزبير بالقاضي الرسمي بالبصرة.

أما الشيخ عبد الله العبد الرحمن الحمود فقد عين مدرساً في مدرسة الدويحس الدينية في الزبير توفي سنة ١٣٥٩هـ رحمه الله.

١٠- الشيخ عبد المحسن بن إبراهيم أبابطين:

ولد الشيخ عبد المحسن بن إبراهيم بن عبد الرحمن أبابطين في الزبير وأخذ العلم من بعض علماء الزبير منهم الشيخ محمد بن عبد الله العوجان ثم سافر إلى بغداد لطلب العلم. وفي سنة ١٣٣٥هـ عين قاضياً للزبير من قبل حاكمها الشيخ إبراهيم العبد الله الراشد وكان بنفس الوقت أماماً وخطيباً في جامع الزبير ويجلس للقضاء في جامع الزبير. وظل يشغل القضاء حتى سنة ١٣٣٩هـ حيث عزل منه وأعيد تعيين الشيخ عبد الله بن حمود قاضياً، وأشتغل الشيخ عبد المحسن أبابطين مدرساً في مدرسة النجاة الأهلية ثم أستقال منها وسافر إلى الكويت بناء على طلب تلقاه من حاكمها المرحوم الشيخ أحمد الجابر الصباح وقد تولى الشيخ عبد المحسن القضاء في الكويت، ثم عاد إلى الزبير وأشتغل مدرساً في البصرة حتى وفاته.

وكانت يوم السبت ٥ كانون الثاني سنة ١٩٥٢م وقد صلي على جنازته في مصلى العيد بعد العصر رحمه الله.

١١- الشيخ عبد الرزاق السلوم:

هو الشيخ عبد الرزاق بن محمد بن سلوم (الفرضي) من علماء بلد الزبير. ارتحل إلى سوق الشيوخ بناءً على طلب من أهلها، وتولى القضاء هناك. توفي سنة ١٢٥٧هـ له بعض المؤلفات المخطوطة منها (كتاب عن الفلك).

١٢- الشيخ فهد السواحا:

ولد الشيخ فهد السواحا سنة ١٢٠٠هـ رحل إلى الشام في صباه لطلب العلم ويقال أنه جمع كتباً عديدة بلغت ثلاثة الآف مجلد، وقد تولى القضاء فى سوق الشيوخ مدة تزيد على العشرين سنة ثم رحل من سوق الشيوخ وعاد إلى الزبير إلى أن توفي سنة ١٢٨٠هـ.

١٣- الشيخ عبد الجبار بن يحيى:

ولد الشيخ عبد الجبار بن علي بن يحيى سنة ١٢٠٠هـ تقريباً، قرأ العلم ومهر به ثم سافر إلى بغداد يطلب العلم ودرس على يد الشيخ عبد الغفور النقشبندي. وكان يحب العزلة ويكره مخالطة الناس عين إماما وخطيباً في جامع سيدنا الزبير. وفي سنة ١٢٧٨هـ غادر الزبير متوجهاً إلى المدينة المنورة وبقي فيها إلى أن توفي في خامس شوال سنة ١٢٨٥هـ وعمره خمس وثمانون سنة.

١٤- الشيخ محمد بن عوجان:

هو الشيخ محمد بن عبد الله العوجان من أكبر وأشهر علماء الزبير أخذ الفقه والفرائض والحديث منه علماء كثيرون منهم الشيخ عبد المحسن أبابطين والشيخ ناصر بن إبراهيم الأحمد وغيرهم. كان إماماً في مسجد (غانم) بعد وفاة والده عبد الله، ثم جعل آخاه أحمد إماماً فيه بدلاً عنه. توفي يوم الثلاثاء غرة جمادى الأولى سنة ١٣٤١هـ رحمه الله.

١٥- الشيخ محمد أمين الشنقيطي:

ولد الشيخ محمد أمين الشنقيطي سنة ١٢٨٩هـ في مدينة (شنقيط) في موريتانيا وتلقى علومه الأولية هناك ثم رحل إلى المدينة المنورة وأخذ الفقه والحديث عن الشيخ شعيب شيخ المذهب المالكي في باب زيادة بالمدينة المنورة.

ولما أسس مزعل باشا السعدون جامعه المعروف الكائن في محلة الشمال كلف الحاج علي العبد الله البسام الذي كان ينوي السفر إلى نجد أن يأتي له بإمام، مالكي المذهب وعندما وصل الحاج علي العبد الله البسام إلى المدينة المنورة اتصل بالشيخ شعيب شيخ المذهب المالكي في باب زيادة وأخبره بطلب مزعل باشا إرسال عالم مالكي المذهب ليكون إماماً وخطيباً ومدرساً في الجامع الذي أنشأه في الزبير.

وقد رشح الشيخ شعيب الشيخ محمد أمين الشنقيطي. ووافق الشنقيطي على ذلك ثم أنه توجه من المدينة المنورة مع الحاج علي البسام قاصداً عنيزة في القصيم وفي عنيزة تعرف الأستاذ الشنقيطي بالشيخ (صالح العثمان القاضي) قاضي عنيزة وأصبح لا يفارقه وأخذ منه الفقه الحنبلي وشيئاً من التفسير والحديث ثم سافر من عنيزة برفقة بعض القوافل المتوجهة نحو الزبير فوصلها سنة ١٣٢٧هـ ولما وصلها وجد مزعل باشا السعدوان الذي طلبه قد توفي.

ووجد فضيلة الشيخ محمد بن رابح قد عين إماماً في الجامع بترشيح من أولاد الشيخ محمد الصباح (وكان الشيخ محمد بن رابح قد قدم إلى الزبير مع أولاد الشيخين محمد وجراح الصباح بعد قتل اليخ مبارك الصباح لأخويه).

هذا ويقال أن الشيخ محمد بن رابح أراد أن يتنازل للشيخ محمد الشنقيطي ولكن الشيخ الشنقيطي رفض وأصر على بقاء الشيخ محمد الرابح إماماً في مسجد مزعل.

ولما علم إبراهيم المزعل السعدون بقدوم الشيخ محمد الشنقيطي إلى الزبير تلبية لطلب والده وإنه تنازل عن المسجد حتى يبقى الشيخ محمد الرابح إماماً فيه أعطاه مبلغاً قدره (١٠٠) مائة ليرة إكراماً له. واعطاه أحمد باشا الصانع (٥٠) خمسين ليرة.

وقد الح عليه صديقه الشيخ عبد الله المهيدب أن يتزوج في الزبير (فتزوج) وقد أخذ فضيلة الشيخ محمد أمين الشنقيطي بالتنقل بين الزبير والكويت للحديث والوعظ والإرشاد وعائلته تقيم في الزبير اقامة دائمة.

وفي يوم الأحد سنة ١٣٣٢هـ الموافق ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٩١٤م احتل الانكليز البصرة.

وفي ربيع الثاني سنة ١٣٣٢هـ بعد احتلال الانكليز للبصرة ثار الثائرون على الشيخ خزعل وأعلنوا الجهاد ضده وكان من المعروف عن الشيخ خزعل أمير (المحمرة) أنه حليف مخلص للانكليز، وقد قام الشيخ خزعل من جانبه بتقديم كل مساعدة ممكنة لحلفائه الانكليز أثناء حروبهم مع الأتراك في العراق خصوصاً في البصرة حيث كان له الدور الفعال بهزيمتهم وانسحابهم منها واحتلال الانكليز لها.

ونتيجة ذلك أن قام علماء الدين بالدعوة لمحاربة خزعل ومحاربة كل من تسبب بهزيمة الأتراك.

خشي الشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت، أن تكون هذه الحرب لصالح الثوار فكتب إلى ابنه الشيخ جابر من الفيليه يأمره بأن يرسل له فريقاً من أهل الكويت بكامل أسلحتهم للقتال بجانب الشيخ خزعل.

فلما كاد الخبر يصل إلى الكويت وينتشر بين الأهالي حتي قابلوه بالاشمئزاز وعدم الرضى والسخرية وتعالت صيحات الاستنكار والمعارضة من كل جانب.

وقد كان للشيخ العلامة محمد أمين الشنقيطي والشيخ حافظ وهبة المصري أثرهما البليغ في نفوس الأهالي بما كانا يقومان به من أحاديث ومواعظ في الأندية والمجالس محذرين الناس من الطاعة والانقياد.

وأصدرا حكماً على المنقادين بالارتداد عن الدين فأشتد غليان الناس وعظم حماسهم وأعلنوا العصيان وجاهروا به.

وبعد عودة الشيخ مبارك الصباح إلى الكويت استدعى الشيخ محمد الشنقيطي وذلك بحضور معتمد بريطانيا في الكويت ووجه إليه تهمة التحريض على العصيان ثم أن الشيخ مبارك أمر الشنقيطي بالانصراف على أن يعود لمقابلته بعد ثلاثة أيام.

ولكن الشيخ محمد أمين الشنقيطي كان بعد ثلاثة أيام قد وصل إلى الزبير وحضر موقعة (الشعيبة) مع الجيش التركي. وعندما أحس بهزيمة الأتراك غادر الزبير متوجهاً إلى (عنيزة) في القصيم ومكث بها إلى سنة ١٣٣٧هـ. ثم غادرها إلى الكويت فوصلها في شعبان من هذه السنة، وتوجه فور وصوله إلى الشيخ سالم المبارك الصباح حاكم الكويت للسلام عليه في قصره بصحبة الحاج مرزوق الداود البدر من كبار تجار الكويت وأعيانها.

ولما أبصرهما الشيخ سالم مقبلين قام من مكانه ودخل القصر وقد جلسا ينتظرانه فخرج عليهما من القصر فسلما عليه ورد رداً عدمه خير منه ثم التفت الشيخ سالم إلى الشيخ محمد الشنقيطي ودارت بينهما المحاورة التالية:

الأمير سالم – من أين جئت ومن أرسل عليك وبحماية من جئت؟

الشيخ – جئت من القصيم ولم يرسل علي أحد وليس أمامي عدو حتى آخذ لي منه أماناً.

الأمير – أيحق لك أن تجيء إلى بلدي وأنا الحاكم فيها ولا تخبرني بذلك فكأنك بعملك هذا تقول إن الذي يخشى منه هو مبارك ومبارك قد مات ولم يخلف بعده من يخاف منه.

الشيخ – أنا لم أخرج من الكويت إلا خوفاً من الانكليز الحكومة الانكليزية لا من مبارك.

الأمير – الحكومة الانكليزية موجودة الآن فكيف جئت.

الشيخ – جئت بعد أن حصلت الهدنة التي تخول كل شخص الرجوع إلى وطنه ولو كان سياسياً. وهنا أراد الحاج مرزوق الداود البدر الكلام فأسكته الأمير سالم.

ثم أبلغ الأمير سالم الصباح قنصل بريطانيا في الكويت بمجيء الشيخ محمد أمين الشنقيطي من تلقاء نفسه.

وأمر الأمير سالم الشيخ الشنقيطي ومرزوق الداود البدر بمغادرة المجلس وهو على أشد ما يكون من الغيظ والحنق فقام يتعثران بأذيال القلق والاضطراب وفي اليوم التالي طلب الأمير سالم حضور الشنقيطي وقال له إني أحترم العلم وأهله ولولا ذلك لعاقبتك عقاباً شديداً تكون فيه عبرة لغيرك وإذا ما ذكرت لي بعدها في أي محل فسأحرقه عليك وعلى من معك.

فرد الشيخ الشنقيطي على الأمير سالم البلد بلدك ولا يمكنني البقاء فيها إلا بأذن منك ورضاك غير إنني أرجو منك إمهالي إلى حين عودة القافلة التي جئت معها ولما لم يجد منه إلا تصلباً اضطر إلى السفر إلى الزبير وحل في رحاب حاكمها الشيخ إبراهيم العبد الله الراشد.

أما قنصل بريطانيا في الكويت فأنه عندما بلغه مجيء الشنقيطي قال أن هذا الرجل لا وجود لاسمه بين من تحذر الحكومة البريطانية منهم.

وهو في هذه المدة كان مقيماً في نجد وهي بلاد مسالمة لنا. ولم يأت بشيء مخل بالسياسة أثناء إقامته هناك والوقت الآن وقت هدنة فهو ولو كان تركياً أو من الأعداء لما كان لنا عليه حق.

ومضى القنصل البريطاني في الكويت (الكولونيل أفري) قائلاً للأمير سالم الصباح الرأي لك وحدك فأعمل ما تراه.

ولم يكتف الأمير سالم إزاء الشيخ محمد الشنقيطي بهذا القدر من الإهانة بل راح يتعقبه فكتب إلى حاكم البصره السياسي (المستر ولسن) يخبره بأن الأستاذ الشيخ محمد أمين الشنقيطي عدو لدود للانكليز ومن المحرضين على الحكومة البريطانية.

سأل الحاكم السياسي البريطاني الشيخ إبراهيم العبد الله الراشد شيخ الزبير أنذاك عن صحة هذا النبأ فنفى الشيخ إبراهيم هذا النبأ نفياً باتاً، ودافع عن الشيخ محمد أمين الشنقيطي دفاعاً اقنع الحاكم السياسي البريطاني.



فضيلة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي مؤسس (مدرسة النجاة الأهلية) في الزبير سنة ١٣٥١هـ

أعمال الشيخ محمد أمين الشنقيطي في الزبير

من أبرز الأعمال التي سعى بها وحققها فضيلة الشيخ محمد أمين الشنقيطي طيب الله ثراه هو أنه رأى خلو بلدة الزبير من المدارس إلا من بعض الكتاتيب القديمة والعديمة الفائدة. ورأى أن حكومة الاحتلال البريطاني قد فتحت مدرسة رسمية في الزبير وذلك سنة ١٣٣٨هـ[1].

وكانت هذه المدرسة شأنها شأن المدارس الاستعمارية لا تعير الدين واللغة العربية شيئا من الأهمية سعى لتأسيس مدرسة النجاة الأهلية خصوصاً بعد أن رأى توسم الذكاء النادر والاستعداد الكامل في أبناء الزبير لتلقي العلوم على ما هي عليه، فسعى بكل عزم ونشاط لتأسيس مدرسة نموذجية تستطيع أن تؤدي خدمات كبيرة لبلد الزبير.

ولكن إخراج مثل هذا المشروع الكبير العظيم الفائدة إلى حيز الوجود يحتاج إلى أموال طائلة وإلى رجال محسنين يقدرون لما هذا المشروع من نتائج طيبة مثمرة. فسافر رحمه الله إلى الهند وأخذ بجمع التبرعات المالية والعينية ونال من التشجيع والمؤازرة ما قوى عزمه فجمع أموالاً لا بأس بها.

يوضع مع تأسيس المدرسة

وقد تبرع المرحوم الشيخ عبد العزيز العبد الرحمن الإبراهيم (إبراهيم الدورة) بكافة أبواب وشبابيك وأخشاب قصره.

فكتب للمرحوم الشيخ عذبي المحمد الصباح يخبره بأنه تربع بكافة أبواب وأخشاب وشبابيك قصر خالد العون في (الشعيبة) - وكان قد أشتراه بعد وفاته - إلى المشروع الذي ينوي الشيخ محمد الشنقيطي القيام به يأخذ ما يحتاج إليه ويباع الذي لا حاجة له به ومن بين الأبواب الباب الرئيسي لمدخل قصر خالد باشا العون في الشعيبة وكان مقابلا لجهة الشرق.

(يقال أن هذا الباب صنع في مدينة كراتشي في الهند وجيء به إلى الكويت لكي ينصب على قصر السيف في الكويت القصر الذي أشاده الشيخ مبارك الصباح ولما علم الشيخ مبارك الصباح بأن الشيخ خالد باشا العون يبني له قصراً في الشعيبة قدمه له هدية منه ونقله عبد الرحمن التركي من الكويت إلى الزبير حيث سلمه إلى الشيخ خالد العون).

(١) استأجرت هذه المدرسة دار خالد إبراهيم المنديل سابقاً - منزل عبد الله وسعود أبناء محمد الزامل حالياً.

ولما عاد الشيخ محمد أمين الشنقيطي قادماً من الهند أخذ يسعى لتهيئة الأرض الصالحة لبناء هذه المدرسة فعلمت إحدى المحسنات وهي (منيرة العبد اللطيف العون) شقيقة خالد باشا فتبرعت بقطعة أرض كبيرة تقع فى (محلة الرشيدية) (مقابلة للمدرسة التي أنشأتها قوات الاحتلال البريطاني) وقدمت المحسنة المذكورة الأرض له فقبلها شاكراً وشرع في بناء المدرسة وكان هو بنفسه يشرف على البناء.

حتى أتم بناءها ثم جهزها بكل ما يلزم للمدارس الحديثة وعين لها المدرسين أما هو رحمه الله فكان مديراً ومعلماً في آن واحد وأخذ الطلاب يتهافتون عليها أما الدروس التي تقدم للطلاب فهي الكتابة والقراءة والحساب والخط واللغة العربية واللغة الانكليزية والجغرافيا والتاريخ والهندسة والأشياء والفقه والفرائض والعقدة وإمساك الدفاتر وتهيء للطلاب ما ينفعهم في دنياهم وآخرتهم.

وكان طلاب وخريجو هذه المدرسة يضرب بهم المثل من حيث الديانة والأخلاق والسلوك الفاضلة والعلم والمعرفة كل ذلك بسبب عناية مديرها ومدرسيها واهتمامهم البالغ.

وكان الشيخ رحمه الله قائماً على خدمتها مدة طويلة بلا مرتب وهو في أشد الحاجة إليه. فرأت هيئة المدرسة أن تخصص له راتباً يعينه على مواجهة حياته الضرورية ولما أبلغ بالقرار رفض بكل إصرار ولكن الهيئة أصرت عليه. ولما رأى إصرارها طلب تخفيض الراتب البسيط حتى توفاه الله. وقد كانت هذه المدرسة تؤدي رسالتها خير أداء كما لو كانت في عهده تحت إدارة فضيلة الأستاذ الشيخ ناصر إبراهيم الأحمد الذي تولى إدارتها بعد وفاته مباشرة. وهذه المدرسة ثمرة جليلة ستذكرها له الأجيال القادمة.

وفي سنة ١٣٨١هـ توفي رئيس مجلس إدارتها ومديرها فضيلة الشيخ ناصر الأحمد فانتخب الحاج عبد الله السليمان الذكير رئيساً لمجلس الإدارة كما عين الأستاذ (محمد السفطاوي) المصري الجنسية مديراً لمدارسها يساعده الأستاذ (عبد الله محمد الحمدان) من أهل الزبير.

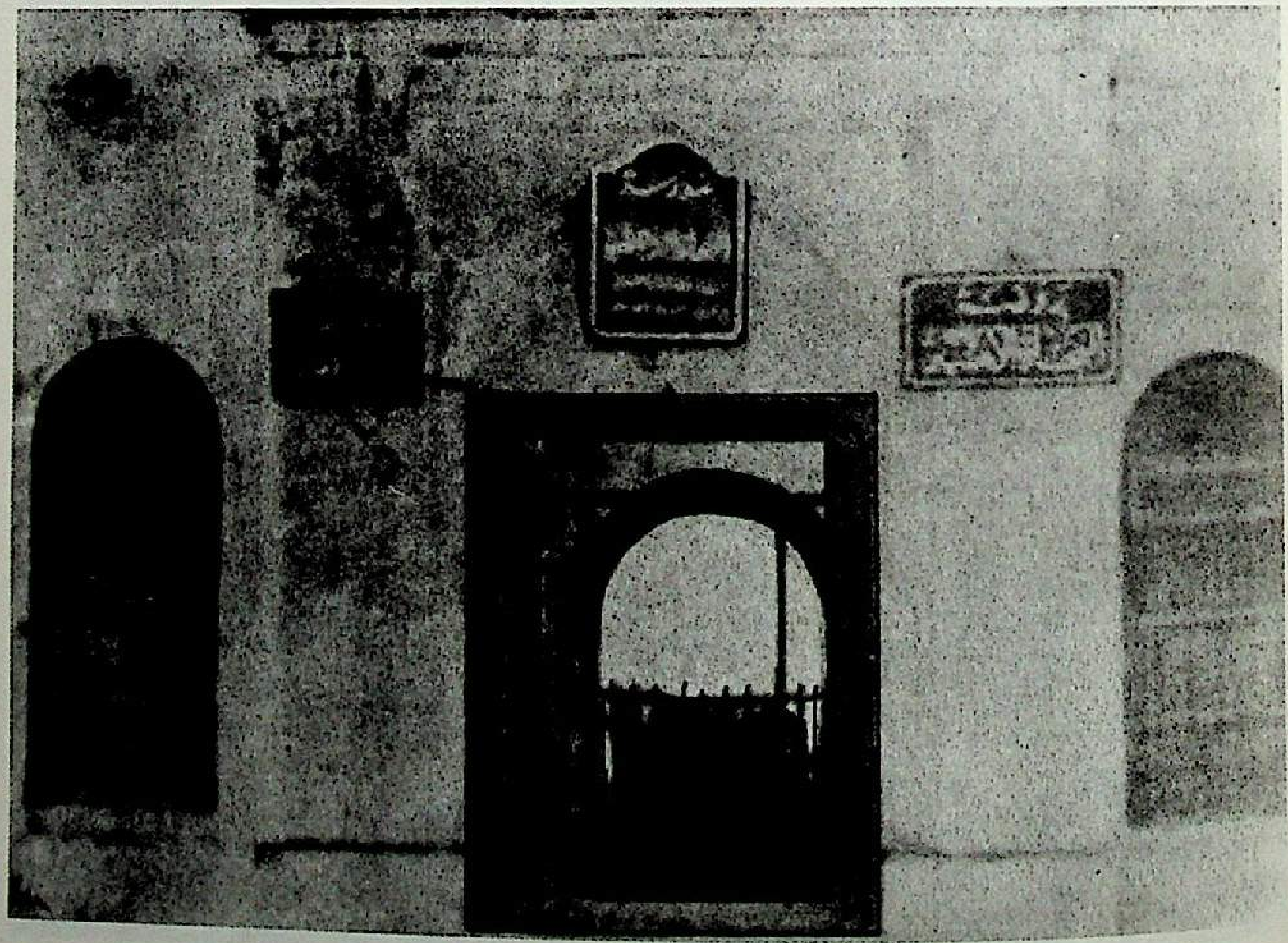
وأخيراً انتخب الحاج محمد السليمان العقيل رئيساً لمجلس إدارتها حتى يومنا هذا. ولا يزال الأستاذ محمد السفطاوي حتى الآن يديرها على خير ما يرام.

لقد تعرض فضيلة العلامة الشيخ محمد أمين الشنقيطي طوال حياته للأذى والحرمان والضرب والنفي ونال من المصائب ما يعجز من وصفه القلم، فطرد وشرد وأهين، ولكنه صبر

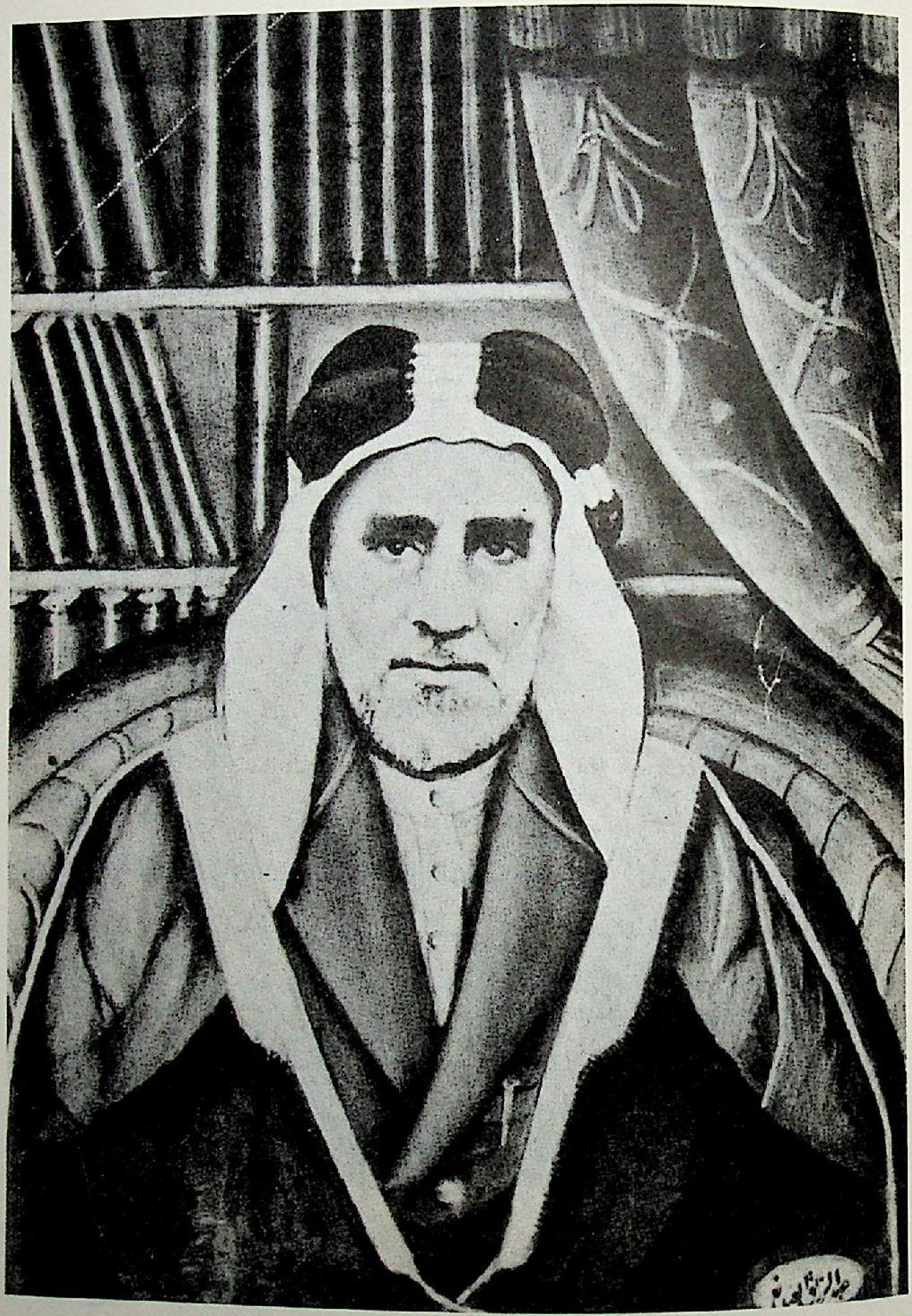
وصابر وخرج من كل هذا رافع الرأس كالجبل الاشم. وهذا شأن المؤمنين الصابرين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

ومن جملة الأذى الذي لحق بالأستاذ الشيخ رحمه الله. هو أنه في سنة ١٣٤١هـ كان الشيخ في طريقه بعد صلاة (العشاء) إذ هجم عليه بعض الأشقياء واشتبك معهم في عراك عنيف هب على أثره أصحاب البيوت المجاورة.

فخشي الأشقياء أن ينفضح أمرهم فلاذوا بالفرار إلا واحداً منهم كان يحاول استخلاص عباءته التي أمسك بها الشيخ ولما لم يستطع انتزاعها منه تركها وهرب ثم جاء الشيخ إلى بيت محمد العبد الرحمن السند والدم يسيل من وجهة وكان هذا البيت قريباً منه. وقد بلغ به التعب حداً كبيراً ولقد أحسن الشيخ صنعاً بتمسكه بالعباءة التي كشفت عن صاحبها فيما بعد ويدعي (سليمان بن جاسم القناص) من أهل الزبير الذي قدم للمحاكمة في محكمة البصرة وقضت بسجنه.



منظر الباب الرئيسي لمدرسة النجاة الأهلية في الزبير



الشيخ ناصر الأحمد مدير مدرسة النجاة الأهلية سابقاً

وكان الشيخ رحمه الله يسكن في دار واقعة في محلة الرشيدية قريبة لمدرسة النجاة وإماماً في مسجد الذكير المجاور للمدرسة من جهة الجنوب. وكان رحمه الله حتى الأيام الأخيرة لا ينقطع عن الصلاة مع الجماعة وقد شوهد يصلي بالناس وهو جالس وصوته لا يكاد يسمع من شدة تأثير المرض وقد توفي رحمه الله في صباح يوم الجمعة ١٤ جمادى الثاني في سنة ١٣٥١هـ وكان عمره انذاك (٦٣) سنة.

وصلى عليه في مسجد النجادة عصر يوم الجمعة ثم صلي عليه في مسجد الدروازة مرة ثانية وصلي عليه مرة ثالثة في المقبرة ودفن بالقرب من ضريح التابعي المشهور الأمام الحسن البصري عنه شمالاً وكان لموته وقع عظيم بالنفوس. فبكاه الصغير والكبير لأنهم فقدوا بموته مصلحاً كبيراً ومربياً عظيماً ومحدثاً خطيراً وحافظاً لعلوم الأولين والآخرين وثائراً على التقاليد والبدع فقدوا فيه أباً رحيماً وأخاً كريماً رحمه الله وجعل الجنة مثواه.

وبجانب هؤلاء العلماء برز في الزبير علماء مجتهدون منهم من كانت وفاته قبل مدة طويلة ومنهم من كانت قبل عدة سنين ومن هؤلاء:

١- الشيخ محمد بن عبد الجبار أول إمام وخطيب في جامع الرشيدية.

٢- الشيخ محمد بن شهوان وكان إماماً في المسجد المذكور ودرس في مدرسة النجاة الأهلية زمناً.

٣- والشيخ إبراهيم الدبيكل إمام مسجد الدروازه.

٤- وعثمان الجامع إمام وخطيب مسجد النجادة ثم أبنه محمد الجامع من بعده وابنه الآخر عبد الرزاق الجامع.

٥- والشيخ محمد بن رابح إمام وخطيب جامع مزعل باشا السعدون.

٦- الشيخ محمد بن دايل إمام مسجد الحصي.

٧- الشيخ عبد الرزاق بن محمد الدايل إمام مسجد الباطن. ثم مسجد الحصي وكان مدرساً في مدرسة النجاة الأهلية منذ تأسيسها حتى قبيل وفاته وقبل تأسيس هذه المدرسة كان يدرس منفرداً وتلاميذه هم نواة تلاميذ مدرسة النجاة.

٨- الشيخ قاسم بن محمد الغنيم الشاعر والفلكي والطبيب المشهور.

٩- الشيخ عبد الرحمن بن عليّ العوهلي كان إمام مسجد الخمسة، ثم مسجد المجصة، ثم جامع مزعل.

١٠- الشيخ جاسم الحنيف إمام جامع الخشيرم وخطيبه، ثم ابنه يوسف من بعده ثم محمود بن يوسف الحنيف .

١١- الشيخ جاسم العقرب من قرية البطيحة بالبصرة. زاول التدريس في مدرسة النجاة الأهلية قرابة الأربعين سنة. وكان مشهوراً بالنحو والصرف .

١٢- والشيخ ناصر الأحمد مدير مدرسة النجاة الأهلية والمتوفي يوم الثلاثاء ٢٧ تموز سنة ١٩٦٢م.

١٣- الشيخ محمود المجموعي البصري إمام وخطيب جامع الزبير .

١٤- والشيخ عبد الرحمن من أهالي مدينة الرمادي. كان إماماً وخطيباً ومدرساً في جامع النقيب كما زاول التدريس في الرشيدية .

١٥- الشيخ نوري عبد الباقي الموصلي المدرس في المدرسة الرشيدية ثم انتقل إلى الكويت.

وكثيراً غير هؤلاء. ويطول بنا الوقت لو أدرجنا جميع العلماء والمجتهدين وصنفناهم مع ذكر تراجمهم).

(ومن علماء الزبير المعاصرين الذن لا يزالون على قيد الحياة) :

١- الشيخ عبد الله بن محمد الرابح إمام مسجد الذكير وخطيب جامع النقيب في الوقت الحاضر. درس في مدرسة الدويحس الدينية قبل إغلاقها وهو آخر من دَرس فيها ونقلت خدماته بعدها إلى المعهد الديني في البصرة ولا يزال مدرساً فيه .

٢- الشيخ محمد الحمد العسافي نزيل بغداد حالياً وكان مدرساً في مدرسة الدويحس.

٣- الشيخ محمد العبد الرحمن السند إمام وخطيب مسجد النجادة وهو من أشهر علماء الزبير في الوقت الحاضر .

٤- الشيخ إبراهيم بن محمد المبيض المدرس فى مدرسة النجاة الأهلية وإمام مسجد الرواف ويعتبر قاضى الزبير في الوقت الحاضر (بصفة غير رسمية).



الشيخ محمد بن عبد الرحمن السند من أشهر علماء الزبير فى الوقت الحاضر

٥- الشيخ صالح جاسم الغضبان البصري إمام وخطيب جامع الزبير .

٦- الشيخ عباس رشيد الأعظمي إمام وخطيب جامع الخشيرم .

٧- الشيخ عبد الكريم الحمداني البصري إمام وخطيب جامع مزعل باشا السعدون .

٨- الشيخ عبد العزيز بن سعد الربيعة خريج مدرسة الدويحس الدينية في الزبير وهو الآن إمام وخطيب جامع الرشيدية وقد دَرس في مدرسة النجاة الأهلية فترة من الزمن .

٩- الشيخ عبد الله عبد الوهاب المزين إمام مسجد ديم خزام والمدرس في مدرسة النجاة الأهلية .

١٠- الشيخ جاسم محمد الجامع إمام مسجد سوق الجت .

١١- الأستاذ محمد ناصر الشماس إمام مسجد الدروازة وخريج مدرسة الدويحس الدينية .

١٢- الشيخ مشعان المنصور المقيم حالياً في المملكة العربية السعودية وقد زاول التدريس في مدرسة النجاة زمناً .

١٣- الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن السند ساكن الكويت حالياً وكان مدرساً في النجاة الأهلية .

١٤- الأستاذ عبد الله بن عقيل خريج الأزهر الشريف بمصر ومدير الدعوة الإسلامية في وزارة (الأوقاف الكويتية) حالياً .

حالة الزبير الاقتصادية

التجارة هي الركن الأعظم لتقدم البلاد والسبب الأقوى لارتقائها ومن هنا كان المقام الاسمى في العالم المتمدن، والقدح المعلى بين جماعاته وأفراده لأن بحر المال لا يزخر إلا بها والمال هو أسس العمران، وأصل الحياة إذاً فمن الضروري أن نأتي هنا بنبذة يسيرة عن تجارة الزبير منذ تأسيسها حتى يومنا هذا تكميلاً للبحث وإتماماً للفائدة .

قلنا في بحث سابق أن الزبير كان سابقاً محطة لتجمع قوافل تجار البصرة عند سفرها إلى الشام. وقد كانت الصحراء غير آمنة آنذاك لذلك يضطر المسافرون السير جماعات جماعات وعندما تكاثر سكان الزبير خصوصاً عندما نزح الوافدون من نجد واستوطنوا الزبير. أخذت التجارة تتقدم شيئاً فشيئاً وكانت جميع الحاجات الضرورية والكماليات تأتي من البصرة ومنها

يجلبون الأرز والقمح والشعير والفواكه والتمر والألبسة والأواني وغيرها. ثم أخذت التجارة تتسع إلى أن بلغت الذروة خصوصاً في عهد مشيخة الشيخ خالد باشا العون .

حيث كانت القوافل تأتي من أقصى نجد وجنوب العراق ومن الكويت والإحساء، تبيع حاصلاتها وتشتري حاجاتها من الزبير كما وإن قسماً كبيراً من أهل الزبير لهم محلات تجارية في البصرة يتعاطون التجارة بجميع أصنافها ولهم فيها أملاك واسعة ونخيل ومركز تجارى واجتماعى ممتاز كسبوه بصدقهم وحسن معاملتهم .

حاصلات الزبير وصادراتها :

عندما تسقط الأمطار وتجوب السماء تتحول الصحراء إلى حدائق غناء ومراعي خصبة يستفيد منها البدو الرحل الذين اعتادوا حياة البداوة في الصحراء ورعي حيواناتهم ومواشيهم ويعتمد البدو على الحيوانات ومنتوجاتها وهي ثروتهم ومصدر رزقهم .

يفرح البدو كثيراً عندما تسقط الأمطار ويكثر الماء والكلأ ويتحول سرورهم إلى حزن عندما تنقطع وتجذب الأرض وقسماً آخر من أهل البادية وهم (الصلبه) لفقر حالهم اتخذوا من الحاصلات الطبيعية مصدراً لقوتهم .

يأتون الزبير يبيعون ما معهم من (كمأ) وهو نبات طبيعي يشبه (البطاطا) (والشنان والجلو) .

والشنان يقوم مقام الصابون اليوم وهو شجيرات صغيرة بيضاء اللون أرتفاعها نصف متر تقريباً. والجلو نبات طبيعي خفيف الوزن لونه يميل إلى السواد يشبه الحجر يستعمل لتنظيف الملابس .

أما الحاصلات الزراعية فأهمها الحنطة وهي قسمين قسماً يزرعونه اعتماداً على مياه الأمطار ويسمى (ديم) والقسم الآخر يسقى من مياه الآبار يسمونه (سقي) ويكون هذا النوع أجود .

كما يزرع البطيخ والبصل والثوم والكراث وغيرها من المخضرات. قسماً منه يستهلك محلياً والقسم الآخر يرسل إلى البصرة ليباع هناك ولا سيما البطيخ الذي ينضج في الشهر التاسع (أيلول) يرسل إلى البصرة ويستعاض عنه بالتمر في موسم جني التمر وتسمى هذه العملية (بقاله) .

وعلى العموم ليس في الزبير من الحاصلات أو الصادرات ما يستحق الذكر. وأهم الصادرات الجلود: جلود الحيوانات وجلد الضب أحياناً والصوف والغزل (الصوف المغزول) على شكل خيوط وجلد الثعلب والدهن.

ويعتني بتربية الخيول حيث ترسل إلى الهند لتباع هناك وأما باقى أهل الزبير على العموم فهم يشتغلون في نقل البضائع والأطعمة بين البصرة والزبير.

كما أن بعضهم يعتمد على كسب قوته على العمل بالبحر كالغوص والسفر مع أهل الكويت في سفنهم وهناك أعمال أخرى، كالحدادة، والنجارة، والخرازة، والعطارة، والمتاجرة بالحيوانات ومنتوجاتها ومسابلة البادية.

من التجأ إلى الزبير أو مر بها من الحكام:

اعتصم بحمى الزبير الشيخ راشد بن ثامر السعدون من رؤساء المنتفق وذلك عندما حصلت العداوة بينه وبين ابن عمه الشيخ عيسى المحمد السعدون سنة ١٢٤٨ هـ وقد حل الشيخ راشد ضيفاً مكرماً عند حاكمها الشيخ عبد الرازق بن يوسف الزهير وبسبب لجوّه وعدم تسليمه لخصمه الشيخ عيسى الذي طلب تسليمه حاصر المنتفق الزبير مدة تزيد على ستة شهور وانتهى الحصار بأن سلم الشيخ عبد الرازق نفسه وأخوته للمنتفق وقتلوا صبرا سنة ١٢٤٩ هـ كما سيأتي مفصلا.

وفي سنة ١٣١١ هـ وصل الزبير في طريقه إلى البصرة الامام عبد الرحمن الفيصل آل سعود يصحبه بعض الأمراء من آل سعود وأفراد الحاشية وقد لقى الإمام عبد الرحمن ومن في صحبته من الأمراء والحاشية كل احترام وتقدير من كافة أهل الزبير ولا سيما آل مشري الكرام.

وفي سنة ١٣٣٢ هـ الموافق ١٩١٤ م قتل الأمير زامل السبهان من أمراء (حائل) قتله ابن عم له اسمه (سعود الصالح السبهان).

(السبهان من أقارب الرشيد، حكام حائل وأخوالهم) وكان قد تولى الإمارة (سعود بن عبد العزيز المتعب آل رشيد) ولصغر سنه أناب عنه في إدارة الأحكام خاله (حمود السبهان) وقد مات هذا مسموماً بيد مجهولة فتولى الوكالة زامل السبهان. وفي ربيع عام ١٣٣٢ هـ قتل زامل السبهان وقاتله هو سعود الصالح السبهان وقد سنحت الفرصة لسعود السبهان باللعب من عدة وجوه فقد فاوض الفرنساويين وعمل جهده للاتفاق مع الانكليز بواسطة المقيم السياسي

في الكويت. ولكنه لم ينجح وقد قوي نفوذ سعود السبهان في حائل قبل فراره إلى درجة جعلته يفكر في قتل سعود الأمير ويستولى على الإمارة مكانه، لكنه كان يعمل عملاً لا يستطيع أن يحققه فاكتشفت مؤامرته وفر إلى الزبير. في عهد حاكمها الشيخ إبراهيم العبد الله البراهيم وقد داهمته منيته فيها حيث قتل سنة ١٣٣٩ هـ ١٩١٩ م.

أهم الحوادث التي وقعت في الزبير:

١- حصار الإمام (سعود بن عبد العزيز) في سنة ١٢١٨ هـ نزل الإمام سعود بن عبد العزيز آل سعود قرب (الجامع) المعروف في الزبير.

أوحاصرت قوات سعود بن عبد العزيز الزبير وهدموا جميع القباب والقبور التي خارج سور البلدة. وقد حشد سعود بن عبد العزيز اتباعه على قصر الدريهمية فهدموه وقتلوا أهله. فلما كان وقت غروب الشمس أمر سعود منادياً ينادي أن يثور كل رجل من قومه ببندقيته دفعة واحدة وانزعج الناس من ذلك وظل محاصراً للزبير اثنا عشر يوماً. حصد جميع زرعهم ثم رجع غافلاً إلى بلده وكان شيخ الزبير أنذاك (إبراهيم بن ثاقب).

٢- وفي سنة ١١٨٧ هـ وقع (الطاعون العظيم) وقد ذكر ابن بشر صاحب كتاب عنوان المجد في تاريخ نجد صفحة (٦١) يقول مات بهذا المرض من أهل الزبير نحو ستة آلاف.

٣- وفي سنة ١٢٢٠ هـ عندما قصد سعود بن عبد العزيز البصرة نازل أهل الزبير ووقع بينه وبين أهله مناوشة وقتال ورمي ثم رجع بعد ذلك إلى بلده.

٤- سنة (الصلبة). في سنة ١٢٤٧ هـ وقع الطاعون العظيم الذى عم العراق والزبير والكويت وبعض أنحاء الخليج، وليس هو مثل الوباء الذي قبله (المسمى العقاص) بل هو مرض الطاعون المعروف. وحل الفناء الذي انقطعت منه أسر كثيرة وخلت بعض الدور من أهلها. وإذا دخل هذا المرض بيتاً لم يخرج منه وفيه عين تطرف وجثث الناس في البيوت لا تجد من يدفنها والأموال لا تجد لها وال.

وانتنت البلدة من جثث الموتى، وبقيت الحيوانات سائبة في البلدة ليس عندها من يعلفها ويسقيها حتى مات أكثرها ومات بعض الأطفال عطشاً وجوعاً وخر أكثرهم صرعاً في المساجد، لأن أهاليهم إذا احسوا بالمرض رموهم بالمساجد رجاء أن يأتيهم من ينقذهم وظلت المساجد لا تقام فيها الجماعة. وانقطع السفر من وإلى الزبير بسبب هذا المرض.

فلما كان في النصف من شهر ذى الحجة من السنة المذكورة ارتفع الوباء واجتمع أناس من الهاربين بسببه. ثم إن الصلبه دخلوا بلد الزبير ونهبوها وليس لهم صاد ولا راد وأخيراً رجع من كان مسافراً أو حاجاً ومن كان قد برىء من المرض أو سالماً وهم القليلون فضبطوا البلد وحموها من صليب وغيرهم.

فلما علم بذلك أهل نجد وكان أكثر من في الزبير ارحاماً لهم وأصهارا سافروا إليها وأخذوه ما وجدوه من تراثهم. (وتفرقت أموالهم بيد الوارث وغير الوارث)

وفي هذا المرض توفي علي باشا بن يوسف آل زهير شيخ الزبير وكان آخر من مات، ولم يمت أحد بعده.

٥- هجوم العجمان على البصرة: في سنة ١٢٦٢هـ صارت للعجمان شوكة عظيمة مرهوبة الجانب. وقد وجهوا نشاطهم إلى جهة العراق. فأغاروا على البصرة والزبير وأحدثوا تخريبات هائلة في المزارع والبساتين ودب الرعب بين السكان.

فلما رآى متسلم البصرة (منيب باشا) كل هذا استدعى إليه الشيخ سليمان بن عبد الرزاق الزهير حاكم الزبير وتشاور معه في صد هذه الغارات وتحطيمها، وأعطاه أموالاً كثيرة فقام سليمان باشا الزهير من ساعته وراح يجمع الجنود والفرسان فجهز جماعة كبيرة من أهل الزبير وفرق عليهم أموالاً كثيرة وكان من بين هذا الجيش القوي بمعنوياته فريق من الرماة المشهورين في الزبير.

أما العجمان وحلفاؤهم عربان المنتفق فقد جمعوا أمرهم على أن يتوجهوا إلى ناحية البصرة ويأخذوا مواضعهم بالقرب منها إلى حين وقت صرام النخل وبعد ذلك يشنوا الغارات على جنوب البصرة وينهبوا ما يمكنهم من التمر وغيره وعندها يتوجهون لغزو مدن وقرى نجد. ولما حان وقت الصرام نهضوا إليها وانتشروا بين النخيل يعيثون فيها فساداً وتخريباً وأخذوا يقتلون ويسفكون دم كل من يشاهدونه.

وعلى حين غرة قام إليهم سليمان آل زهير بجنوده من جهة الزبير وأقام والي البصرة ومن معه من الجنود والتحموا معهم في معارك عظيمة لم تر الزبير والبصرة لها مثيلا حتى اخرجهم من النخيل إلى العراء. وهناك (حمى وطيس) القتال وأبلى أهل الزبير البلاء الحسن وكان سليمان باشا آل زهير هو بنفسه يدير دفة الحرب.

وسليمان هذا ذوي الصبر والشجاعة ومن مشاهير الفرسان. ولما رأى المنتفق والعجمان شدة وطأة الحرب عليهم وأن ساعة الهزيمة صارت تقترب منهم رويداً رويداً لاذوا بالفرار من وجه سليمان باشا الزهير وجنوده البواسل تاركين مئات القتلى والجرحى على أرض المعركة.

وكان الشاعر الكبير السيد عبد الغفار بن عبد الواحد بن وهب المعروف (بالأخرس) ممن شاهدوا هذه الوقعة وقال في قصيدة له يمدح بها الشيخ سليمان باشا آل زهير ويشيد بهذا العمل البطولي الخالد بقوله:

أبى الله إلا أن تعز وتكرما   وإنك لم تبرح عزيزاً مكرما
تذل لك الأبطال وهي عزيزة   إذا استخدمت يمناك للبأس مخذما
ويارب يوم مثل وجهك مشرق   لبست به ثوباً من النفع مظلما
وابزغت من بيض السيوف أهله   واطلعت من زرق الآسنة انجما
وقد ركبت أسد الثرى في عراصه   من الخيل عقباناً على الموت حوما
ولما رأيت الموت قطب وجهه   والفاك سنه ضاحكاً مبتسماً
سلبت به الأرواح قهراً وطالما   كسوت بقاع الأرض ثوباً معندما
أرى البصرة الفيحاء لولاك أصبحت   طلولاً عفت بالمفسدين وأرسما
وقالوا وما في القول شك لسامع   وان جدع الصدق الأنوف وارغما
حماها سليمان آل زهير بسيفه   منبع الحمى لا يستباح له حمى
تحف به من آل نجد عصابة   يرون المنايا لا أبالك مغنما
رماهم بعين العز شيخ مقدم   عليهم وما اختاروه إلا مقدما
بصير بتدبير الحروب وعارف   عليهم فما يحتاج ان يتعلما
أأبناء نجد انتم جمرة الوعي   إذا أضرمت نار الحراب تضرما
وذا العام ما شيدتموها مبانيا   من المجد يابى الله أن تتهدما
وما هي الاوقعة طار صيتها   وأنجد في شرق البلاد واتهما
رفعتم بها شأن المنيب وخضتموا   بها كل بحر بالصناديد قد طمى

غداة دعاكم أمره فأجبتموا … على الفور منكم طاعة وتكرما
وجودكم فيها لعمري صوارما … إذا وصلت جمع العدو تصرما
ومن لم يجردكم سيوفاً على العدا … منا سيفه في كفه وتثلما
وأن الذي يختار للحرب غيركم … وقد ظن ان يغنيه عنكم توهما
كمن راح يختار الضلال على الهدى … وعوض عن عين البصيرة بالعمى
ومن قال تعليلا لعل وربما … فما ذا عسى يعني لعل وربما
عليكم إذا طاش الرجال سكينة … تزلزل رضوى أو تبيد يلملما
ولما لقيتم من اردتم لقاءه … رميتم به الأهوال ابعد مرتمى
صبرتم لها صبر الكرام ضراغما … واقحمتوها المرهفات تقحما
واوردتموها شرعة الموت منهلا … تذيقهموا طعم المنية علقما
وما خاب راجيكم ليوم عصبصب … يريه الردى يوما من الروع أيوما
وجردكم للضرب سيفاً مهندا … وهزكم للطعن رمحاً مقوما
ومن ظن ان العز في غير بأسكم … وها عزه في زعمه وتندما
وما العز إلا فيكموا وعليكموا … وما ينتمي الا إليكم اذا انتمى
إذا قعدتم في الأمور وقمتموا … عليها حمدتم قاعدين وقوما
وما سمعت منكم قديماً وحادثاً … رواية من يروي الحديث توهما
وأن قلتموا قولا صدقتم وما انثنى … بكم عزكم أن رام شيئاً وصمما
ولما أتاكم بالأمان عدوكم … وعاهدتموه أن يعود ويسلما
وفيتم له بالعهد لم تعبثوا بمن … أشار إلى الغدر الكمين مجمجما
ولو مد من تأتيه عنكم يداً … لعاد بحد السيف اجدع اجذما
وفيما مضى يا قوم اكبر عبرة … ومن حقه إذ ذاك أن يترسما
ايحسب أن الحال تكتم دونكم … وهيهات أن الأمر قد كان بهما

فاظهر مستوراً أو ابرز حافياً … واعرب عن ما في الضمير وترجما
امتخذ البيض الصوارم للعلى … طريقاً وسمر الخط للمجد سلما
نصرت بها هذا المنيب تفضلاً … واجريت ما أجريت منك تكرما
على غلمه في الناس لله دره … تصرف فيها همة وتقدما
قاتل في ابطاله ورجاله … فلم يغن عنه شحر غاب عنه تكتما
وقلبها ظهراً لبطن فلم يجد … نظيرك من قاد الجيوش العرمرما
هناك ولي الأمر من كان أهله … ومحلوه في النفوس وعظما
وطال على تلك البغاة ببأسه … وحكم فيهم سيفه فتحكما
وما سبق الوالي المنيب بمثلها … وفاق ولاة الأمر ممن تقدما
سليمان ما أبقيت في القوس منزعا … ولا تركت يمناك للبذل درهما
كشفت دجاها بالصوارم والقنا … وقد كان يلقي حالك اللون أسحما
فأصبحت في تاج الفخار متوجاً … وفي عمة المجد الأثيل معمما
إليك أبا داود نزجي ركائبها … ضوامر قد غدون جلداً واعظما
رمتنا فكنا بالسرى عن قبسها … وقد بريت من شدة السير أسهما
فأكرمت مثوانا ولم تر أعيناً … من الناس أندى منك واكرما
لاحظي إذا شاهدت وجهك بالمنى … واشكر من نعماك لله أنعما
واهدي إلى علياك ما استقله … ولو إنني أهديت دراً منظما
فحبك في قلبي وذكراك في فمي … الذ من الماء الزلال على الظما

٦- سنة (الهيلق) انقطعت الأمطار ابتداء من سنة ١٢٨٥ هـ حتى سنة ١٢٨٨ هـ وأجذبت الصحراء فحصلت مجاعة عمت الطبقة الفقيرة من الناس، وآثرت على أغنيائهم وهنا اتخذ المرحوم يوسف آل صبيح بيتاً يأوي إليه الفقراء والمحتاجون ويقدم لهم ما يحتاجونه من طعام وكساء ويجهز من يتوفي منهم على نفقته.

٧- (غرق الرشيدية) في أواخر ربيع سنة ١٣١٤هـ وفي موسم حصاد الزرع هطلت أمطار غزيرة جداً جرفت (بيادر الزرع) التي في طريقها كما تهدمت بعض المنازل بسبب دخول السيول إليها ودخل الماء مسجد الرشيدية وخرج بعض الناس من منازلهم خوفاً من سقوطها عليهم. ويقال ان سبب ارتفاع مياه السيول، سقوط بعض المنازل على جانب (الباطن) وهو طريق سيول المدينة المتجهة نحو الشرق ولما ارتفعت المياه دخلت البيوت وحدثت أضرار. وتسمى هذه الحادثة (غرقة الرشيدية).

٨- حرب (الشعيبة)(١) حرب الشعيبة من أشهر المعارك التي دارت رحاها بين الإنكليز والأتراك حلت يوم الاثنين ١١ نيسان سنة ١٩١٥م. وفي هذه المعركة انتحر القائد التركي سليمان العسكري).

وحرب الشعيبة كما هو معلوم، بين دولتين كبيرتين هما تركيا وبريطانيا ولم يشترك أحد من أهل الزبير بجانب أى من الطرفين وليس للزبير علاقة بها ولكن ذكرناها لشهرتها ولكونها جرت في أرض الزبير.

٩- سنة (مطير) الاخوان في شهر ربيع الثاني سنة ١٣٣٩هـ.

نزل (الاخوان) من قبيلة مطير بقيادة فيصل بن سلطان الدويش زعيم قبيلة مطير، نزلوا قرب الزبير. وقد أرسل المرحوم الشيخ إبراهيم بن عبد الله الإبراهيم حاكم الزبير أنذاك، إلى الدويش يسترد منه ما أخذه من الظفير ولأهل الزبير من إبل واغنام ولكن فيصل الدويش رد الرسول الموفد من الشيخ إبراهيم رداً خشناً ولما عاد الشخص المرسل ويقال أنه (سالم الحميد) ومعه اثنان من أهل الزبير أخبر الشيخ إبراهيم بما سمع من الدويش فأستعد أهل الزبير لمقاومة الدويش متى هجم عليهم.

وما كان من الشيخ إبراهيم أنذاك إلا أن ابلغ معتمد بريطانيا في البصرة بجلية الأمر فأرسل في الحال جيشاً للمحافظة غلى الزبير وحلقت طائرة من طائرات سلاح الجو الملكي البريطاني في الشعيبة على الدويش منذرة إياه وطالبة منه الرحيل عن الزبير فوراً، فرحل راجعاً من حيث أتى.

(وقد وقعت في الزبير حوادث كثيرة، ولكنها طفيفة وليست على جانب من الشهرة والأهمية ولكن أدرجنا أهم الحوادث التي وقعت وكانت الزبير كغيرها تقع فيها حوادث متعددة وفي أوقات ومناسبات مختلفة).

(١) قرية الشعيبة لا تبعد عن بلدة الزبير أكثر من خمسة أميال شمالاً فيها قصور خربة ونخيل غير عامرة ومن بين تلك القصور، قصر السيد أحمد النقيب، وقصر الشيخ عبد الله إبراهيم الراشد وقصر خالد باشا العون.

أحوال الزبير السياسية

كانت مدينة الزبير في أول أمرها قرية صغيرة وفي حالة بدائية بسيطة لم يشيد فيها من الدور غير القليل ومهددة من ناحية البادية. فلما قدم إليها الوافدون من نجد واستقروا بها أخذت بالتطور شيئاً فشيئاً.

١- (يحيى بن محمد آل زهير):

غادر الزبير منوجهاً إلى بغداد وفداً من النجديين الذين انحدروا من نجد واستوطنوا الزبير وذلك لمقابلة والي بغداد (سليمان باشا)(١)، ويرأس هذا الوفد الشيخ إبراهيم بن محمد الجديد العالم المشهور في الزبير في ذلك الوقت. وشرح الوفد المذكور للوالي ما عليه الزبير من الأهمية إذا ما مدت لهم الدولة العثمانية يد العون والمساعدة. فأجاب الوالي سليمان باشا طلبهم وقرر تخصيص مبلغ من المال لتحصين المدينة وذلك للمحافظة على سلامة سكانها.

واسند إلى الشيخ إبراهيم الجديد رئيس الوفد مهمة الإشراف على إنشاء سور لحمايتها من الغزو الخارجي وزوده بمدافع نارية ليضعها على السور كما أعطاه كمية كبيرة من الأسلحة لتوزيعها على الأهالي.

فأشيد السور سنة ١٢١١هـ الموافق ١٧٩٧م تحت اشراف الشيخ إبراهيم بن جديد (وكان رئيس الزبير أنذاك يحيى آل زهير(٢). وهو أول من تولى رئاسة بلد الزبير بصفة رسمية وذلك بعد موافقة أهلها ولم يعرف أحداً تولاها قبله).

٢- (مشيخة إبراهيم الثاقب):

في سنة ١٢١٣هـ تولى أمر الزبير إبراهيم إبراهيم بن ثاقب بن وطبان(٣) بن ربيعة بن مرخان بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع بن ربيعة. بعد أن أسند إليه الشيخ حمود بن ثامر أمير المنتفق مشيخة الزبير. وكانت معظم مناطق العراق الجنوبية بعهدة أمراء المنتفق وبعد أن أستقر الآمر في الزبير وأمن الناس خطر الغزو الخارجي.

ظل إبراهيم بن ثاقب شيخاً على الزبير إلى أن قتل سنة ١٢٣٧هـ وهو أول قتيل من حكام الزبير.

(١) سليمان باشا والي بغداد أسندت إليه ولاية بغداد سنة ١١٩٦هـ وتوفي سنة ١٢١٦هـ.

(٢) انحدر آل زهير من نجد واول من انحدر منهم هو يحيى بن سليمان بن محمد آل زهير سنة ١١٦٠هـ ١٦٥٠م وكانت داخلية نجد يومئذ في صراع وقتال دائم وغزو وحروب مستمرة، فعم فيها الجوع والقحط فترك بعض أهاليها البلاد وهاجروا إلى البلدان المجاورة وكان من المهاجرين يحيى بن سليمان بن محمد آل زهير.

(٣) يجتمع وطبان مع آل مقرن بن مرخان فهو أخو مقرن بن مرخان الجد الأعلى لآل سعود ملوك المملكة العربية السعودية اليوم.

٣- (مشيخة محمد بن إبراهيم آل ثاقب):

بعد مقتل الشيخ إبراهيم الثاقب سنة ١٢٣٧هـ تولى مشيخة الزبير بعده أبنه محمد، وكان حازماً عاقلاً من دهاة الرجال المعدودين في الزبير. غير أن الأمور لم تستتب له أكثر من ستة شهور فحصل بينه وبين أهالي حرمه وآل زهير ضغائن من أهم أسبابها انه أتهم آل زهير بمقتل والده إبراهيم فحصلت بينهم عدة معارك انتهت بترك محمد الثاقب الزبير والتجائه إلى الشيخ حمود بن ثامر سنة ١٢٣٨هـ.

٤- (مشيخة يوسف بن يحيى آل زهير):

كان يوسف بن يحيى آل زهير من ذوي الثروة والجاه الكبير في البصرة والزبير وكان من اكثر الناس كرماً وجوداً فأنقاد إليه أهالي الزبير. وانتخبوه شيخاً بعد أن ترك محمد بن ثاقب الزبير سنة ١٢٣٨هـ ـ ١٨٢٢م والتجأ إلى الشيخ حمود بن ثامر وآقر متسلم البصرة (كاظم أغا) يوسف الزهير شيخاً على الزبير.

وكان محمد بن ثاقب يظن أنه يستطيع دخول الزبير على حين غرة ليداهم يوسف آل زهير على غفلة. ولما قدم بقواته إلى الزبير علم بما قام به يوسف آل زهير من الاستعداد تيقن لديه أنه لا يستطيع أرغام يوسف على الاستسلام فأمر رجاله بدخول البلدة ومهاجمة دار يوسف آل زهير والإستيلاء عليها بالقوة.

ولما هوجمت الدار قابلهم رجال يوسف بالرصاص حتى اضطروهم إلى الرجوع على أعقابهم. ثم طاردوهم حتى أخرجوهم من البلد.

جرت كل هذه الأمور والشيخ حمود بن ثامر لا علم له بها لأنه كان يومئذ يتجول بالبادية. ولما عاد إلى مقره، وبلغه ذلك الخبر أخذ باستمالة يوسف آل زهير والتودد إليه، حتى تمكن من القاء القبض عليه وعلى بعض وجوه الزبير الذين يميلون إليه. وأسند مشيخة البلدة مرةً ثانية إلى الشيخ محمد بن إبراهيم الثاقب. وكان ذلك في عام ١٢٣٨هـ[1].

(١) وفي عام ١٢٣٩هـ توفي يوسف آل زهير في سجن الشيخ حمود وبعد وفاته اطلق الشيخ حمود سراح الباقين من أهل الزبير المعتقلين عنده.

٥- (مشيخة محمد بن إبراهيم الثاقب المرة الثانية):

قام محمد الثاقب بإدارة مشيخة الزبير على الوجه الاتم حتى سنة ١٢٤١هـ ثم جرى بينه وبين أهالي الزبير الخلاف، وسببه أنه لما توفي يوسف آل زهير في سجن الشيخ حمود خلف عشرة أولاد أكبرهم سامه (علي) فلم يزل علي يطالب بثار أبيه والانتقام من محمد بن ثاقب لآعتقاده أنه هو السبب المباشر لموت أبيه في سجن الشيخ حمود. فأخذ يحرك أهالي الزبير ضد شيخهم محمد الثاقب حتى ثاروا عليه واخرجوه من الزبير فأضطر إلى السفر قاصداً الكويت ملتجأ عند حاكمها الشيخ جابر العبد الله الصباح وأقام هناك وتزوجت ابنته من الشيخ صباح الجابر العبد الله الصبح.

٦- (مشيخة ناصر بن ناصر الراشد):

اختلت الأحوال في الزبير بعد خروج محمد الثاقب منها، واختلف الأهلون فيمن يولونه أمرهم. فأشار عليهم (علي باشا بن يوسف بن يحيى آل زهير) بتعيين ناصر الراشد رئيس أهل حريملا[1] شيخاً عليهم ورئيساً لبلدهم.

وكان ناصر هذا من مؤدي آل زهير، وفي سنة ١٢٤١هـ أصبح ناصر المذكور أميراً على الزبير وكان القول والتدبير بيد علي باشا آل زهير. وكان غرض علي الزهير من هذا الترشيح تهدئة الرأي العام وأطمئنان الناس، حتى تحين له الفرصة ليعلو كرسي مشيخة الزبير هو بنفسه وظل ناصر آل راشد شيخاً على الزبير حتى قتل سنة ١٢٤٣هـ كما يأتي مفصلاً.

(١) حريملا: بلده قرب بلدة سدوس أول بلاد اليمامة من جهة الغرب في سنة ١٠٤٥هـ نزل آل أبي رباع بلدة حريملا وغرسوها وذلك أن آل حمدين وائل وقع بينهم المدلج في التويم خلاف فخرج على بن سلمان بن أحمد وأشترى حريملا من حمد بن عبد الله بن معمر فنزل علي بن سلمان بن عبد الله حريملا هو وبنو عمه. وبقيت حريملا إلى عام ١١٥٣هـ والأمر يتولاه أميران كل منهما يدعو لنفسه وفي سنة ١١٦٥هـ آلت الرئاسة فيها إلى محمد بن عبد الله بن مبارك، وفي سنة ١١٦٨هـ سار الأمير عبد العزيز بن محمد آل سعود بثمانمائه من اتباعه قاصداً بلد حريملا فلما قرب منها اناخ في شرقها ثم قسم جيشه إلى قسمين قسم تحت قيادته والقسم الآخر تحت قيادة مبارك بن عدوان.

ثم عزم الأمير عبد العزيز بن محمد آل سعود على العودة إلى الدرعية فلما ترك حريملا قدم محمد بن عبد الله أمير ضرمه مع أهالي بلده فدخلوا حريملا وأناخوا فيها ونادوا بالامان ثم بعثو-إلى الأمير عبد العزيز يبشرونه بالفتح، فرجع الأمير عبد العزيز واستولى على جميع ما في البلدة ثم استعمل عليها مبارك بن عدوان.

استتب الأمر لمبارك بن عدوان في حريملا وقوي مركزه فأعتز بنفسه فأشتبه به آل سعود وخشوا من تمرده عليهم وفي سة ١١٧١هـ استدعي مبارك بن عدوان أمير حريملا إلى الدرعية وأسندت امارتها إلى حمد بن ناصر بن عدوان، وفي سنة ١٢٣٩هـ أعلنت حريملا عصيانها على الأمير تركي بن عبد الله آل سعود فسار إليهم بجيشه فوقع قتال بين الطرفين وكان القائد لمقاتلة أهل حريملا ناصر بن ناصر الراشد ثم انسحب أهالي حريملا إلى داخل البلد فارسل الأمير تركي إلى أميرها حمد بن مبارك الراشد يطلب منه تسليم البلد والخروج منها. فخرج حمد لمقابلة الأمير تركي واتفق معه على التسليم فدخل الأمير تركي حريملا وأستولى على جميع أموال راشد وصادر نخيلهم.

أما ناصر بن ناصر آل راشد فقد ترك حريملا مع قسم كبير من عشيرته وقدموا إلى الزبير في سنة ١٢٤٠هـ وبعد سنة واحدة من مقدمة أي في سنة ١٢٤١هـ وقع خلاف بين أهالي الزبير وبين شيخهم محمد بن إبراهيم الثاقب وبعد هذا الخلاف وخروج محمد بن ثاقب من الزبير أسندت إلى ناصر آل راشد مشيخة الزبير.

العداوة بين أهل حرمه وأهل حريملا وأسبابها

ومقتل ناصر بن ناصر آل راشد رئيس أهل حريملا

في سنة ١٢٤٣هـ وقع خلاف بين أهالي حرمه وأهالي حريملا المقيمين في الزبير سببه حفر بئر في (بيت سليمان بن عبد الله السميط). وهو من رؤساء أهل حرمه أدى ذلك إلى السباب والشتائم بينه وبين (عبد الرحمن بن مبارك آل راشد) من أهالي حريملا. فوثب رجل من آل راشد على سليمان آل سميط فقتله. ثم كمن محمد بن فوزان آل سميط في أحد الدور فلما خرج ناصر بن ناصر آل راشد شيخ الزبير إلى السوق كعادته بعد العصر أعترضه محمد بن فوزان السميط فقتله فظهر آل راشد واتباعهم وآل زهير وأتباعهم من البصرة وقدموا الزبير. فحصلت معركة بين الفريقين، ثم توسط أناس بينهم في الصلح، فعقد اجتماعاً حضره علماء ورؤساء ومشايخ البلد وكتبوا بينهم عقداً في الصلح كتبه الشيخ محمد بن سلوم الفرضي واودعوه كثيراً من العهود والمواثيق وشهد به ثمانية وعشرون شاهد من كبار القوم وختموه بأختامهم وصدق عليه عشرة من علماء الدين.

وبعد مضي مدة قصيرة أراد آل راشد وآل زهير نقض تلك الشروط فلم يتمكنوا من تحقيق غرضهم إلا بواسطة متسلم البصرة (عزيز أغا) فأوغروا صدره غضباً وحقداً على (جاسر بن فوزان آل سميط) وهو يومئذ رئيس أهل حرمه.

فأشاروا عليه ان يستدعي جاسر إلى البصرة بحجة التداول معه في بعض الأمور التي لها مساس بشئون الزبير. فلما استدعي جاسر إلى البصرة نصحه بعض خواصه بعدم الذهاب وحذروه وخوفوه من مقابلة المتسلم فلم يسمع نصحهم.

فتوجه إلى البصرة واصطحب معه بعض أتباعه ومن أشهر الذين رافقوه (أحمد بن ضاحي[1]، وعودة بن إبراهيم، وسليمان بن فداغ) وغيرهم فلما علم آل راشد وآل زهير قدموا إلى البصرة وتكمنوا في نخيلهم ولما دخل جاسر ومن معه من الرؤساء على المتسلم يكثر الطعن والشتم على (علي باشا آل زهير) وآل راشد ليموه عليهم الغرض الذي ينوبه. وكان المتسلم قد جعل كميناً من عساكره في السراي.

---

(١) أحمد بن ضاحي بن عون المدلجي الوائلي من أهل بلد حرمه كان والده (ضاحي) تاجراً مشهوراً في مدينة بومباي في الهند توفي ضاحي سنة ١٢٦٠هـ في بومباي.

وبعد قليل من مقابلته لجاسر خرج ذلك الكمين والقوا القبض على جاسر ومن كان معه. في ذلك المجلس وزجوا جميعاً في السجن.

ثم أمر المتسلم بقتل جاسر بن فوزان السميط ورمى جثته من أعلى القصر فهرب اتباعه. ثم عذب من كان منهم في السجن بأنواع العذاب وفرضت عليهم غرامات مالية ونهبت دورهم ثم أفرج عنهم فتركوا الزبير وتوجه الكثير منهم إلى الكويت.

٧- (مشيخة علي باشا بن يوسف آل زهير):

بعد قتل جاسر بن محمد آل سميط رئيس أهل حرمه سنة ١٢٤٣هـ اسند متسلم البصرة (عزيز أغا) مشيخة الزبير. إلى علي باشا بن يوسف بن يحيى آل زهير. فاستقرت بها الأحوال وصارت لعلي آل زهير شهرة كبيرة.

وكان أمر شيوخ المنتفق قد تصدع يومئذ بسبب كثرة الفتن بينهم وقيام الحروب وانكمش ظلهم من بعض المناطق ومنها الزبير وبقي الأمر مستقراً لعلي الزهير في الزبير إلى عام ١٢٤٧هـ[1] حيث مات بمرض (الطاعون) وهو آخر من مات بهذا المرض من أهل الزبير.

٨- (مشيخة عبد الرزاق بن يوسف آل زهير):

بعد وفاة علي بن يوسف آل زهير سنة ١٢٤٧هـ تولى مشيخة الزبير بعده أخوة عبد الرزاق الزهير. وفي سنة ١٢٤٨هـ سار الشيخ عيسى بن محمد بن ثامر أمير المنتفق نحو الزبير فنزل على الماء المعروف (بالدريهيمية) وحاصر الزبير.

حصار الزبير وأسبابه:

كانت بين الشيخ عيسى بن محمد بن ثامر آل سعدون وبين عمه الشيخ راشد بن ثامر آل سعدون وهما من رؤساء المنتفق أحقاد وخصومات يعود معظمها إلى عهد الأباء والأجداد والحروب بينهما لا تنقطع كل منهما يريد الرئاسة. وتمت الغلبة في النهاية للشيخ عيسى المحمد بكثرة عدده وعديده وزعامته القوية.

---

(١) وفي السنة ١٢٤٧هـ توفي الشاعر المشهور محمد بن حمد بن لعبون المدلجي الوائلي وكان علي باشا آل زهير قد أرغمه على مغادرة الزبير فخرج منها مرغماً ثم قصد الكويت فالبحرين ثم عاد إلى الكويت وتوفي فيها.

فهرب الشيخ راشد مع نفر من أتباعه متوجهاً إلى بلدة الزبير حيث صديقه الحميم الشيخ عبد الرزاق بن يوسف آل زهير حاكم الزبير، لعله يجد منه خير سند ومعين. ولما علم الشيخ عيسى بهروب عمه الشيخ راشد وذهابه إلى الزبير ولجوئه عند خصومه آل زهير شق عليه ذلك. فسار إلى جهة الزبير بما يقرب من خمسة آلاف مقاتل بين راجل وخيال ومعه (محمد البراهيم الثاقب) شيخ الزبير الأسبق والمطرود منها علي أيدي آل زهير. وكان الشيخ عيسى قد وعده المساعدة على استرجاع مشيخة الزبير وخيم على ماء (الدريهمية) وفرق رجاله حول البلدة من جهاتها الأربع ثم أرسل رسولاً يحمل كتاباً معه إلى الشيخ عبد الرزاق يطلب فيه اخراج عمه الشيخ راشد السعدون ومن معه من البلد.

فأستنكر ذلك أهل الزبير بجميع فئاتهم وعلى رأسهم آل زهير واستعظموا هذا الأمر واعتبروه اهانة لهم فرفضوه رفضاً باتاً واستعدوا للحرب بجانب أميرهم عبد الرزاق آل زهير والوقوف معه.

وهنا بدأ المنتفق بالمناوشات وتشديد الحصار على البلد ولكن الشيخ عبد الرزاق آل زهير كان قد وزع رجاله على سور البلدة وإبراجها ونظم السرايا والدوريات وأعد لكل أمر عدته. وعزز (الطوب[1]) والمقاحير المنبثة خارج السور والتي مهمتها المحافظة على آبار الدريهمية، وتأمين سلامة السقائين في غدوهم ورواحهم بأمر الرماة مزودين بالذخيرة والأطعمة. ثم صار يرسل الدوريات والسرايا القوية لمداهمة المنتفق ومهاجمتهم في مخيماتهم ليلاً بصورة متواصلة ويحدث فيها خسائر كبيرة بالأرواح والأموال وكان يقود معظم تلك السرايا واقواها بنفسه.

فاستطاع الشيخ عبد الرزاق بهذا الأسلوب الحربي وبقوات صغيرة أن يجليهم من مراكزهم ويبعدهم عن المياه. ولقد أدت حاميات هذه الطوب مهمتها خير أداء طوال أشهر الحصار الستة.

ومما هو جدير بالذكر ان السقائين لم ينقطعوا عن تزويد البلدة بماء الدريهمية كما لو كانوا في الأيام العادية. أما الشيخ عيسى المحمد زعيم المنتفق فأنه بعد ما رأى كثرة ما أصيب به أتباعه من خسائر في الأموال والأرواح وأن لا جدوى من مطاولة الحصار. عزم على الرحيل ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان ذلك أن سرية كبيرة من أهالي الزبير داهمت مخيمات المنتفق واشتبكت معهم في قتال مرير استعمل فيه السلاح الأبيض.

(١) الطوب: وأحدها طوبة وهي أبراج دائرية الشكل تقام على المرتفعات.

ولما انتهت المعركة وجد الشيخ علي بن ثامر آل سعدون بين القتلى فأكبر ذلك الشيخ عيسى وقرر مواصلة الحرب مهما كلف الأمر وطلب النجدة من الشيخ جابر العبد الله الصباح حاكم الكويت، فأنجده بفريق كبير من عربان الكويت كان هو على رأسها، واشتد الحصار على البلد وطال أمده وتضايق الأهالي بسبب نفاذ الذخيرة والأطعمة. ومما زاد في الطين بله تواطىء عبد الرحمن[1] المبارك الراشد زعيم أهل حريملا وانضمامه مع اتباعه إلى المنتفق.

ثم تفاوض مع الشيخ عيسى على الصلح فوافق باستثناء آل زهير، ثم مضى عبد الرحمن المبارك واتباعه وتسوروا سور البلدة من جهة (ديم خزام) ثم فتحوا الأبواب للمنتفق وكان قد ذهب من الليل معظمه واتجهوا إلى بيوت آل زهير واقتحموها عليهم بين صراخ النسوة وصياح الأطفال واعتقلوا الشيخ عبد الرازق وأخوته. عبد الوهاب، وخالد، ومصطفى، وأحمد وحملوهم إلى الشيخ عيسى وحاول الشيخ عبد الرزاق وأخوته أن يفدي نفسه وأخوته بالآحمرين الذهب أو حمر النعم فأبى إلا الثأر. وعند الصباح دخل أحد الخدام إلى خيمة عبد الرزاق آل زهير فوجده يخط بعود على الأرض. فذهب وأخبر الشيخ عيسى بالذي رآه فأمر بإحضاره وسأله عما كتب فقال هذا الزهيري:

الغادرة ما تخليني بعهدي ورايـاتـي
وظليت أنا أنشد على المخلوق رايـاتـى
وأصحابنا اليوم خانوا بعهدي ورايـاتي
أمـر مقـدر وهـذا يومنا الموعود
أمسيت أخط بقلم وأصبحت أخط بعود
ان أقبلت لاطعن الملبس بسن العـود
وإن ادبرت تيهت رشدي ورايـاتـي

ثم أمر بقتلهم فقتلوهم سنة ١٢٤٩هـ رحمهم الله جميعاً وأستولى محمد البراهيم الثاقب على مشيخة الزبير. أما الشيخ راشد السعدون فأنه هرب ومعه سليمان بن عبد الرزاق آل زهير قاصدين الكويت للاحتماء بحاكمها الشيخ جابر العبد الله الضباح فلم يجدوه فأستقبلتهما أخته

(١) في سنة ١٢٥٣هـ قدم من بغداد الكتخدا على باشا على رأس قوة كبيرة من العساكر متوجهاً إلى البصرة لمحاربة بني كعب في المحمرة وبعد أن عاد من المحمرة منتصراً استدعى إليه عبد الرحمن المبارك آل راشد للمثول أمامه في البصرة ثم أخذ يلومه على أعمال بدرت منه حسب ادعاء متسلم البصرة أحمد جلبي وأخيراً طلب منه دفع أموال كثيرة لا يستطيع دفعها وهنا ايقن عبد الرحمن المبارك بالهلاك فأمر علي باشا بقتله فقتل سنة ١٢٥٣هـ.

(مريم العبد الله الصباح) وأنزلتهما على الرحب والسعة وبالغت بإكرامهما ولما حضر الشيخ جابر وعلم بالأمر شكرها على صنيعها وأبدى أسفه لما حدث لآل زهير.

٩- (مشيخة محمد بن إبراهيم الثاقب للمرة الثالثة):

بعد حصار الزبير ومقتل عبد الرزاق آل زهير سنة ١٢٤٩هـ، تولى مشيخة الزبير محمد بن إبراهيم الثاقب مرةً ثالثة واستتب له الأمر وأصبحت له كلمة عليا.

وكان متسلم البصرة (أحمد جلبي) يخافه ويخشاه لعلمه أن محمد بن ثاقب يسبب له خطراً، وأن الأمور لا تستقر بالبصره إلا بعد التخلص منه. ولا سيما وأن آل زهير حاولوا الأخذ بالثار من محمد بن إبراهيم الثاقب الذي كان يوالي المنتفق، ومع الشيخ عيسى بن محمد أثناء حصاره للزبير سنة ١٢٤٨هـ. وكان لآل زهير نفوذ كبير في البصرة وبغداد ورفعوا شكوى إلى والي بغداد (علي باشا) ضد محمد بن إبراهيم الثاقب. وفي سنة ١٢٥٢هـ سافر متسلم البصرة إلى بغداد وأقام فيها عدة أيام ثم رجع إلى البصرة وليس معه من العسكر ما يريب وأرسل إلى محمد الثاقب يطلب زيارته في البصرة.

فتوجه محمد الثاقب إلى البصرة ومعه جمع غفير من اتباعه وهم شاكون السلاح ومعهم البيارق والطبول. ولما وصل موكبه إلى السراي أخذ اتباعه بضرب الطبول والقيام بالعرضات واطلاق النار من البنادق بالفضاء، ودخل محمد بن ثاقب مع ثلاثة من رجاله على المتسلم بعد صلاة العصر، وترك اتباعه خارج السراي وكان المتسلم قد أقام كميناً من عساكره في أعلى سطح السراي وكميناً آخر في أسفل السراي. فلما قام محمد الثاقب لمقابلته خرج عليه بعض الجند واطلقوا عليه الرصاص وقتلوه وقتلوا معه اثنين من رجاله ثم رموا جثته من أعلى الدار على رجاله فهربوا ولاذوا بالفرار. ثم أرسل المتسلم أحمد جلبي ثلة من الجنود إلى الزبير وأمرهم بنهب دور آل ثاقب ودور من يناصرهم فاضطروا وبعض أتباعهم إلى ترك الزبير والتوجه إلى الكويت وذلك سنة ١٢٥٢هـ.

١٠- (مشيخة أحمد المشاري):

في سنة ١٢٥٢هـ أسندت مشيخة الزبير إلى أحمد المشاري وبقي يدير البلدة إلى أن توفي.

١١- (مشيخة علي ابن محمد آل ثاقب):

بعد وفاة أحمد المشاري آلت مشيخة الزبير إلى علي بن محمد الثاقب وكان وفداً من رؤساء وعلماء الزبير تألف للنظر فيمن يولونه أمر الزبير فعقدوا الرأي على علي بن محمد الثاقب وكان يومئذ في الكويت. فأرسلوا جماعة يطلبون منه القدوم إلى الزبير ليتولى المشيخة فيها فلم يلاقي ذلك الوفد ممانعة من قبل علي الثاقب وعاد معهم إلى الزبير وتولى شؤون الحكم لمدة قصيرة.

وكان علي الثاقب من المسالمين فترك المشيخة وعاد مع أسرته إلى الكويت وبقي فيها. (يقال أن تعيين كل من أحمد المشاري وعلي آل ثاقب هو من قبل آل زهير بواسطة أعوانهم ومؤيديهم في الزبير).

١٢- (مشيخة سليمان بن عبد الرزاق آل زهير):

تولى الشيخ سليمان بن عبد الرزاق بن يوسف بن يحيى آل زهير مشيخة الزبير بعد تنازل علي بن محمد بن إبراهيم الثاقب عنها. وقد استمر حكم سليمان آل زهير على الزبير حتى سنة ١٢٨٩هـ ثم حصل تضاغن بينه وبين أهلها اضطر على أثره إلى تركها والانتقال مع عائلته إلى البصرة.

وأسندت مشيخة الزبير إلى هيئة مكونة من ثلاثة أشخاص برئاسة (عبد الله الحميدان) ولكن هذه الهيئة لم تستطع السيطرة على البلدة وبقي الأمر فيها فوضى فقرر أهل (حرمه) وكان رئيسهم عبد اللطيف بن محمد العون وناصرهم عبد الله البراهيم آل راشد رئيس أهل (حريملا) مضادة الشيخ سليمان آل زهير واخراج أهله من الزبير وكان الشيخ سليمان آل زهير قد استقر في البصرة.

فجنح لذلك عبد الله الإبراهيم آل راشد من أهل حريملا وتعهد بنفي نساء آل زهير إلى البصرة ثم ذهب وأتى بدواب (أبل وحمير) إلى إمام بيوتهن وأمرهن بالخروج جبراً إلى البصرة فاضطررن إلى الخروج وتوجهن بحواشيهن إلى البصرة (إلا ثريا بنت ناصر الفداغ زوجة قاسم باشا آل زهير) فأنهم غضوا النظر عن إخراجها البلدة لكرمها المتزايد وكثرة إسدائها المعروف لغالب أهل الزبير.

وظل أهل حرمه متحزبين بالزبير ضد كل من يلوذ بآل زهير فوافق ان قدم من عدن أحد التجار المدعو (فهد بن محمد آل راشد) وهو أيضاً من آل راشد أهل حريملا وكان وكيلاً في

عدن لبعض تجار البصرة ومن جملتهم آل زهير فلما رأى ابن عمه عبد الله البراهيم آل راشد منضماً إلى أهل حرمه ضد آل زهير لم يرض بذلك وسعى للصلح بينهما حتى أتمه. وتأكيداً للصلح أرسل الشيخ سليمان بن عبد الرزاق آل زهير (هدية من التمر) لعبد الله البراهيم آل راشد محملة على (إبل) إعلاناً بإتمام الصلح بينهما فأخذها عبد الله وقبلها وانسحب من حزب أهل (حرمه). فلما تأكد لهم صلحه مع الشيخ سليمان خشوا منه لئلا يفسد أحداً من ربعه ممن كان منضماً إليهم ولا سيما وأن عبد الله مشهور عندهم بالدهاء والشجاعة فأصروا على أغتياله واودعوا ذلك إلى (فراج بن زيد اللعبون) فذهب إليه ومعه (زيد بن شقير) من بني حسين. وكان فداوياً يحمل السلاح خلف عبد اللطيف العون، فلاحظاه حتى تمكنا منه من بعد صلاة العشاء وهو جالس في المسجد.

فأطلق عليه زيد بن شقير (قربينه) بندقاً قصيرة واسعة الفوه محشوة (رش) صغار الرصاص وكان عند الإطلاق الصق ملفظ البندقية في ظهره فلم تقتله وإنما أنغرس الرصاص في اللحم وخر على الأرض مذعوراً وذهب القاتل ظناً أنه قتل فحمل جريحاً وأدخل في بيت (محمد بن موسى الفارس) ولما علم أهل حرمه بعدم موته تحزبوا وأتوا إلى بيت ابن فارس واحاطوا به وطرقوا الباب ليلاً ليلجوا البيت ويتمموا على قتل عبد الله المذكور. فأحتال آل فارس لتهريبه من على ظهر أسطح البيوت حتى ابتعدوا به وأوجوه إلى بيت (عبد الله المحطب). ثم أركبوه من هنا دابة وأرسلوه إلى البصرة وأرسلوا معه أناساً حتى أدخلوه بيت الشيخ سليمان آل زهير، فبادر الشيخ سليمان بجلب أطباء فأجروا له عملية بإخراج شظايا الرصاص من لحمه فأمنت حياته وجعل الأطباء يعالجونه حتى برىء وبقي في البصرة. ثم أن أهل حرمه لما دخلوا بيت ابن فارس في تلك الليلة وفتشوا ولم يجدوا فيه غريمهم ذهبوا من حيث أتوا.

ثم بعد ذلك تحقق لديهم بأن الفارس هم الذين هربوه إلى البصرة فأجمعوا رأيهم على نفي كل من يلوذ بآل زهير ولم ينضموا إليهم وتحزبوا على ذلك واخرجوا من الزبير كرهاً (الفارس، والنصار، والمشري، والشماس، والمطلق) وكل من يلوذ بهؤلاء.

١٣ - (مشيخة عبد اللطيف بن محمد العون) وسنة (حرمه):

جرت جميع تلك الحوادث التي ذكرناها سابقاً وأمور الزبير بيد أهل حرمه وكان رئيسهم (عبد اللطيف بن محمد العون) ثم تبين للحكومة العثمانية أن الخطأ حاصل من أهل حرمه حيث أنهم نفوا غالب الأهالي واخرجوهم من ديارهم وهم غافلون.

ثم أن أهل حرمه وجهوا من رؤسائهم إلى البصرة عبد اللطيف بن محمد العون (وفواز بن محمد اللعبون) أخو فراج ومعهما جملة من ربعهم لقصد تبرئة أنفسهم عند الحكومة ويبينوا لها سبب تحزبهم. وعند وصولهم إلى صرح الحكومة القي القبض[1] عليهم وسيقوا إلى السجن إلى أن يتحقق من أمرهم. ثم أن الحكومة أمرت جميع المنفيين من الزبير والفارين بالعودة فأفهموا الحكومة أنهم يخشون على أنفسهم اذ عادوا منفردين إلى الزبير.

فأرسلت معهم الحكومة (صالح أغا أطابور أغاسي) بصفته مديراً لقصبة الزبير فصحب معه جملة ممن يحملون السلاح من أهل البصرة ومحلة السبخاء، والمشراق والسراجي وقردلان. وكلهم تحت رئاسة الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف آل زهير وعبد الله بن إبراهيم آل راشد ولما أقبلوا جميعاً على قصبة الزبير بادر أهها بإطلاق الرصاص على القادمين بعد أن حصنوا البلدة وسدوا أبواب السور واستعدوا للحرب. فقابلوهم بالمثل وتبودل إطلاق النار بينهما ساعات دون أن يتفوق أحد الفريقين على الآخر. ثم أن (ثريا بنت ناصر الفداغ) زوجة قاسم باشا بن محمد جلبي بن عثمان آل زهير المار ذكرها نهضت من داخل البلدة وأمرت أحد خدامها واسمه (بلال الريحان) بأن يجمع لها رجالاً من محبي آل زهير ويأتي بهم إلى بيتها مسلحين.

فأحضر لها نحو (٣٠٠) مقاتل منهم قسم من أهل المجمعة تحت زعامة رئيسهم (عبد المحسن بن إبراهيم العقبي). فأدخلهم إلى أعلى سطح قصرها وكان مشرفاً على السور، وعلى السور المشرفون والمحافظون على البلدة وأمرتهم بإطلاق الرصاص عليهم فما شعروا الا والرصاص يأتيهم من داخل سور البلدة فذعروا ولم يدروا ما حصل فتركوا السور واضطروا إلى الهزيمة والفرار. فذهب (بلال الريحان) إلى السور وفتح باب البصرة فدخل القادمون البلدة وأخذوا يتتبعون رؤساء أهل حرمه في الشوارع فمن وجدوه قتلوه فقتلوا تسعة أشخاص منهم (جلوي) من أهل حرمه و(محارب السويد) من أهل جلاجل ومن قرابة إبراهيم المنديل و(محمد المدلج) وهذا قتل خطأ لأنه من الأخيار وليس له تدخل في شيء انما هو من أهل حرمه فقط. ولم ينهب في هذه الحادثة بيت ولا دكان بل ولم يتجاوز أحد على الأعراض ولا على مهاجمة الدور وكانت الحادثة سنة ١٢٩١هـ ١٨٧٣م وتسمى سنة (حرمه).

(١) جرى اعتقال عبد اللطيف العون وربعه سنة ١٢٩١هـ وكان أشرف باشا والياً على البصرة وبقوا في السجن حتى سنة ١٢٩٢هـ وعندما عين ناصر باشا آل سعدون والياً على البصرة أطلق سراحهم.

كان الشيخ سليمان بن عبد الرزاق آل زهير وكيلاً على كافة أملاك ناصر باشا آل سعدون من قبل ولايته على البصرة. وظل الشيخ سليمان مستمراً على وكالته ثم أن الأعداء غاظهم ذلك فجعلوا يلقون العداوة والبغضاء بينهما إلى أن أمر ناصر باشا برفع يد الشيخ سليمان عن أملاكه وطلب محاسبته وضيق عليه في ذلك فتحاسب معه وتقرر أن الباقي عند الشيخ سليمان مبلغ عظيم من المال فأعطاه قسماً منه نقداً وما تبقى جعل نخيله رهناً فيه عند ناصر باشا.

وذهب الشيخ سليمان إلى دائرة سجلات الاملاك بالبصرة واجرى معاملة الرهن وبعد انتهاء معاملة الرهن بارح الشيخ سليمان البصرة متوجهاً نحو الهند، ومنه إلى مكة المكرمة حيث أدى فريضة الحج. ثم عاد إلى البصرة مريضاً ثم توفي بعد أيام قلائل في البصرة ودفن في مقبرة الزبير وذلك سنة ١٢٩٣هـ.

ثم بعد وفاة الشيخ سليمان طلب ناصر باشا من قاسم باشا آل زهير فك الاملاك المرهونة فامتنع عن ذلك. فحصلت العداوة بينهما حتى عزم ناصر باشا على القاء القبض على قاسم باشا وسجنه. فاضطر أخيراً قاسم باشا على الفرار ليلاً من البصرة والتجأ إلى قمندان البحرية (خالد بيك) لما بينهما من الصداقة القديمة فأركبه في البارجة المسماة (مسكنه) ووجهه إلى بغداد. فلما أصبح الصباح وأراد ناصر باشا القبض على قاسم باشا وجده قد توجه إلى بغداد فأبرق ناصر باشا حالاً إلى قائمقام العمارة بالقبض على قاسم باشا آل زهير من البارجة وإرجاعه حالاً إلى البصرة.

فلما وصل قاسم باشا إلى (العمارة) قابله (شعبان باشا) قائمقام العمارة بالإكرام واضافه وأخبره بمضمون البرقية ولم يقبض عليه بل أمره بسرعة التوجه إلى بغداد. ثم أبرق شعبان إلى ناصر باشا ان العمارة هي تابعة إلى بغداد ولا يمكنني أن أقبض على أحد إلا إذا وصلني أمر من بغداد.

فلما وصل قاسم باشا آل زهير إلى بغداد توجه إلى الاستانه وشرح للدولة حال العراق وما حصل عليه بعد توليه ناصر باشا[1]. فطلبت الدولة ناصر باشا إلى الاستانة وجرت بينه وبين قاسم باشا محاكمة لا حاجة لذكرها. وبقي قاسم[2] باشا في الاستانة إلى أن توفي سنة ١٣٠٤هـ ودفن بجوار أبي أيوب الأنصاري.

ثم أسندت لأبنه رتبة باشا فلقب يوسف باشا آل زهير وتوفي يوسف باشا في الزبير سنة ١٣١٠هـ.

---

(١) توفي ناصر باشا آل سعدون في الاستانة سنة ١٣٠٢هـ.

(٢) توفيت ثريا بنت ناصر الفداغ حليلة قاسم باشا آل زهير سنة ١٣٠٤هـ.



(ترجمة) قاسم باشا بن محمد جلبي بن عثمان آل زهير ولد بحلب سنة ١٢٥٢هـ واستوطن البصرة سنة ١٢٦٢هـ وصار رئيس محكمة التجارة بعد والده سنة ١٢٨٦هـ وصار من أعضاء شورى الدولة سنة ١٣٠٢هـ توفي في الاستانة سنة ١٣٠٤هـ.



صورة الحاج الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف آل زهير والواقفان عن يمينه ابنه عبد المجيد وعن يساره ابنه الآخر خليل.

١٤- (مشيخة إبراهيم بن عبد اللطيف آل زهير):

في سنة ١٢٩١هـ وبعد حادثة (حرمه) اصبحت الزبير (مديرية) وعين صالح أغا طابور أغاسي) بصفة مدير. كما أسندت مشيخة الزبير إلى (إبراهيم بن عبد اللطيف آل زهير) وعين هو من قبله الشيخ عبد الله البراهيم آل راشد معاوناً له. ثم أن عبد الله الإبراهيم الراشد أخذ يضاد الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف آل زهير بكثير من الأمور.

ثم تخلى إبراهيم بن عبد اللطيف آل زهير عن مشيخة الزبير وتولاها الشيخ عبد الله الإبراهيم آل راشد. (يقال ان الحاج إبراهيم بن عبد اللطيف آل زهير تخلى عن مشيخة الزبير وسلمها إلى عبد الله البراهيم آل راشد سنة ١٣٠٤هـ وذلك بإقتراح من يوسف باشا بن قاسم باشا آل زهير).

١٥- (مشيخة عبد الله الإبراهيم آل راشد):

الشيخ عبد الله البراهيم آل راشد مشهور بالشجاعة والإقدام ومن رؤساء أهل (حريملا) البارزين، تولى مشيخة الزبير بعد أن تنازل عنها الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف آل زهير، وكان عاقلاً حازما تقياً عفيفاً فاستقامت له الأمور. غير أن أهالي البلد ضجوا من أعمال يقوم بها بعض السفهاء ورفعوا الأمر على أثرها إلى الشيخ عبد الله فقرر رأيه ورأى أهل البلد على انتخاب رجل ذى غيرة واستقامة يكون بصفة (مختار) عام في الزبير.

فوقع الاختيار على (عبد الله بن أحمد البطاح) فقام الرجل بواجبه خير قيام وفى سنة ١٣١٤هـ ١٨٩٨م قتل عبد الله بن أحمد البطاح واتهموا أولاد الشيخ عبد الله البراهيم بقتله.

وبعد حادثة مقتا عبد الله البطاح صمم أهالي الزبير على عدم قبول عبد الله الإبراهيم شيخاً عليهم ورفعوا الأمر إلى والي البصرة. ثم عزل الشيخ عبد الله الإبراهيم عن مشيخة الزبير وغادرها بعد ذلك متوجهاً إلى البصرة ومنها توجه إلى الكويت وأقام بها تصحبه عائلته وأولاده.

وبعد حادثة مقتل عبد الله البطاح صمم أهالي الزبير على عدم قبول عبد الله الإبراهيم شيخاً عليهم ورفعوا الأمر إلى والي البصرة. ثم عزل الشيخ عبد الله الإبراهيم عن مشيخة الزبير وغادرها بعد ذلك متوجهاً إلى البصرة ومنها توجه إلى الكويت وأقام بها تصحبه عائلته وأولاده.

١٦- (خالد باشا بن عبد اللطيف آل عون):

بعد عزل الشيخ عبد الله الإبراهيم آل راشد ومغادرته الزبير سنة ١٣١٤هـ ١٨٩٨م. أسند (محمد أنيس باشا) والي البصرة مشيخة الزبير إلى خالد بن عبد اللطيف بن محمد آل عون من أهل (حرمه) ثم منح رتبة باشا ولقب (خالد باشا) ثم منحته الدولة بعد ذلك رتبة ميرميران أي (أمير الأمراء). وفي عهده انتعشت التجارة وأصبح الزبير بمثابة ميناء للبادية تأتيها القوافل من نجد ومن كل مكان، واتسعت البلدة من جهاتها الأربع وتأسست المدرسة (الرشدية) وأقبل الناس على تعليم أبنائهم وكان عهده عهد هدوء وسكينة وأمن واستقرار.

وقد وطد خالد باشا آل عون علاقات الود والصداقة مع كافة الشيوخ والأمراء الحاضر منهم والباد. وخصوصاً الأمير عبد العزيز المتعب آل رشيد أمير حائل وسلطان نجد انذاك وقد ظل في المشيخة حتى قتل يوم الثلاثاء الخامس عشر من شهر شوال سنة ١٣٢٥هـ في البصرة ثم نقل ودفن في الزبير.



الشيخ خالد باشا بن عبد اللطيف آل عون (شيخ الزبير)

١٧- (مشيخة محمد بيك بن حسين باشا آل مشري):

بعد مقتل خالد باشا آل عون سنة ١٣٢٥ هـ آلت مشيخة الزبير إلى (محمد بيك المشري) وذلك بترشيح من أهل الزبير وموافقتهم. وفي مدته نهض (محمد بن براك[١] العصيمي) واتخذ من قصر خالد باشا آل عون في (الشعيبة) مقاماً له.

وكانت تجري بينه وبين (سعدون باشا) وابنه(عجيمي) مكاتبات لا داعي لذكرها (وليست لها علاقة في شئون الزبير).

وفي الأخير حدث سوء تفاهم بيم عبد الكريم بن عبد الله آل مشري وبين أبني عمه (محمد بيك وعلي بيك آل مشري) ترك عبد الكريم على أثره الزبير وسكن البصره.

وفي ٣ رجب سنة ١٣٣٢ هـ الموافق ٢٤ آب سنة ١٩١٤م خرجت من البصرة قوة من الجنود العثمانية يقودها (قدري بيك) وبصحبته جملة من حواشي السيد (طالب باشا آل النقيب) وأولاد الشيخ عبد الله البراهيم آل راشد (إبراهيم وأحمد، ومحمد، وفهد) وجملة من اتباعهم. وتوجه الكل نحو الزبير وأطلقوا نيران بنادقهم على البلدة فقابلهم حمد بيك آل سعدون واتباعه بالمثل وكان حمد موجوداً في الزبير. ثم اضطر حمد بيك بالانسحاب واتجه نحو (كويبده) بعد ان قتل من اتباعه سبعة وجرح ثمانية فدخل قدري بيك ومن معه الزبير وفي نفس الوقت نهب عبد الكريم آل مشري بيت أبني عمه (محمد بيك وعلي بيك آل مشري). ونهب رهط السيد طالب النقيب بيت محمد بن براك العصيمي وبيت علي باشا آل زهير وبيت عبد المحسن باشا آل زهير وبيت قاضي البلدة كما نهب بيت أحمد بن علي الفريج ولما انسحبت أعراب المنتفق نحو كويبده (حمد[٢] بيك آل سعدون وأتباعه) أخذت تتوعد الذين ساعدوا على نهب بيوت ربعهم وترتجز بقولها

يا طارشي لعبد الكريم	إسلم ولا تسلم عليه
ان قدر الله والرسول	من الفجر نصلها عليه

---

(١) محمد بن براك العصيمي ينتسب إلى العصوم من عتيبة، أصله من أهل الزلفي في نجد وقد نشأت عداوة بين سعدون باشا آل سعدون وبين السيد طالب باشا النقيب وكان محمد العصيمي يميل لآل سعدون فاعتبره السيد طالب النقيب عدواً له بسبب صداقته إلى سعدون باشا ثم أبنه عجيمي.

(٢) حمد بيك بن سعدون باشا آل سعدون دخل البصرة هو وأتباعه وأقام في السيمر ثم أن السيد طال بشا آل نقيب لم يهدأ له بال وحمد نازل البصرة، فتراجع مع الوالي سليمان شفيق باشا بهذا الصدد فأمر الوالي حمد بضرورة مغادرة البصرة فبارحها ونزل الزبير وكان شيخ الزبير آنذاك محمد آل مشري يميل للمنتفق.



صورة شهادة المدرسة الرشدية العثمانية في الزبير التي كانت تمنح للتلاميذ المتخرجين منها.



(الجالسون) محمد بيك آل مشري وعن يمينه آخاه علي بيك آل مشري وعن يساره الحاج سعود عبد الرحمن المشاري

(الواقفون) إبتداء من اليمين: موسى المفرج، ناجي الرمان، عبد الله السديري، صالح المسفر، أحمد الحمد، ثم حسين بن ضيف الله فأحمد بن عبد الله آل مشري.



(سعدون باشا بن منصور باشا آل سعدون)



(عجيمي باشا بن سعدون باشا آل سعدون)



السيد طالب باشا آل نقيب



الشيخ إبراهيم بن عبد الله آل راشد (أخر من تولى مشيخة الزبير)

١٨- (الشيخ إبراهيم العبد الله آل راشد) :

بعد أن دخل (قدري بيك) الزبير في ٣ رجب سنة ١٣٣٢ هـ الموافق ٢٤ آب سنة ١٩١٤م تولى مشيخة الزبير الشيخ إبراهيم بن عبد الله آل راشد وقد أذن إلى جميع الفارين والهاربين من الزبير والموجودين في البصرة والكويت بالعودة وبعد أن احتل الانكليز البصرة أقروه على وظيفته شيخاً للزبير فاستتب له الأمر وظل شيخاً للزبير حتى بعد (الثورة العراقية) وتشكيل الحكم الوطني في العراق ثم استُدعي إلى بغداد وجرت بينه وبين الحكومة مفاوضات عُزل بعدها عن مشيخة الزبير كرها وذلك سنة ١٣٤٢ هـ. وبعزل[1] الشيخ إبراهيم انتهت المشيخة في الزبير وأصبحت الزبير مديرية تابعة للبصرة وعين السيد (لفته عبد الله) من أهالي المناوي مديراً لناحية الزبير.

(اتسم عهد الشيخ إبراهيم بالعدل والأمان والعز والكرامة نصر الحق على الباطل، دافع عن الزبير وأهلها وجعل كلمتهم العليا وهابه وهابهم القريب والبعيد من حاضر ومن باد ثم اعتزل الناس بعد عزله عن المشيخة إلى أن توفي (رحمه الله).

بعض الأمثال العامية عند أهل الزبير

المثل هو القول السائر المصطلح عليه بين الناس عامتهم وخاصتهم لتعريف الشيء بما سبقه من حوادث متشابهة أو مما قاله ذو التجربة والعقلاء وهذه مجموعة من الأمثال الشائعة عند أهل الزبير.

١- أذن عمك صمخه.

أي أذن من تخاطب صماء لا تسمع ولا تعي ما تقول.

٢- اسأل مجرب ولا تسأل طبيب.

يضرب لمن جرب الأمور وعرفها.

٣- أقضب مجنونك لا يجيك أجن منه.

أي تمسك بما لديك وأن كان هزيلاً.

(١) عندما عزل الشيخ إبراهيم عن مشيخة الزبير كان متصرف البصرة أحمد باشا بن عبد العزيز الصانع.

٤- اللي ما يرضى بجزّه يرضى بجزّه وخروف.

الجزه (ما يجز من صوف الغنم) واصل المثل، مر أحد المحتالين ببدوي حديث عهد بالمدينة ومعه خروف قد أجتز صوفه فسأله المحتال أن يهبه جزة الخروف فرفض البدوي، فقال له المحتال: إذا لم تعطيني الجزه اشتكي عليك عند الحاكم، فقال البدوي، وما يصنع الحاكم بصاحب الحق. فذهب المحتال عند الحاكم وادعى أن له خروفاً كذا وصفه هرب منه منذ مدة وقد وجده الآن عند بدوى وادعي أيضاً أن البدوي جز صوف الخروف. خدعه لئلا يعرف، فأرسل الحاكم من جاءه بالبدوي فأنكر البدوي تلك الدعوى ولكن الحاكم قال له، لابد من تسلم الخروف والجزه إلى صاحبها وقال له لئن كذب عليك صاحب الخروف فلن يكذب عليك هذان الشاهدان وأجبر الحاكم البدوي أن يدفع الجزة والخروف إلى المحتال.

٥- إذا ذكرت الكلب ولم العصا

يضرب لمن يذكره فيقدم على حين غرة .

٦- إذا أنطق الخشم أهملت العيون.

أي إذا وقع حادث على الأنف فما أسرع ان تفيض العينان بالدموع.

٧- أما حبت وأما بركت

يضرب لمن يفرط مره في الخير ومره في الشر.

٨- تجيك التهايم وأنت نايم.

يضرب لمن يتهم بما ليس فيه.

٩- جوع كلبك يتبعك

يضرب للئيم تذله فيستقيم معك.

١٠- الجمل جمل كروي والمشعاب من شجرة.

يضرب بمن لا يعبأ بما تحت يده من ملك غيره.

١١- جازا ناقه الحج ابذبحها.

يضرب لمن يسيء إلى من أحسنت إليه.

١٢- الحي يحييك والميت يزيدك غبن

الغبن هو (الهم والغم) يضرب للرجل النشط يغريك نشاطه ويدفعك إلى العمل والعكس.

١٣- إذا فات الفوت ما ينفع الصوت

أي إذا مضى العمر وذهب عنك وقت فعله فلن ينفعك صراخ أو نواح فما فات لن يرجع.

١٤- إذا كنت في دارهم دارهم

يضرب في الحث على التملق لمن لا غنى لك عنه.

١٥- الأول ما ترك للتالي شيء.

يضرب لمن يحدث بما سبقه عليه الأولون.

١٦- اقطع رأسه يموت خبره

يضرب في الحث على قتل مصدر البلاء قبل أن يشيع فيعم شره ويستفحل أمره.

١٧- البيت بيت أبونا والقوم طردونا

يضرب لمن يستولي على مالك ثم يجور عليك.

١٨- الباب الي يجيك منه ريح سده واستريح

يضرب على مقاطعة وترك ما لا ينفع والحث على ذلك.

١٩- البخل عدو المرجلة

يضرب في ذم البخيل.

٢٠- تغد فيه قبل أن يتعشى فيك

يضرب على أخذ الأمور في الحزم والجزم ومباغتة الأعداء قبل أن يشعروا بك.

٢١- سواها البخت واستوت

يضرب لم ن يحاول فعل أمر فيخفق فيه.

٢٢- سويتها بنفسك واستوت

يضرب لمن يوقع نفسه في ورطة لا خلاص له منها.

٢٣- العبد يضلع من برطمه

يضرب لمن يشكو مما لا شكوى منه ولا خطر فيه.

٢٤- أعيال قرية كل يعرف أخيه

يضرب لمن يحاول خديعتك وأنت به عليم.

٢٥- فصل وأنا ألبس

يضرب للرجل تثق به فتكل أمرك إليه.

٢٦- كل عود فيه دخان

يضرب لهاديء الطبع تصدر منه أشياء لا تستحسن منه.

٢٧- كل لعبة لابد لها من قولة بس

يضرب للأمر لابد وأن يبلغ منتهاه.

٢٨- ما تحرق النار إلا رجل واطيها

يضرب لمن يقدم على أمر لا يقدر سوء عاقبته فيصاب بالأذى.

٢٩- ما يطير طيره

يضرب للذكي، الفطن الذي يدرك بواطن الأمور.

٣٠- ما تكبر الاَّ الزبالة

يضرب في ذم الغرور والمغرورين.

٣١- إذا طالت اخطاها تراها رباضة

الرباضة كثيرة العجز قليلة الخير.

٣٢- أصابع أيدك ما هي وحدة

أي أصابع يدك أن اتفقت شكلاً فقد اختلفت طولا.

٣٣- اخرطي في اخرطي

أي كذب في كذب.

٣٤- أقوله جوخ يقول لي كين

الجوخ نسيج الصوف والكين لبد الصوف.

٣٥- أدور ولدها وهو على كتفها

يضرب لمن يسأل عن شيء وهو تحت يده.

٣٦- أخف من الريشة

يضرب للرجل الخفيف الحلم القليل العقل.

٣٧- شهر مالك به رزق لا تعد أيامه

يضرب لمن لا يحتسب غيره ولا يقيم له وزناً.

٣٨- اللي ما يرزقه الله تعبان

يضرب لمن يجهد نفسه في طلب الرزق.

٣٩- اسمك في الحصاد ومنجلك مكسور

يضرب لمن له همه ولا مقدرة له على بلوغ ما في نفسه.

٤٠- اش على الذيب من اضراط النعجة

يضرب لأمر يعجب صاحبه ولمن يعجب بأهله وذويه.

٤١- إذا هبت هبوبها أذر

يضرب في اغتنام الفرصة إذا ما سنحت.

٤٢- الاسم للنورة والفعل للزرنيخ

يضرب لمن يريد أن يحمد بفعل غيره.

٤٣- انخلة عوجا تذب في غير حوضها.

يضرب لمن يفيد البعيد تاركاً أقرب الناس إليه.

٤٤- إذا أكلت ضيفتها عساها تطلق

يضرب للأمر تحصل على بغيتك منه ثم لا تعبأ به.

٤٥- اللى ما له دار كل يوم له جار

يضرب لمن لا يستقر على أمر.

٤٦- الله يقطع مال ما يليه راعيه

يضرب لمن لا يستحيط بشأنه فيذهب أدراج الرياح.

٤٧- إذا طاح الجمل كثرت سكاكينه

أي إذا سقط الجمل وهوى على الأرض تراكض إليه الناس لتمزيقه.

٤٨- أنت شق وأنا أخيط

يضرب لمن يقدم على أمر يخافه فتعينه عليه وتقوي عزيمته.

٤٩- أشتر بلش

يضرب لمن يجعل نفسه في ورطة فيكون كمن يشتري لنفسه المرض.

٥٠- باذر بصبخه

الصبخه الأرض التي لا ينبت فيها شيء.

٥١- عط الخباز خبزك لو باق نصه

أى حتى لو سرق نصفه.

٥٢- العود اللي ما يلين ينكسر

يضرب لمن يمانع في حاجة فيؤمر بالموافقة وعدم التمسك بالأمر.

٥٣- عليك بالحاضر والغائب له الله

يضرب في الحث على اغتنام الفرص.

٥٤- عنز الشيوخ نطاحه

يضرب للضعيف يعتدي على غيره مدفوعاً بمن يشد أزره ويحمي ظهره.

٥٥- عند البطون تعمى العيون

يضرب للرجل ينسى صديقه أو صاحبه وقت الطعام.

٥٦- أعوير وزوير واللي ما فيه خير

يضر لمن يجتمعون لمساعدتك ولا خير فيهم.

٥٧- العمر يا شامان

يضرب لمن يهرب من المصائب تاركاً غيره.

٥٨- فك وفلك

أى إما أن ينتهي الأمر بالفكاك وإما أن يدور الفلك فينفعك الأمر بنفسه وتنحل العقدة ويضرب في التفاؤل والاستبشار بما سيقضي به المستقبل.

٥٩- قال يا طيب فلان قال من ردا ربعه

أي أن فلاناً غير شهم لو اقتضته الشهامة ولكن طيبه ظهر من ردا قومه.

٦٠- طل أيجيبك وطالع عيبك

يضرب لمن ينظر علل غيره وينسى علته.

(رأيت أن أبين للقارىء الكريم بعض الأمثال العامية الدارجة عند أهل الزبير والتي أكثرها شيوعاً على ألسنتهم فاخترت ستين مثلاً عامياً منها فقط).

الألفاظ العامية عند أهل الزبير

ينطق الزبيريين بكثير من الألفاظ العاميـة الدخيلة على اللغة العربية وأكثر الألفاظ الداخلة شـيوعاً الألفاظ التركية، والفارسـية وهذا نموذج للكلمات التركية الشـائعة واللفظ العامي لها مع ما يرادفها من ألفاظ عربية أو معرَّبة.

اللفظة التركية	اللفظة العامية	المرادف
تفك	تفك	بندقية
بوري	بوري	بوق
كمبل	كمبل	بطانية (دثار)
تتن	تتن	تبغ
فشك	فشك	رصاص
دوربين	دربيل	منظار
زنجير	زنجيل	سلسلة
بويه	بويه	طلاء
ميوه	ميوه	فاكهة
لكن	لقن	طست (طشت)
بيراق	بيرق	راية
بالطو	بالطو	معطف
جامي	جام	زجاج
نومرو	نمرة	رقم
صومطاره	مطارة	زمزمية
اوجاق	وجاق	موقد
كندره	قندره	حذاء

اللفظة التركية	اللفظة العامية	المرادف
اسكمله	سكملي	كرسي
جانطه	جنطة	حقيبة
بورغي	برغي	لولب
تمغة	طمقة	علامة
بنجرة	بنجرة	شباك أو نافذة
سنقي	سنقي	حربة
چول	چول	صحراء
طوب	طوب	مدفع
شيش	صيخ	سفود
عرموت	عرموط	كمثرى
كاقد	كاقد	ورق
كرنتينه	كرنتينه	محجر صحي
سبرنك	سبرنك	نابض
توشك	دوشك	فراش
درويش	درويش	فقير
شيشه	شيشه	قنينة
اسكله	اسكله	رصيف
طابور	طابور	فوج
بوش	بوش	فارغ
كيلون	كيلون	قفل

اللفظة التركية	اللفظة العامية	المرادف
طلمبه	طرمبه	مضخه
شيك	جيك	صك
فس	فيس	قبعة أو طربوش
خاشيك	خاشوقه	ملعقة
كردانلق	كردانة	قلادة-طوق
قوطيسي	قوطي	علبه
كدير	كديش	بغل
خوشلق	خوش	لطيف - جميل
آخور	جاخور	أصطبل
أتوجي	اوتي	كواء
زنكين	زنكين	غني
دكمه	دكمه	زرار

الألفاظ الفارسية الشائعة عند أهل الزبير

مع ذكر ما يرادفها من ألفاظ عربية أو معربة)

اللفظة التركية	اللفظة العامية	المرادف
عكاس	عكاس	مصور
بخشيش	بخشيش	رشوه
نمونه	نمونه	نموذج
سنكين	سنكين	ثقيل
نشان	نيشان	وسام
رونامه	رزنامه	تقويم
فنجان	فنجال	قدح
روشن	روشنه	كوه
دستجه	دسته	حزمه
تازة	تازه	طري أو طازج
بشتخته	بشتخته	صندوق صغير
بابوش	بابوج	حذاء

(هـذه بعـض الكلمات العامية الشـائعة عند أهل الزبـير والتي اما أن تكون فارسـية الأصل أو تركيـة وقد دخلت بعض الألفاظ الأجنبيه مع الألفاظ العربية لأسباب كثيرة منها يعود إلى الجوار وكثرة الوافدين من إيران إلى العراق والخليج العربي ومنها ما يرجع إلى استيلاء الدولة العثمانية التركية على البلاد العربية سابقاً).

الطرق البرية التي تربط الزبير بالخارج

كانت في البادية طرق للاكتيال والتجارة والحج والتنقل بين المراعي والآبار وعلى كل حال فأن الطرق الرئيسية التي تربط الزبير في الخارج والتي تسلكها قوافل الأبل قديماً والسيارات اليوم مشهورة وأهمها هي:

١- طريق الزبير - البصرة ومسافة هذا الطريق أربعة عشر كيلو متراً تقريباً

٢- طريق الزبير - البصية ومسافته (١٩٥) كيلو مترا وهو كالآتى: من الزبير إلى البرجسية ومن البرجسية إلى الرتك، ومن الرتك إلى الهلبيه في وادي (الباطن) الذي يبعد عن الزبير سبعون كيلو مترا والهلبيه (فيضه) فيها سدر. ومن وادي الباطن إلى جريشان، ومن جريشان إلى خباري المخزم ومن خباري المخزم إلى طوي الحشاش ومن طوي الحشاش إلى جربيعات ومن جربيعات إلى جولبن ومن جولبن إلى البصية.

٣- طريق الزبير - الناصرية يتجه نحو الشمال الغربي ماراً في (كويبده) وكويبده فيها آبار مياهها عذبه، ثم يتجه شمالاً بمحاذاة السكة الحديدية.

٤- طريق الزبير - الكويت والطريق بين الزبير والكويت مسافته (١٦٠) كيلو مترا وبين الزبير وسفوان المسافة (٣٥) كيلو متر.

٥- طريق الزبير - الركعي مسافته (٢٠٠) كيلو مترا تقريباً. ان هذا الطريق صالح لسير السيارات في جميع المواسم داخل وادي الباطن الممتد من الزبير إلى الركعي موازي ظهر الباطن، وفي موسم الأمطار تكثر (الخباري) في هذا الوادي والمسافر من الزبير يمر أولاً البرجسية ثم الرتك ثم الهلبيه ثم جريشان ومن جريشان يسير متوجهاً إلى (خبرة شمر) داخل وادي الباطن وإلى (عذيبة والرحيل) وهي آبار قليلة المياه جداً.

ومن عذيبة والرحيل يتشعب الطريق الثاني إلى البصية وخضر الماء والرخيمية ومن عذيبه والرحيل يتجه الطريق داخل الباطن إلى ابرك الحباري وإلى الشكايه وإلى العبيد والعوجه ثم الركعي.

وطريق الزبير الركعي هو أقرب طريق يصل الزبير في الرياض (عاصمة المملكة العربية السعودية). حيث أن المسافر بعد أن يقطع (٢٠٠) كيلو متر من الركعي يصل (الحفر) وبعد (١٠٠)

كيلو متر من الحفر يصل (جريه) وبعد (٥٠) كيلو متر من جريه يصل إلى (الصمان) وبعد مسافة (١٠٠) كيلو متر من الصمان يصل إلى (رماح) وبعد مسافة (٢٠٠) كيلو متر يصل (الرياض).

وعلى هذا تكون المسافة بواسطة هذا الطريق بين الزبير والرياض (٨٥٠) كيلو متر. وكان هذا الطريق هو الطريق الوحيد الذي يربط الزبير في (نجد). وقد اهمل الآن وأصبح المسافر يتوجه من الزبير إلى الكويت ثم المملكة العربية السعودية. (ماراً بمخفر الزرقاني السعودي ثم يتوجه إلى الدمام وهناك طريق آخر يتفرع من هذا الطريق متوجهاً نحو الرياض).

كما يوجد طريق آخر هو طريق الكويت - الحفر، والحفر كما هو معروف (موضع) تابع للمملكة العربية السعودية، وهذا الطريق يربط الكويت (بالقصيم) وشمال المملكة العربية السعودية. ومن هذا الطريق (طريق الزبير الركعي) انحدر معظم أهالي الزبير الذين هم من أصل نجدي وكانت الجمال هي واسطة النقل آنذاك وهذا الطريق هو الطريق الذي خرج منه (حميدان الشويعر) الشاعر المشهور من الزبير متوجهاً إلى نجد بصحبة أحد القوافل النجدية وقال فيه.

ظهرت من الحزم اللي به   سيد السادات من العشرة
حطيت سنام باليمنى   (ووردت الركعي من ظهره)

إلى أخر قصيدته المشهورة. هذا ونظراً لما يربط الزبير في نجد من روابط عديدة منها رابطة المصاهرة والنسب. ولا سيما وان الأغلبية الساحقة من أهل الزبير من أصل نجدي انحدروا من نجد في أوقات متفاوته ولأسباب مختلفة واستوطنوا الزبير. وكانت بيدهم زعامة الزبير وأمارتها، وقد أعفتهم الدولة العثمانية التركية من الخدمة العسكرية ودفع الرسوم والضرائب الأميرية. وكان أهل الزبير هم الذين يديرون بلدتهم بأنفسهم ولم يرفع علم عثماني في الزبير، ولا توجد قوات عسكرية عثمانية.

إلا في سنة ١٢٩١هـ بعد حادثة (سنة حرمه) وعزل الشيخ عبد اللطيف بن محمد آل عون عن مشيخة الزبير من قبل (أشرف باشا) وإلى البصرة آنذاك وتعيين الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف آل زهير شيخاً على الزبير. حيث رابطت قوة صغيرة من الجيش العثماني في الزبير وكان مقرها جنوبي مسجد الدروازة (شارع آل سويلم اليوم).

وعلى أساس النسب والمصاهرة التي تربط أهل الزبير بأهل نجد وكون الأغلبية من أهل الزبير من أصل نجدي فلابد أن نذكر لمحة تاريخية موجزة عن نجد إكمالاً للموضوع وإتماماً للفائدة ...

نجد

نجـد

هي أكبر قسم من بلاد العرب وتشمل صحراء العرب الوسطى، ومع أن حدود نجد غير معروفة تماماً لكثرة الأقوال وتعدد الآراء فأن نجد اليوم. تشمل الأراضي الممتدة من قريات الملح شمالاً إلى وادي الدواسر جنوباً ومن حدود الإحساء شرقاً إلى حدود الحجاز غرباً.

والنجد في اللغة، المرتفع من الأرض وقد أطلق هذا الجزء من الجزيرة لارتفاعه عما يجاوره من الأرض.

والنجد في اللغة، المرتفع من الأرض وقد أطلق على هذا الجزء من الجزيرة لارتفاعه عما يجاوره من الأرض.

وقد جمعت البلاد النجدية مختلف أنواع الأرضين ففيها السهل والمرتفع والوعر وفيها الجبال والشعاب والأودية، والواحات والصحاري والأرض المنبسطة الفسيحة الخالية من الماء والمرعى (كالصمان) وكذلك الأراضي التي تكثر فيها المراعي (كالدهنا) أما سلسلة جبالها فكانت تدعى قديماً (العارض) أو عارض (اليمامة) والعارض ما أعرض أو برز من الأرض.

قال الشاعر:

وأعرضت اليمامة وأشمخرت كأسياف بأيدي مصلتينا

ولما كانت هذه الجبال تطوق نجد سميت (جبل طويق). وأشهر ايالات نجد من الشمال إلى الجنوب قريات الملح، الجوف، جبل شمر، القصيم، سدير، الوشم، العارض، الخرج، الحريق، الافلاج، وادي الدواسر نحو (٨٠٠) ميل ويبلغ عرضها من الغرب إلى الشرق أي من الوشم إلى سدير نحو (٢٢٠) ميل.

جو نجد:

تغنى الشعراء قديماً بهواء نجد وأسهبوا في وصف نسيمه وهو على العموم جاف معتدل غير أن إقليم نجد يختلف هواؤه باختلاف المنطقة وموقعها الجغرافي. فالحريق كاسمها شديدة الحر ووادي الدواسر كذلك. أما العارض فهواؤها معتدل جاف في السهل شديد البرودة في مرتفعات (طويق) والجو في القصيم جاف بارد في الشتاء ومعتدل في الصيف وليالي القصيم في الصيف كالليالي الصحراء نسيم عليل، وسماء صافية، ونجوم تسطع في السماء تلذ رؤيتها للشعراء والمولعين بالهدوء الصحراوي البديع.

أما (جبل شمر) فشديد البرودة ولذا فإن بشرة سكان نجد الشمالية تميل إلى البياض عكس سكان الجنوب. والأمطار في نجد لها الشأن الأول في الحياة وهي قليلة على العموم إذا قيست ببعض المناطق الجنوبية. وكثيراً ما تكون الأمطار محلية وقلما تكون عامة وحديث الناس أمرائهم وبدوهم وحضرهم هو (المطر) ومن يعيش في بلاد العرب يعرف الأثر العظيم الذي يحدثه المطر والتعاسة التي يسببها تأخره. فأهل نجد لا يأبهون لشيء اذا رزقهم الله المطر تحيا به زروعهم وحيواناتهم وتشملهم السعادة بكل معانيها.

السكان:

يبلغ سكان نجد من حضر وبدو أكثر من مليوني نسمه. فالحضر هم سكان المدن وهم في الأصل من البدو توطنوا في مساكنهم من قديم أما العشائر النجدية فهي:

المرة، وبنو خالد، والعجمان في الشرق، وقحطان في الجنوب، وسبيع والسهول في الغرب. ومطير في الشمال الغربي، وشمر في الشمال، وعتيبه في الشمال الغربي، وحرب وعنزه في الشمال الشرقي. وينتمي أغلب أهل (حائل) إلى شمر وأهل القصيم يرجعون في الغالب إلى بني خالد وبني تميم، وأهل الجنوب ينتمون إلى عنزه، وأهل الوسط إلى الدواسر وبني تميم وأهل الجنوب الغربي ينتمون إلى الدواسر وقحطان.

ايالات نجد:

العارض يعرف قديماً بالعروض واليمامة، ويقع بين (سدير) شمالاً (والخرج والحريق) جنوباً وهو يكون القسم الأوسط (من نجد). ووادي حنيفة هو قلب (العارض) وفي جنوبه الغربي بلدة (ضرما) وفي شماله (المحمل). أشهر بلدان العارض هي:

الرياض، لبن، القرشية، عرقة، الدرعية، الملقى، العمارية، أبو الكباش الجبيلة، العيينة، الشعيب، صلبوخ، ملهم، القرينة، سدوس، حريملة، المحمل، ثادق، المحرقة، رغبه، الروضة.

(الخرج) أشهر بلدان الخرج هي:

الدلم، منفوحة، نعجان، السلمية، اليمامة، المناصف، الضبعية، البدع، فرزان.

(الوشم) أشهر بلدان الوشم:

شقرا، ثرمدا، وشيقر، القصب، غسله، الوقف، أثيثية، الفرعة، الحريفة، الداهنة.

(سدير) أشهر بلدان سدير:

المجمعة، الزلفي، الفاط، جلاجل، التويم، الداخلة، الروضة، الحصون، حوطة سدير الجنوبية، العطار، العودة، الخطامة، عشيرة، تمير، حرمه.

(القصيم) يقع القصيم في طريق القوافل ما بين مكة وبلاد ما بين النهرين، وأهل القصيم من أذكى أهل نجد وأكثرهم اتصالاً بالعالم الخارجي وأكثرهم أسفاراً للخارج وأكثر التجار النجديين المعروفين في مصر وسوريا والهند والعراق من أهل القصيم.

يبلغ عدد قرى القصيم نحو (٥٠) قرية والمدينتان الرئيسيتان للقصيم هما (بريده) و (عنيزه) وأغلب القرى تعتمد على بريده ولذا تسمى (بأم القصيم).

وقد كانت عنيزة تنافس بريدة في الأولوية والأهمية ولكن بريدة سبقت عنيزة الآن، ومن أشهر مدن القصيم الرس والخبرا. وهناك قرى كثيرة تابعة إلى وادي الدواسر، والافلاج، والحريق، ولكن اكتفينا بذكر المدن المهمة التابعة إلى المقاطعات الرئيسية كالقصيم، وسدير، والوشم، والخرج، والعارض.

(جبل شمر) يطلق اسم جبل شمر على السهل الممتد بين جبلي (أجا وسلمى) والذي تسكنه قبائل شمر. وفي شعاب هذه (الجبال) توجد منابع عديدة للمياه والأرض خصبة صالحة للزراعة وأشهر بلدان جبل شمر.

(حائل) وهي العاصمة وعلى مقربة منها تقع (قفار) وعلى القرب من جبل (سلمى) تقع مجموعة من القرى منها (فيد) وبالقرب من جبل (أجا) تقع مجموعة أيضاً من القرى منها (عقدة).

وهناك (تيما) وهي بلدة صغيرة في وسط ساحة باسمها وبالواحة أشهر عين ماء في جزيرة العرب إذ يبلغ اتساع فوهتها أكثر من خمسين قدماً ومركب عليها (سواني) من جميع الجوانب ومياهها غزيرة.

(الجوف) هو المسمى قديماً (دومة الجندل) وهي المدينة الرئيسية وتوجد واحات أخرى تابعة لواحة الجوف منها سكاكة، وقادة، والطوير، وجاوه.

وسكاكة هي الأكبر وموقع الجوف مهم جداً من الناحية الجغرافية لأنه يقع على الطريق المباشر بين سوريا ووسط بلاد العرب.

وواحات الجوف تقع أيضاً في المنتصف ما بين الفرات وطريق الحجاز، وبين (جبل شمر) و (جبل الدروز) وبين العقبة وبغداد. هذا وأغلب سيارات النقل التي تنقل الفواكه والخضروات من سوريا ولبنان والأردن تمر بمنطقة جبل شمر في طريقها إلى الكويت والخليج العربي.

الدعوة الإصلاحية في نجد

نرى واجباً علينا أن نتحدث عن حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والدور الإصلاحي العظيم الذي قام به في نجد. ونمهد لذلك بذكر نبذة يسيرة عن حياة مصلح عظيم أخر هو (أبن تيميه) الذي قام في القرن السابع الهجري وأوائل القرن الثامن (سنة ٦٦١هـ-٧٢٨هـ) لما بين الرجلين من التشابه العظيم في الدعوة إلى الحق ولآن ابن تيمية كان المثل الأعلى للمصلح النجدي الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

كانت الدعوة التي يدعو إليها ابن تيميه ترمي إلى:

١- الرجوع إلى الكتاب والسنة واتباع سبيل السلف الصالح.

٢- محاربة البدع والمنكرات ولا سيما ما كانت وسيلة للشرك كالتمسح بالقبور والصلاة عندها وطلب الحاجة منها.

٣- الغلو في (الرسول صلى الله عليه وسلم) والاكتفاء بالاهتداء بهديه.

وهذه الأسس هي نفس الأسس التي قامت عليها دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية في نجد.

أثارت دعوة ابن تيميه في الشام ومصر ثائرة الصوفية وأرباب الطرق عليه كما أثارت أيضاً ثائرة المتعصبين وأكثرهم من القضاة وأهل المناصب (فأوغروا صدور الأمراء عليه).

تعتبر سنة ٧٠٥هـ بدء عهد الاضطهاد لابن تيميه حيث أرسل نائب السلطان في الشام ابن تيميه إلى مصر حسب أمر السلطان. وصل ابن تيميه مصر في رمضان سنة ٧٠٥هـ ثم أدخل السجن وبعد ثمانية عشر شهراً خرج من السجن فعاد إلى الدعوة الإصلاحية كما شن الغارات على سائر المبتدعة. فاعتقل ثانية في شوال سنة ٧٠٧هـ وفي السجن اشتغل في إصلاح المساجين حتى اشتهر أمره فنقل إلى الأسكندرية وضيق عليه.

وفي ٨ شوال سنة ٧٠٩هـ اطلق سراح الشيخ ابن تيميه فأقام في القاهرة داعياً إلى مقاومة البدع. وفي شهر ذى القعدة سنة ٧١٢هـ رجع الشيخ ابن تيميه إلى دمشق بعد ان تغيب عنها سبع سنوات. وفي دمشق استأنف الشيخ دعوته الإصلاحية بنشاط وعكف على نشر دعوة (التوحيد) ومقاومة المبتدعة والرجوع إلى الكتاب والسنة.

وأخيراً حبس الشيخ مرة أخرى في سنة ٧٢٠هـ ثم أطلق سراحه بعد خمسة أشهر ونصف فعاد إلى ما عاهد الله عليه من الدعوة إلى الله والرجوع إلى الكتاب والسنة. ثم اعتقل الشيخ ابن تيميه مرةً أخرى في سنة ٧٢٦هـ (بقلعة) دمشق، وقد بقي الشيخ في معتقله حتي توفي سنة ٧٢٨هـ رحمه الله رحمة واسعة. ولا يسع الانسان بعد أن يلم بسيرة ابن تيميه وما لقيه من الاضطهاد في سبيل الدعوة إلى الحق إلا أن يُكبر هذا العالم الكبير.

كان ابن تيميه يدعو إلى الاجتهاد ونبذ التقاليد المخالفة للكتاب والسنة وكان بن تيميه ينكر على الصوفية تعاليمهم التي لا تتفق مع الكتاب والسنة كما كان ينكر الغلو في حب الأنبياء والأولياء الصالحين بالصلاة على القبور والدعاء عندها والاستغاثة بها وطلب الغفران منها.

ولقد أراد الله أن تحيا دعوة بن تيميه وتنال نصيبها من القوة والانتشار والذيوع على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد بمعاضدة الأمير محمد بن سعود في نجد في القرن الثاني عشر الهجري أي بعد عصر بن تيميه بأربعة قرون تقريباً.

الشيخ محمد بن عبد الوهاب

هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب ابن سليمان بن على بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن مشرف بن عمر بن معضاد بن ريس بن زاخر بن محمد بن علوى بن وهيب ولد سنة ١١١٥هـ الموافقة سنة ١٧٠٣م في بلدة العيينه، وقد تلقى على والده دروسه الأولية ثم سافر إلى الإحساء والحجاز باحثاً وراء العلم ثم توجه إلى البصرة.

فلما وصلها قرأ فيها عند عالم جليل من أهل المجموعة اسمه (محمود المجموعي) وأخذ يقرأ عليه مده وينكر أشياء من الشرك والبدع وقد استحسن شيخه قوله: ثم أن الشيخ تجمع عليه أناس في البصرة وآذوه أشد الأذى، واخرجوه من البصرة فلما خرج الشيخ وتوسط في الطريق بين البصرة والزبير ادركه العطش وأشرف هلى الهلاك. وكان ماشياً على رجليه وحده فوافاه صاحب حمار يقال له(ابو حميدان) من أهل الزبير فرآه مشرفاً على الهلاك فسقاه وحمله على حماره حتى أوصله الزبير.

ثم أن الشيخ أراد أن يسافر إلى الشام وكانت قوافل البصرة التي تسير إلى الشام تجتمع في الزبير وفى الزبير ضاعت نفقة الشيخ. فأنثنى عزمه عن المسير إلى الشام وعاد إلى نجد وذلك سنة ١١٣٨هـ تقريباً وقبل ذهابه إلى نجد توجه إلى الإحساء، حيث نزل على الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الشافعي الإحسائي، ثم خرج من الإحساء وقصد بلدة (حريملا) وكان والده عبد الوهاب قد انتقل إليها من (العيينه) سنة ١١٣٩هـ وفي سنة ١١٥٣هـ توفي والده عبد الوهاب. وقد أخذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب يدعو بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد تبعه أناس من أهل البلد، وناصروا دعوته كما عارضه آخرون وقاوموه وهموا بقتله.

فانتقل الشيخ بعدها إلى العيينه وأميرها يومئذ (عثمان بن حمد بن معمر) فتلقاه بالقبول وأكرمه وتزوج فيها بنت (عبد الله بن معمر) وساعده عثمان بن معمر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفي سنة ١١٥٨هـ غادر الشيخ محمد بن عبد الوهاب بلدة العيينه بطلب من أميرها عثمان بن حمد بن معمر الذي ضايقه أمير بني خالد (سليمان بن محمد بن عريعر) وقد شدد عليه

الخناق. وأمره بوجوب طرد الشيخ، فغادر الشيخ (العيينه) قاصداً (الدرعية) وكان أميرها أنذاك (محمد بن سعود) وقد أكرمه غاية الإكرام وآواه ونصره ومن هنا بدأت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية في نجد وفي سنة ١٢٠٦هـ توفي الشيخ وقد بلغ من العمر (اثنتان وتسعون) سنة رحمه الله رحمةً واسعة . . .

نجد في أيامها الأولى

كانت نجد من الوجهة الدينية كسائر الامصار الأخرى مرتعاً للخرافات والعقائد الفاسدة التى تتنافى مع أصول الدين الصحيحة. وقد كان فيها كثير من القبور تنسب إلى الصحابة يحج الناس إليها ويطلبون منها حاجتهم ويتوسلون إليها لدفع كروبهم. فكانوا في (الجبيله) يؤمون قبر (زيد بن الخطاب) لتحسين حالهم وإجابة ملتمسهم. كما كان أهل (الدرعية) التي صارت فيما بعد مقر حكم آل سعود يزورون مثل هذه القبور لمثل هذه الأغراض.

وأغرب من ذلك توسلهم (بفحل النخل) في بلدة (منفوحه) واعتقادهم أن من تؤمه من (العوانس) تتزوج لعامها فكانت من تقصده تقول (يا فحل الفحول، أريد زوجاً قبل الحلول).

وكان في (الدرعية) غار يقدسونه ويزعمون انه كان ملجأ لأحد بنات الأمير التي فرت هاربة من تعذيب بعض الطغاة وأتخذت في أحد الجبال الصخرية مأوى لها فأنشق لها الكهف بمعجزة لتأوي إليه. فهذه الروايات تكشف عما كانت عليه نجد من العقيدة الدينية.

أما من حيث الأحكام فلم يكن هناك قانون أو شريعة إلا ما قضت به أهواء الأمراء وعمالهم. ومن حيث السياسة فقد كانت بلاد العرب منقسمة إلى إمارات عديدة بحكم كل واحدة منها أمير لا تربطه وجاره أي رابطة.

ومن أشهر هؤلاء الأمراء (بنو خالد) في الإحساء، و(المعمر في العيينة) و(الأشراف) في الحجاز، و(السعود) في الدرعية وغيرهم.

وقد كان سكان بلاد العرب (وهم الحضر) في حروب دائمة مع البدو سكان البادية وكذلك كان الأمراء على قدم الاستعداد عندما تسنح الفرصة للتعدي على جيرانهم إذا بدا من هؤلاء الجيران ضعف أو عدم استعداد.

وباختصار فهذه كانت حالة بلاد العرب عندما رجع الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى وطنه. وقد استقر به النوى في (العيينة) حيث جد به العزم ان ينقذ نجد مما يحيط بها من البلاء. فبدأ يدعو الناس إلى أن يعودوا إلى دين الله ويتركوا كل ما جد من البدع وغيرها مما يتنافي مع روح (الكتاب والسنة).

وفي الوقت نفسه طلب إلى الأمراء ذو الشأن أن يطبقوا أحكام الشرع وقد قام بدعوته مسالماً لا يدعو إلى شدة أو عنف وراسل علماء عصره في البلاد الإسلامية الأخرى وأظهر الله لما أصاب الإسلام وحثهم على أن يكونوا من جملة المصلحين الدينيين فكان ذلك سبباً طبيعياً لغضب خصومه وأولئك الذين خافوا على سلطانهم من تعاليمه.

وأخيراً اضطر أن يهاجر من العيينة التي هددها بالغزو (سليمان آل محمد) رئيس بني خالد في الإحساء وأمير الإحساء والقطيف أنذاك. إذا لم يطرد محمد بن عبد الوهاب.

وفي عام ١١٥٧هـ - ١٧٤١م تركها إلى الدرعية (مقر آل سعود) حيث قابل زعيمهم (محمد بن سعود) وهناك تحالفا على الدفاع عن الدين الصحيح والعمل على الرجوع إلى تعاليم الكتاب والسنة، وانقاذ جزيرة العرب من البدع وتعميم الدعوة بالإسلام بين البدو والحضر وتوطيد النفس على ما يواجههم من الصعاب فأنهم متى ما نصروا الله نصرهم.

لقد سكن الشيخ محمد بن عبد الوهاب الدرعية وواصل ليله ونهاره بنشر الدعوة بالوعظ وكتابة الرسائل مكتفياً بهذه الوسيلة السلمية. ومحمد بن سعود يؤازره بما يملك من الوسائل، ولكن خصوم الدعوة كانوا يعملون على تأليب القلوب لمحاربة الدعوة بكل الوسائل فلم ير الشيخ محمد وابن سعود بداً من الاستعانة بالسيف بجانب الدعوة الدينية. ولقد استمرت هذه الحروب الدينية التي تشبه في كثير من الوجوه الحرب التي استعرت نيرانها بين (الكاثوليك والبروتستانت) في الغرب أكثر من ستين عاماً.

وفي سنة ١١٧٠هـ توفى الأمير محمد بن سعود وخلفه ابنه عبد العزيز الذي اقتفى أثر أبيه في مساعدة الشيخ ابن عبد الوهاب على نشر دعوته في سائر بلاد العرب. وفي سنة (١٢٠٦)هـ توفى الشيخ محمد بن عبد الوهاب بعد أن قام بواجبه خير قيام. ووضع من الكتب والرسائل ما أصبح أساساً يسير عليه خلفاؤه وقد سار أولاده على خطة أبيهم من التحالف مع آل سعود والتعاون معهم حتى أصبح الجميع كبيت واحد. . .

ما هي التعاليم الوهابية

لم يكن الشيخ محمد بن عبد الوهاب (نبياً) ولكنه مصلح مجدد داع إلى الرجوع إلى الدين، فليس للشيخ محمد تعاليم خاصة ولا أراء. وكل ما يطبق في نجد هو طبق مذهب الإمام (أحمد بن حنبل) وأما في العقائد فهم يتبعون السلف الصالح. وتكاد تكون تعاليمهم مطابقة تمام المطابقة لما كتبه (ابن تيميه) وتلاميذه في كتبهم.

ونلخص فيما يلي المسائل التي اشتهروا بها والتي تعد كأنها طابعاً خاصاً بالنجديين.

أولاً- التوحيد: يعتقدون استناداً إلى كلام الأئمة الأربعة وغيرهم من أئمة السلف أن معنى لا إله إلا الله ترك كل معبود غير الله، والتوجه إلى الله وحده وأن العبادة إذا جعلت لغير الله صار ذلك الغير إله مع الله فالمشرك مشرك سواء سمي شركة أو توسلاً، وليس لديهم من شك في أن من قال يا فلان ويا فلان وغير ذلك من المخلوقين، طالباً بذلك دفع شر أو جلب خير، من كل ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى. مشرك يهدر دمه ويستباح ماله.

ثانياً- الشفاعة: لا ينكرون شفاعة النبي (صلى الله عليه وسلم) يوم القيامة حسبما ورد، وهم يثبتونها لسائر (الأنبياء والملائكة والأولياء الصالحين والأطفال) حسبما ورد أيضاً. وأما ما يجري على ألسنة الناس من قولهم يا رسول الله يا ولي الله اسألك الشفاعة أو غيرها كأدركني أو أغثني أو نحو ذلك فإنه من الشرك.

ثالثاً- القبور: الكلام على القبور يتناول:

١- البناء عليها وزيارتها.

٢- ما يفعله الناس عندها من الدعاء والصلاة وغيرها.

٣- ما يقام عليها من القباب والمساجد.

٤- السفر إليها.

أما زيارة القبور فهي مندوبة للاعتبار فقط والاتعاظ والدعاء للميت وتذكيره الآخرة ويراعى فيها الطريقة التي سنها (النبي محمد صلى الله عليه وسلم) في الزيارة.

أما الذبح للقبر والاستغاثة به والسجود له فهي شرك وأما تجصيص القبور والبناء والكتابة عليها فكلها من الأمور المبتدعة المنهي عنها. وهم يستدلون على ذلك بأحاديث كثيرة بأقوال السلف الصالح، وعملهم ولذا فقد هدموا في (مكة والمدينة) القبور المرتفعة. كما أزلوا القباب عند استيلائهم على الحرمين الشريفين أما شد الرحال والسفر إلى القبور فبدعة.

رابعاً- إعلان الحرب على البدع الشائعة في الامصار مثل الاجتماع في وقت مخصوص على من يقرأ سيرة(المولد الشريف) ومثل الزيادة على الآذان المشروع. وبالجملة فأنهم يحرصون على العادات الشرعية أن تكون بالصفة التي وردت عن النبي (محمد صلى الله عليه وسلم) بلا زيادة أو نقص.

ويلحق بهذا ما هو شائع في كثير من الأمصار من خروج النساء وراء (الجنائز) وخروجهن على القبور والاحتفالات السنوية المسماة (بالموالد) ولإقامة الحفلات للاذكار.

خامساً- الجهاد مما لا جدال فيه أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يعتبر ما انصرف من العبادات لغير الله إسلاماً ولذا فإنه كان يبدأ الأمر بالدعوة إلى (التوحيد وتنفيذ أوامر الله بلا هوادة، فمن أطاع فقد أسلم، ومن خالف أو عاند فقد حل دمه وماله، وعلى هذا الأساس كانت غزواتهم في نجد، وخارج نجد من اليمن والحجاز وضواحي سوريا والعراق. . .

ما ينسب إلى النجديين وهم أبرياء منه

هناك كثير من الدعايات ضد النجديين وكثير من الأشياء التي تنسب إليهم مكذوبة. لقد نسب إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب والآخذين بدعوته كراهية النبي صلى الله عليه وسلم، والحط من شأنه وشأن سائر الأنبياء والأولياء الصالحين لقد نسب هذا إلى الإمام (ابن تيميه) وتلاميذه.

أن سبب ما ينسب إلى النجديين وهم أبرياء منه هو أن النجديين استناداً إلى الحديث (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد) (المسجد الحرام - ومسجدي هذا والمسجد الأقصى). ويرون أن السفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين (بدعه) لم يعملها أحد من الصحابة والتابعين ولم يأمر بها النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

كما إن النجديين يمنعون استقبال (قبر الرسول) عند الدعاء ويمنعون السجود عند قبره وقبر غيره، ويمنعون التمسح والتمرغ عند القبر كما يمنعون كل ما من شأنه الاستغاثة أو الطلب. مما شاع عمله عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقبور الصحابة والصالحين. وهدم القباب والأبنية المقامة على القبور وإبطالهم لسائر الأوقاف التي رصدت على القبور والأضرحة.

ويقول الشيخ (حافظ وهبه) في كتابه جزيرة العرب في القرن العشرين الصفحة ٣٤٥: لقد حضر إلى مكة أثناء الحرب الحجازية النجدية في سنة ١٩٢٥م بعض أفاضل السنغاليين وتطوان وكانوا أثناء حديثهم يبكون لشدة تأثرهم لقد أخبرونا أنهم سمعوا في الأسكندرية أشياء كثيرة تنسب إلى النجديين لم يجدوا أثراً لها في الحجاز. لقد سمعوا من بعض الناس أن الوهابيين هدموا (الكعبة) لأنها حجر وسمعوا أنهم في الآذان يقولون أشهد أن لا إله إلا الله فقط ولا يقولون أشهد أن محمداً رسول الله.

إن النجديين أحرص الناس على محبة الرسول صلى الله عليه وسلم ولكنهم يكرهون الغلو ويقاومون البدع مهما كان نوعها ومهما كان الدافع لها. ويقولون أن المحبة في اتباع هدى الرسول وأتباعه أما الابتداع وتعطيل الشريعة وتقديم الأهواء فهو كراهية لا محبة وفي القرآن الكريم (قل أن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله).

ومما ينسب إلى أهل نجد تكفيرهم من عاداهم وهو بلا شك تزوير من خصومهم وإن وقعت بعض الأشياء من بعض جفاة البدو والجهال فليس من الإنصاف أن ينسب ذلك إلى أهل نجد.

ولما كنا قد تكلمنا عن الدعوة الإصلاحية في نجد وعن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وترجمته ونسبه لابد من الإلمام التام بالأسرة السعودية وفروعها ومعرفتها ولا سيما وأن الأمير (محمد بن سعود) أمير الدرعية له الفضل الأول واليد الطولى بمؤازرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله . . .

آل سعود

آل سعود من قبيلة (عنزة) من فخذ المساليخ ويوجد هذا الفخذ الآن قرب (حمص) وعنزة من أكثر القبائل العربية افخاذاً وبطوناً وأكبرهم عدداً.

فهم منتشرون في العراق وسوريا ونجد وهم لا يزالون يفتخرون بالملك عبد العزيز وأبنائه.

كان المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود كان يكرم الوافدين عليه منهم، ولا سيما من كان من (المساليخ) وعنزة من ربيعة.

وفي سنة ٨٥٠هـ قدم (ربيعة ابن مانع) من بلدهم القديم المسمى (بالدرعية) قرب (القطيف) على ابن درع صاحب (حجر والجزعة) قرب الرياض وكان من عشيرته فأعطاه ابن درع (المليبيد والقصيبة) المعروفين في الدرعية. فنزل هناك عمرها هو وبنوه من بعده واتسع في العمارة وولد لمانع ربيعه وصار له شهرة ثم موسى ابن ربيعة وقد سيطر على زمام الحكم على عهد والده وأخيراً أراد قتل والده ربيعه ولم يتمكن ولكنه جرحه جروحاً بليغة، وقد فر بعد ذلك إلى (العيينة).

وولد لموسى ابنه إبراهيم وإبراهيم هذا كان له من الأولاد أربعة. هم عبد الرحمن، عبد الله، وسيف، ومرخان. وأما مرخان فقد خلف عدة أولاد منهم مقرن، وربيعة. وقد خلف مقرن عدة ..أولاً منهم..محمد، عبد الله، وعياف، ومرخان، وقد ولد محمد، سعود، مقرن. أما سعود فقد خلف عدة أولاد منهم محمد، ومشاري، وثنيان. وأما محمد فقد خلف عدة أولاد منهم فيصل، وسعود وأما مقرن بن محمد بن مقرن فقد خلف عبد الله فقط.

وأما ربيعة بن مرخان بن إبراهيم فأعقب وطبان جد الوطبان أهل الزبير ومن الوطبان أهل الزبير (الثاقب) ومنهم إبراهيم الثاقب الذي اسند إليه الشيخ حمود بن ثامر، شيخ المنتفق، مشيخة الزبير سنة ١٢١٣هـ وقد قتل إبراهيم الثاقب سنة ١٢٣٧هـ وتولى مشيخة الزبير بعده، ابنه محمد.

وقد قتل محمد بن إبراهيم بن ثاقب على يد متسلم (البصرة) (أحمد جلبي) سنة ١٢٥٢هـ (راجع أحوال الزبير السياسية).

ومن الوطبان أيضاً الربيعة ومنهم الشاعر المشهور (عبد الله بن محمد الربيعة) المتوفي في الزبير سنة ١٢٧٢هـ. ومن الوطبان أيضاً الزيد العائلة المعروفة في الزبير وقد كان اغلب أفراد الأسرة يشتغلون في التجارة بين الزبير والهند.

هذا وسبب نزوح وطبان الجد الأعلى (لآل ثاقب، الربيعة، والزيد) ان وطبان قتل ابن عم له أسمه مرخان وفر هارباً من الدرعية واستوطن العراق سنة (١٠٦٥).

(وإبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع المريدي هو والد مرخان ومرخان والد مقرن، ومقرن والد محمد، ومحمد والد سعود، وسعود هذا هو والد الأمير محمد بن سعود مؤسس الدولة السعودية الأولى ونصير الشيخ محمد بن عبد الوهاب) رحمهما الله . .

الأمير محمد بن سعود

لم يكن لآل سعود شأن يذكر في نجد ولم يكن لهم تأثير في شؤون الجزيرة العربية بل كان شأنهم غيرهم من شيوخ المقاطع النجدية. وكانت الجزيرة العربية مقسمة إلى مناطق عدة لكل منطقة أمير يمتد ويقصر نفوذه حسب كفائته الشخصية وهمته.

والأمراء البارزين في ذلك الحين هم (اشراف الحجاز) و(بنو خالد) حكام الإحساء وما والاها من المنطقة الشرقية، و(آل معمر) في العيينة و(آل سعدون) في العراق و(إمام صنعاء) في اليمن، و(الساده) في نجران.

وبعد أن استوطن الدرعية الشيخ محمد بن عبد الوهاب سنة ١١٥٧هـ وتعاهد مع الأمير محمد بن سعود على تطهير جزيرة العرب من البدع والخرافات ونشر كلمة (التوحيد) دخلت نجد أو بالأحرى (الدرعية) مع سائر الإمارات الأخرى في حرب دينية دامية كان النصر فيها لجيوش التوحيد ودعاة الإصلاح.

وفي سنة ١١٧٩هـ - ١٧٦٦م توفى الأمير محمد بن سعود مؤسس الدولة السعودية ومؤيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب في دعوته. وتولى الأمر من بعده أكبر أولاده (عبد العزيز) فسار على خطة أبيه في التعاون مع الشيخ على تجديد ما أندرس من معالم الدين كما أنه واصل غزواته على الإمارات والبلدان التي أظهرت التمرد ورفض الدعوة الدينية.

الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود

ولد الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود سنة ١١٣٢هـ وتولى مقاليد الحكم بعد وفاة والده الأمير محمد بن سعود سنة ١١٧٩هـ - ١٧٦٦م وسار على خطة أبيه بالتعاون مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب وهو أول من لقب (بالإمام) وفي سنة ١٢٠٨هـ فتح الإحساء وقضى على نفوذ بني خالد. كما أنه في سنة ١٢١٢هـ قضت قوات الإمام عبد العزيز بن محمد على جيش الشريف (غالب) حول الخرمة وهو أقوى خصم لهم.

وفي سنة ١٢١٥هـ طلب (الخليفة) حكام البحرين منه المساعدة وساعدهم على استرداد (الزبارة والبحرين) من سلطان مسقط.

وفي سنة ١٢١٨هـ وفي السابع عشر من محرم الحرام دخلت قوات الإمام عبد العزيز (مكة المكرمة) بقيادة ابنه الأمير (سعود بن عبد العزيز) غير أن الشريف ما لبث أن استرد مكة بعد رجوع الأمير سعود إلى الدرعية.

وفي ١٠ رجب سنة ١٢١٨هـ اغتال أحد الأجانب المتعصبين الإمام عبد العزيز ويرجح أن القاتل من أهل العراق أراد الانتقام من الإمام عبد العزيز بسبب غزوته للعراق سنة ١٢١٨هـ وتولى السلطة بعده أبنه (سعود بن عبد العزيز).

الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد

بويع الأمير سعود بن عبد العزيز بن محمد سنة ١٢١٨هـ بعد وفاة والده الامام عبد العزيز بن محمد بن سعود. وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب المتوفي سنة ١٢٠٦هـ على عهد الامام عبد العزيز بن محمد قد أخذ له البيعة بعد أبيه سنة ١٢٠٢هـ لأنه أكبر أبناء عبد العزيز سناً وأشدهم بأساً وانفذهم بصيرة وأكبرهم عقلاً وأكثرهم تفانياً إلى الدعوة وقد كان في حياة أبيه هو القائد للجيش والفاتح الأكبر لأكثر البلدان التي دانت لهم.

وقد استمر حكمه من سنة ١٢١٨هـ إلى سنة ١٢٢٩هـ فتح خلالها الحجاز كله كما امتدت فتوحاته جنوباً إلى رأس الخيمة في عمان وزبيد في اليمن، وقد واصل زحفه في الشمال إلى ضواحي دمشق فدانت له بادية الشام والعراق وقد بلغت الدولة في أيامه أوجها وغايتها إلى أن بعض أغلاطه السياسية أوقعته في مشاكل مع (الأتراك والمصريين) وشدته المتناهية صرفت

القلوب عنه وجعلت الناس ينتهزون الفرصة عليه. ولم يكن الإمام سعود ممن يحفل في الألقاب فكان الناس ينادونه باسمه أو بيا أبا عبد الله.

وكان سعود في ملبسه مثل باقي الشعب لا يتميز عنهم بشيء ولم يحتفل سعود في (سرايه) بأي عيد من الأعياد كما يحتفل في الأمصار. ويقول أن هذه العادات لم تكن موجودة في صدر الإسلام. والنظام الذي أوجده سعود من القاء المسئولية مسئولية الجرائم التي تقع في منطقة على (شيخ القبيلة) التي تقع هذه النطقة تحت نفوذه، وقد جعل الأمن يسود كل جزيرة العرب تقريباً.

وفي أوائل سنة ١٢١٨هـ على عهد الامام عبد العزيز رحمه الله فتح سعود بن عبد العزيز الحجاز وعين الشريف (عبد المعين) أميراً على مكة المكرمة من قبله. ولكن الشريف غالب تمكن من استرداد مكة المكرمة ثم استمرت الحرب سجالاً بين الفريقين حتى تمكن آل سعود من الاستيلاء على الحجاز مرة أخرى سنة ١٢٢٠هـ. وقد استمر حكم آل سعود على الحجاز من سنة ١٢٢٠هـ إلى سنة ١٢٢٨هـ خضع خلالها شريف مكة وأهل الحجاز للحكم السعودي.

وفي سنة ١٢٢٠هـ بدأ الخلاف مع المصريين والأتراك، وسببه هو أن الإمام سعود بن عبد العزيز قال لأميري الحج الشامي والمصري ما هذه العويدات التي تأتون بها وتعظمونها. فأخبراه بأن هذه (المحامل) إشارة لاجتماع الناس وهي عادة قديمة. فقال لهم الإمام سعود، لا تفعلوا ذلك بعد هذا العام وطلب منهما أن لا يأتيا (بطبول ومزامير).

وفي سنة ١٢٢١هـ كتب الإمام سعود إلى أمير الحج الشامي وكان قد وصل قرب المدينة لا تدخل الحجاز ألا على الشرط الذي شرطناه عليك في العام الماضي.

ويقول العلامة ابن بشر في تاريخه في حوادث سنة ١٢٢١هـ رجع المحمل الشامي إلى وطنه من غير حج وكان أميره عبد الله باشا العظم. وقال العلامة الجبرتي المؤرخ المصري في سنة ١٢٢٣هـ انقطع الحج الشامي والمصري معتلين بمنع الوهابية الناس من الحج وليس الأمر كذلك فإنه لم يمنع أحد أتى إلى الحج، على الطريقة المشروعة وأنما منع من يأتي (بالبدع) التي لا يجيزها الشرع مثل (المحمل والطبل والزمار) وقد حجت طائفة من المغاربة ولم يتعرض لهم بسوء وفي سنة ١٢٢٢هـ صدر الأمر من السلطان (سليم) إلى (محمد على باشا) بتوليته الحجاز ومحاربته الوهابيين غير أن محمد على لم يكن يستطيع تنفيذ الأمر فوراً لأنه لم يستقر أمره بعد في مصر ولا يزال يخشى من نفوذ المماليك.

وفي سنة ١٢٢٦هـ بدأت الحملات العسكرية من مصر فاحتلت ينبع في السنة نفسها وبالرغم من انكسار (طوسون باشا) وقواته في الصفراء والقضاء على الحملة المصرية قضاء تاماً. فأن محمد علي أعاد الكرة مرة أخرى والشريف غالب يمهد له السبيل حتى تمكن من استرداد مكة والمدينة والطائف سنة ١٢٢٨هـ.

وفي ربيع الثاني سنة ١٢٢٩هـ توفي الإمام سعود بن عبد العزيز في الدرعية على أثر حمى أصيب بها. وبوفاة سعود فقدت نجد تلك الشخصية المهيبة وبدأ التصدع يظهر شيئاً فشيئاً في أيام أبنه عبد الله بن سعود.

الإمام عبد الله بن سعود بن عبد العزيز

بويع الإمام عبد الله بن سعود بن عبد العزيز بعد وفاة والده سعود بن عبد العزيز بن محمد سنة ١٢٢٩هـ وكانت الحرب مستمرة بين أهل نجد ومحمد علي باشا فلم يمسك زمام الأمور بيد من حديد لقد فتح عهد عبد الله بن سعود بخلافات عائلية بينه وبين عمه عبد الله تغلب عبد الله ابن سعود على عمه عبد الله، غير أن التصدع قد بدأ والانحلال قد ظهر وأخذ أعداء النجديين يستفيدون من الفرصة فكاتبوا (محمد على باشا) سراً.

وفي سنة ١٢٣٠هـ عقد الإمام عبد الله هدنة مع (طوسون باشا) وهذه الهدنة كانت أكبر الأسباب التي عملت على تقويض عرش آل سعود لأن المصريين كانوا في أشد الظروف حرجاً، وفي أثناء الهدنة تمكنوا من تجديد حملاتهم على الحجاز، وفي سنة ١٢٣٤هـ غادر إبراهيم باشا المصري نجد متوجهاً إلى مصر، كما ابعد الإمام عبد الله وفي أبعاده انتهت الدولة السعودية الأولى ورجعت نجد إلى فوضاها القديمة وحل الفساد وقطع الطرق محل النظام والأمن..

أثر الدولة السعودية في نجد:

مهما قيل في الدعوة الدينية الإصلاحية، ومهما قيل في الطريقة التي اتبعت في نشر الدعوة، هذه الدعوة التي تركت في نجد أثراً عظيماً لا ينكر وقضت قضاءً تاماً على ما كان شائعاً في نجد من الخرافات وما كان شائعاً من تعظيم القبور والنذر لها والاعتقاد في بعض الأشجار واحيت معالم الشريعة بعد اندثارها، وجعلت الرجوع إليها في مختلف الشئون أساساً من أسس الحكم.

أما أهل العلم والقضاء، لا سيما (آل الشيخ)[١] فإنهم فوق كل اعتبار، وأصبح مقروناً اسم آل الشيخ، وآل سعود بعقيدة التوحيد والدعوة الإصلاحية.

(١) يطلق آل الشيخ على ذرية الشيخ محمد بن عبد الوهاب.



الإمام عبد الله بن سعود بن عبد العزيز (الذي أسرته الحملة المصرية)

الإمام تركي بن عبد الله

بعد أبعاد الإمام عبد الله بن سعود بن عبد العزيز بن محمد وسفر إبراهيم باشا المصري إلى مصر سنة ١٢٣٤هـ، حانت الفرصة لآل سعود مرةً ثانية لاسترجاع الإمارة، ولكن من يقودهم. اختلف آل سعود فيما بينهم على الإمارة كما طمع بها غيرهم أيضاً. طمع محمد بن مشاري بن معمر وتولاها فعلاً، غير أن مشاري بن سعود وصل إلى (الدرعية) في جمادي سنة ١٢٣٥هـ وانتزع الإمارة من ابن معمر بلا مقاومة تذكر ثم أن ابن معمر استرد الإمارة مرة ثانية وألقى القبض على مشاري. وهنا قام تركي بن عبد الله ليثأر للأمير مشاري آل سعود حيث قبض على محمد بن معمر وولده وقتلهما بسبب تسليمهم مشاري آل سعود للترك ومن هنا تأسست الدولة السعودية الثانية، ومؤسسها هو الإمام تركي بن عبد الله آل سعود.

وتركي هذا هو تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود وعبد الله والد تركي ليس هو عبد الله الذي أسره إبراهيم باشا المصري وقتله الترك ويعتبر تركي المذكور الزعيم الساعي لاسترداد إمارة آل سعود سنة ١٢٣٥هـ. لقد هرب تركي من الرياض بعد حصار الاتراك له وقد تمكن من استراداد الرياض التي جعلها مقراً له بعد محاولات عديدة ثم أخضع نجد كلها.

وفي سنة ١٢٤٩هـ دبر مشاري بن عبد الرحمن آل سعود مؤامرة أغتاله فيها وأعلن نفسه أميراً على نجد، غير أن فيصل بن تركي الذي كان في القطيف أثناء اغتيال والده بادر بالرجوع إلى الرياض ليأخذ بثأر والده تركي، وحاصر مشاري في قصره ولم تمض بضعة أيام حتى تسلق فيصل ورجاله القصر وقتلوا مشاري في قصره ولم تمض بضعة أيام حتى تسلق فيصل ورجاله القصر وقتلوا مشاري ومن ساعده على اغتيال والده وأعلن نفسه أميراً على نجد وذلك سنة ١٢٥٠هـ.

الإمام فيصل بن تركي بن عبد الله

القي القبض على الأمير فيصل فيمن القي القبض عليهم (في الدرعية) من آل سعود، وآل الشيخ وبقي في مصر من سنة ١٢٣٤هـ إلى سنة ١٢٤٢هـ حيث فر من مصر. لقد تولى الإمام فيصل بن تركي مقاليد الحكم في ١١ صفر سنة ١٢٥٠هـ بعد قتله مشاري بن عبد الرحمن آل سعود قاتل والده الإمام تركي بن عبد الله سنة ١٢٤٩هـ وبعد أن تسلم فيصل عرش الإمارة جد في إخضاع نجد وقد أخضعها فعلاً وقضى على جميع خصومه.

ثم إن الأتراك ومحمد علي باشا والي مصر هالهم أمر نجد وخشوا أن يعود الأمر لآل سعود كما كان، فأرسلوا حملة عسكرية ومعها الأمير خالد بن سعود فأصبحت الحرب الأهلية تقريباً بين آل سعود. وقد استمرت الحرب بين خالد بن سعود ومن معه من الأتراك والمصريين وبين الإمام فيصل ومن تبعه من النجديين وكانت الحرب سجالا بين الطرفين. وأخيراً رأى الاتراك أن يضعوا أخر حد لفيصل الذي يرمي إلى إعادة حكومة سعودية.

فوكلوا هذا الأمر إلى خورشيد باشا وقد وصل إلى نجد سنة ١٢٥٤هـ بحملة عسكرية كبيرة، ووصل خورشيد باشا إلى الرياض في شهر رجب من السنة المذكورة. وبعد مقاومة دامية استسلم فيصل وأخوه جلوي ووالداه عبد الله ومحمد لخورشيد باشا الذي أرسلهم إلى مصر. وبقي الإمام فيصل في مصر من سنة ١٢٥٤هـ إلى سنة ١٢٥٩هـ حيث تمكن من الفرار من مصر ثانية، ويقال أنه تمكن من ذلك بمساعدة (عباس باشا الأول) وقد تمكن بعد مدة قصيرة من استعادة مكة.

وفي أخر أيام فيصل زار نجد الرحالة (بلجريف) فوصف بلاط فيصل، كما وصف الإمام فيصل بالضعف في آخر أيامه، كما وصف سلطة الشيخ عبد اللطيف حفيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأنها تأتي بعد فيصل مباشرةً وذكر المنافسة بين الأمير عبد الله بن فيصل والأمير سعود بن فيصل.

وفي سنة ١٢٨٢هـ توفي الإمام فيصل وبعد وفاته أوجد التنافس بين عبد الله وسعود سبيلاً لإعدائهم حتى انتهى الأمر بالقضاء على إمارة آل سعود ثانية.

الحرب الأهلية بين أبناء الإمام فيصل

في العشرين من شهر رجب سنة ١٢٨٢هـ توفي الإمام فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان بن إبراهيم بن موسى بن ربيعه بن مانع المريدي. وقد أعقب الإمام فيصل أربعة أولاد هم عبد الله، ومحمد، وسعود، وعبد الرحمن.

وعبد الرحمن هذا هو والد الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله. وقد تولى الأمر عبد الله بن الإمام فيصل ودام الهدوء شاملاً جميع أنحاء نجد وفي سنة ١٢٨٣هـ خرج الأمير سعود بن الإمام فيصل من الرياض مغاضباً آخاه الإمام عبد الله بن الإمام فيصل متوجهاً إلى عسير طالباً النجدة من حاكمها. ولما علم عبد الله بوجود سعود في عسير أرسل إليه يطلب منه القدوم إلى الرياض، ثم خرج سعود من عسير متوجهاً نحو نجران وقد اسعف حاكم نجران طلب سعود بالمساعدة على أخيه عبد الله وأعطاه مبالغ من المال.

سار سعود بالجموع التي كانت معه نحو (السليل) وبعد أن علم أخوه الإمام عبد الله بذلك استعد لمجابهة الأمر الواقع. حيث أوعز الإمام عبد الله إلى أخيه الأمير محمد بالسير على رأس القوات لمقاتلة أخيه سعود ونفذ محمد الفيصل هذا الطلب وقد دار قتال مرير بين الطرفين. لا هوادة فيه ولا لين إلى أن اندحرت قوات سعود وقد أصيب سعود بعدة جروح ثم ذهب مع قبيلة المرة التي كانت معه في الحرب إلى جهة الإحساء وقفل محمد عائداً إلى الرياض. وبعد أن شفيت جروح الأمير سعود بن فيصل رحل إلى عمان وأقام فيها. وفي سنة ١٢٨٤هـ أدب الإمام عبد الله الفيصل الجماعات التي ناصرت سعود وعهد إلى عمه عبد الله بن تركي بالسير نحو الإحساء وكان أمير الإحساء آنذاك (محمد بن أحمد السديري) فعزله الإمام عبد الله عن إمارة الإحساء واستدعاه إلى الرياض وعين مكانه (ناصر بن جبر الخالدي).

وفي سنة ١٢٨٥هـ خرج الإمام عبد الله بقوة كبيرة إلى وادي الدواسر وبعض المناطق الأخرى لتأديب من كان منهم قد ساعد أخيه الأمير سعود الفيصل ضده وبعد شهرين عاد إلى الرياض. بعد أن قضى على جميع أنصار أخيه سعود ومؤيديه . وفي سنة ١٢٨٧هـ توجه الأمير سعود الفيصل إلى البحرين والتجأ إلى الخليفة طالباً مساعدتهم له ضد أخيه الإمام عبد الله. ثم ألتحق به محمد بن ثنيان بن سعود بن محمد بن مقرن كما انضم إليه عدد كبير من الغزاة فتوجه بهم إلى قطر وهاجم سرية أخيه الإمام عبد الله وكانت تحت أمرة (مساعد الظفري) (وناصر بن جبر الخالدي) أمير الإحساء من قبل الإمام عبد الله. واشتبك الطرفان في معركة أسفرت عن انهزام سعود وأتباعه ومقتل محمد بن عبد الله بن ثنيان ورجع سعود الفيصل بعدها إلى البحرين.

وفي شهر رجب من هذه السنة سار سعود نحو الإحساء وقد أنضم إليه عدد كبير من عشائر تلك المنطقة، من بينهم عدد من (المره والعجمان) واغتنم سعود الفرصة فزحف نحو الهفوف ودار القتال بينه وبين أهلها وظل محاصراً لها أربعين يوماً. وكان الإمام عبد الله الفيصل عندما بلغته هذه الأخبار أعلن الجهاد فوصلته جموع من أكثر مناطق نجد وسار أخوه محمد الفيصل يقود تلك الجموع ولما علم سعود الفيصل بقدوم قوات عبد الله نحوه ترك الهفوف وأقبل محمد بن فيصل بقواته.

وفي اليوم السابع والعشرين من شهر رمضان ألتحم الفريقان بمعركة رهيبة أسفرت عن انهزام محمد بن فيصل وقواته فأعتقله أخوه سعود وأرسله إلى القطيف ووضعه في السجن وهنا قدم رؤساء أهل الإحساء لمبايعة سعود وبعد أن تلقى الإمام عبد الله اندحار قواته التي يقودها أخوه محمد الفيصل وأسره من قبل أخيه سعود خرج من الرياض نحو جبل شمر وفي شهر ذي القعدة من هذه السنة عاد الإمام عبد الله الفيصل إلى الرياض. وفي أخر هذا الشهر سار سعود الفيصل نحو الرياض وبعد أن علم سعود الفيصل بعودة أخيه عبد الله الفيصل إلى الرياض عاد إلى الإحساء. وفي شهر محرم من سنة ١٢٨٨ هـ خرج سعود الفيصل بقواته من الإحساء متوجهاً نحو الرياض، ولما أقترب منها خرج منها الإمام عبد الله الفيصل قاصداً عشائر قحطان ثم دخل سعود ومعه عدد كبير من العجمان الرياض، وعاقب كل من سبق له موالاة أخيه عبدالله.

وفي شهر ربيع الأول من هذه السنة خرج سعود بقوات عظيمة من الرياض متوجهاً إلى عشائر قحطان لمقاتلة أخيه عبد الله. وفي اليوم السابع من جمادي الأول هجم سعود بقواته على أخيه الإمام عبد الله ودارت معركة حاميه انهزم فيها الإمام عبد الله وعاد سعود بعدها إلى الرياض. وفي شهر ربيع الأول من سنة ١٢٨٨ هـ احتل الأتراك الإحساء وأطلقوا سراح محمد الفيصل الذي كان قد اعتقله أخوه سعود. أما سعود الفيصل فبعد انتهائه من حرب أخيه عبد الله وعشائر قحطان وعودته إلى الرياض صرف معظم قواته ولم يبق معه إلا القليل فقام أهل الرياض ضده يتقدمهم عمه عبد الله بن تركي وحاصره في قصره ودار القتال بينهما أيام إلى أن أخرجوه من الرياض واستولى عليها عبد الله بن تركي .

وفي جمادى الثانية توجه سعود الفيصل إلى الإحساء واجتمعت حوله جموع كثيرة وراحوا ينهبون قرى الإحساء وكل ما تقع عليه أيديهم. وفي شهر رجب توجهت القوات العثمانية

ومعها عبد الله الفيصل نحو الإحساء ودارت بينهم وبين سعود الفيصل معارك دامية انهزم فيها سعود الفيصل وقواته وبعد أيام قليلة من هذه الموقعة وصل (مدحت باشا) إلى الإحساء على رأس قوات كبيرة قدمت من بغداد وقد ساعده رؤساء عربان أهل الكويت برئاسة الشيخ مبارك الصباح.

ثم خرج الإمام عبد الله بن فيصل وولده تركي وأخوه محمد الفيصل من الإحساء متوجهين نحو الرياض.

وفي سنة ١٢٨٩ هـ قدم سعود بن فيصل إلى الافلاج في نجد وألتف حوله أنصاره ومؤيدوه، ولما علم عبد الله الفيصل بذلك أرسل آخاه محمد بن فيصل إلى (الدلم) يقود سرايا القتال ورافقه عمه عبد الله بن تركي. ولما علم سعود ومن معه حاصروا بلدة الدلم وهنا وقع لمحمد الفيصل ما لم يكن في الحسبان فقد خانه أهل البلد وفتحوا الباب ودخلها سعود ومن معه وقد تمكن محمد الفيصل من الهرب إلى الرياض. أما عمه عبد الله بن تركي فقد ألقى سعود القبض عليه وسجنه عنده وبعد أيام قليلة توفي عبد الله بن تركي في الحبس.

وفي شهر محرم من سنة ١٢٩٠ هـ خرج سعود بن فيصل من بلدة الدلم قاصداً الرياض ولما اقترب منها خرج إليه أخوه عبد الله بن فيصل ومعه أهل الرياض ووقعت بين الفريقين معركة شديدة أسفرت عن أنهزام الإمام عبد الله ثم أن عبد الله بن فيصل بعد هذه الهزيمة رحل إلى الكويت وأقام لدى عشائر قحطان عل موقع (الصبيحية). أما سعود فقد دخل الرياض وبايعه أهلها على السمع والطاعة. وفي الثامن عشر من شهر ذي الحجة سنة ١٢٩١ هـ توفي الأمير سعود بن فيصل في الرياض فتولى مقاليد الحكم بعده أخوه عبد الرحمن بن فيصل.

كان سعود بن فيصل يريد استرداد الإحساء من الأتراك فرأى البدء في مفاوضات مع الأتراك لحل هذه المشكلة. فأرسل أخاه عبد الرحمن إلى بغداد فأقام عبد الرحمن بن فيصل في بغداد أربع سنوات دون أن يصل إلى نتيجة.

وفي شهر رمضان سنة ١٢٩١ هـ عاد عبد الرحمن الفيصل من بغداد متوجهاً نحو الإحساء ومعه (فهد بن صنيتان) وصنيتان عبارة عن لقب لازم عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله بن محمد سعود بن محمد بن مقرن واشتهر به طيلة حياته.

عزم عبد الرحمن الفيصل على إخراج الاتراك من الإحساء فجمع الجموع وداهمت قواته الأتراك المرابطة هناك وكاد الإمام عبد الرحمن أن يتفوق بقواته على قوات الأتراك. ولكن الأتراك أرسلوا إلى والي البصرة ووالي بغداد يخبرونهما بما قد وقع فأوعز والي بغداد إلى (ناصر باشا آل سعدون) رئيس المنتفق بالسير نحو الإحساء وعينه أميراً عليها وعلى القطيف. ولما علم عبد الرحمن الفيصل بوصول هذه القوات استعد لها ودارت معركة عنيفة انهزم على أثرها عبد الرحمن الفيصل وتوجه إلى الرياض. وبعد وفاة أخيه سعود الفيصل تآمر على الرياض وكان أخواه عبد الله الفيصل ومحمد الفيصل يومئذ في البادية.

وفي سنة ١٢٩٢هـ أراد عبد الله الفيصل غزو أخيه عبد الرحمن الفيصل أمير الرياض فطلب عبد الله الفيصل من أخيه محمد الفيصل تنفيذ ذلك. ولما علم عبد الرحمن بما كان يدبره أخوه ضده استعد لمجابهته يرافقه أولاد أخيه سعود وجرت بين الطرفين معارك عديدة.

وفي سنة ١٢٩٣هـ سلم عبد الرحمن الفيصل الرياض لأخيه عبد الله وخرج منها بسبب تنافر حصل بينه وبين أبناء أخيه سعود وأدى هذا التنافر إلى خروج عبد الرحمن من الرياض متوجهاً إلى البادية لمقابلة أخيه عبد الله وتسليمه الرياض فأستقبله عبد الله وأكرمه غاية الإكرام وباشر عبد الله بجمع قواته متوجهاً بها نحو الرياض يرافقه أخوه عبد الرحمن، ولما أقترب منها غادرها أولاد سعود بدون قتال، ثم دخل عبد الله الفيصل الرياض وأستقر بها إلا أن محمد وسعد وعبد الله أبناء سعود الفيصل دب الطمع في نفوسهم فراحوا ينشدون الاستيلاء على الحكم مكان عمهم عبد الله فاعتقلوه وسجنوه.

لقد شجب الأمير محمد العبد الله آل رشيد أمير حائل هذه البادرة ودعى إلى نصرة الإمام عبد الله الفيصل وجمع الجموع وسار بها نحو الرياض، ولما اقترب منها خرج وفدٌ لمفاوضته برئاسة عبد الرحمن الفيصل فقال الأمير محمد العبد الله آل رشيد أمير حائل أنه لم يقصد البيت السعودي وأهل الرياض. بل قصده إنقاذ الأمير عبد الله من السجن ولما رأى أولاد سعود الفيصل أجماع كلمة الأمة ضدهم طلبوا الحماية من ابن رشيد فأقطعهم الأمان على أموالهم ودمائهم وعادوا إلى الخرج وبقي الإمام عبد الله الفيصل في الرياض بعد خروجه من السجن مدة قليلة ثم أرسله محمد الرشيد إلى حائل بصحبة أخيه عبد الرحمن الفيصل وعين الأمير ابن رشيد من قبله (سالم السبهان) أميراً على الرياض. أما الإمام عبد الله الفيصل وأخوه عبد الرحمن فقد أقاما في حائل مدة ليست قصيرة ثم عاد إلى الرياض بعد أن سمح لهما محمد الرشيد

بالعودة، ولدى وصولهما توفي الإمام عبد الله وذلك في اليوم الثاني من شهر ربيع الثاني سنة ١٣٠٧هـ.

لقد أسفرت دعوة محمد العبد الله الرشيد إلى نصرة الإمام عبد الله الفيصل عن تثبيت قدم آل رشيد وانقياد بعض القبائل لطاعتهم وموالاتهم شيئاً فشيئاً. وقد عقب ذلك غارات متواصلة بين آل سعود وآل رشيد، أظهر فيها محمد بن سعود بن فيصل ويلقب (غزلان) ثباتاً عجيباً وظلت الحالة على هذه الصورة إلى أن فاز محمد العبد الله الرشيد على خصومه نهائياً وأستولى على الرياض وملحقاتها بعد حصار دام ستة أشهر.

أما الإمام عبد الرحمن الفيصل فإنه بعد وفاة أخيه الإمام عبد الله أراد أن يسترد ملك آل سعود في الرياض ونفوذهم وسلطانهم على جميع البلاد التي كانت خاضعة لهم، ودخل معارك عديدة من أجل هذا الغرض ولم يكن النجاح حليفاً له في أي منها لأسباب عديدة منها قوة آل رشيد وزعيمهم محمد العبد الله آل رشيد الذي بسط نفوذه على نجد بشخصيته القوية وما اشتهر به من كرم ولين الجانب وكبر العقل وحبه للسلم فدانت له العشائر كلها راضية أو مكرهه هذا من جهة، ومن الجهة الأخرى الحرب الأهلية بين آل سعود أنفسهم التي بدأت من سنة ١٢٨٣هـ واستمرت أكثر من خمسة وعشرين سنة أضعفت آل سعود وأوجدت التنافر بينهم وفرّقت أنصارهم، وقد أراد الإمام عبد الرحمن الفيصل القضاء على نفوذ محمد الرشيد فتحالف مع أهل القصيم على حرب محمد آل رشيد في عقر داره وضربه ضربةً تضعف سلطته وتقلل من نفوذه. ولكن محمد الرشيد لم يكن عيناً غافلة عما يكيده له خصومه فإنه ما كاد ليعلم بأن خصومه أخذوا يتأهبون حتى باغتهم بقواته ومزقهم شر ممزق ودارت معركة رهيبة في العشر الأوائل من شهر جمادي الأولى سنة ١٣٠٨هـ تعرف هذه الوقعة (بالمليدا)(١)

وفي هذه السنة التي هزم فيها محمد العبد الله آل رشيد خصومه أصبح السيد المطاع في نجد كلها وهذه المعركة هي آخر معركة خاضها محمد آل رشيد لإخضاع خصومه وبسط سلطانه ولم يكن هناك بعدها شيء من المعارك إلا بعد وفاته بثلاث سنوات كما سيأتي ذلك مفصلاً.

أما الإمام عبد الرحمن الفيصل فقد انتهى به المطاف أن ينقل عائلته وخدمه وكل من تبعه من آل سعود وغيرهم ويسكن الكويت وذلك سنة ١٣٠٩هـ وقد لاقى من الشيخ محمد الصباح حاكم الكويت آنذاك كل احترام وتقدير.

(١) المليدا موضع في القصيم بين بريدة وعنيزة.

إمارة آل رشيد

في كلامنا عن نجد ومقاطعاتها ومن بينها جبل شمر، ومدينة (حائل) هي قاعدة (جبل شمر) وفي حائل تأسست إمارة آل رشيد سنة ١٢٤٩ هـ ومؤسسها هو عبد الله بن علي آل رشيد بتعاون مع أخيه عبيد بن علي آل رشيد .

ينتسب آل رشيد إلى شمر وجدهم الأول الذي لقبت به أسرتهم اسمه (رشيد بن علي) ورشيد من الخليل والخليل من الجعفر، والجعفر من الضياغم من شمر عبده وشمر عبده من شمر وشمر من القبائل العربية القحطانية. لقد كانت قبائل شمر التي تقيم قرب (آجا وسلمى) الجبلين المعروفين (بجبل شمر) هي صاحبة النفوذ والسيطرة هناك. ويعرف رؤساء شمر السابقون (آل محمد) وآخرهم (فارس الجربا) وقد لقب بالجربا نسبة لأمه التي ابتليت بمرض (الجدري) وأصبحت جرباء على أثر هذا المرض . وعلى عهد الأمير محمد بن سعود مؤسس الدولة السعودية الأولى وأبنه الإمام عبد العزيز نزح فارس الجربا من جبل شمر واستوطن بادية الجزيرة في العراق بين (دجلة والفرات) وذلك بعد أن انقطعت الأمطار مدة طويلة واجدبت الأرض وعلى أثر نزوح فارس الجربا تبعه الكثير من شمر واستقروا في العراق ولا يزالون حتى الآن . وتولى أمر جبل شمر (آل على) وآل علي هم أبناء عم لآل رشيد .

وفي سنة ١٢٠١ هـ أمر الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود حجيلان بن حمد أمير القصيم آنذاك أن يقوم باستنفار أهل القصيم ويدعوهم لغزو جبل شمر . ونفذ حجيلان بن حمد أمر الإمام عبد العزيز ودخل جبل شمر في الطاعة وكان أميره آنذاك (عبد المحسن بن علي) وبعد وفاته عين أبنه (محمد بن عبد المحسن بن علي) أميراً على جبل شمر .

وفي سنة ١٢٠٨ هـ اشتهر الأمير (محمد بن عبد المحسن بن علي) وشاعت شهرته بعد غزوة قام بها على الجوف المعروف سابقاً (بدومة الجندل) وبعد وفاة محمد بن علي تولى السلطة أخوه (صالح بن عبد المحسن بن على) وكان هذا الأمير ضعيفاً متردداً وفي عهده تغلبت بعض القبائل ومن بينها عنزة على شمر وأخذت بعض مواردها ومراعيها. كما حصل الخلاف بينه وبين أبناء عمه (آل رشيد) وذلك على عهد الإمام تركي بن عبد الله آل سعود .

وفي سنة ١٢٤٩ هـ وهي السنة التي قتل فيها مشاري بن عبد الرحمن آل سعود خاله وابن عمه الإمام تركي بن عبد الله آل سعود. وفي هذه السنة ابتدأ أمر آل رشيد وأول أمير من الأسرة

آل رشيديه هو (عبيد الله بن علي آل رشيد) يساعده أخيه (عبيد بن علي آل رشيد)، وبقي نفوذ صالح بن عبد المحسن بن علي يتلاشى شيئاً فشيئاً إلى أن عزل سنة ١٢٥١ هـ وقتل في نفس السنة المذكورة .

وفي سنة ١٢٥٣ أراد (عيسى بن علي) قتل (عبد الله بن علي آل رشيد) وإعادة حكم آل علي فسار على رأس قوة من أتباعه لمباغتة عبد الله بن رشيد ولكن عبد الله بن رشيد خرج من حائل قبل وصول عيسى بن علي لها فد خل عيسى البلد ونزل القصر بمن معه. وفي هذه السنة سار من بلدة (قفار) عبد الله بن علي آل رشيد قاصداً (حائل ولما وصلها خرج منها عيسى بن علي ودخلها عبد الله بن علي آل رشيد ومن هنا ابتدأت (إمارة آل رشيد) في حائل .

وفي أواخر سنة ١٢٥٦ هـ توفي عيسى بن علي في الإحساء وفي وفاته انتهت (إمارة آل علي) وظهرت إمارة آل رشيد .

الأمير عبد الله بن علي آل رشيد

سبق أن تكلمنا عن مقتل الإمام تركي بن عبد الله آل سعود وبعد مقتله هرب من الرياض عبده الخاص المدعو (زويد) وقصد الإحساء وذلك لإبلاغ فيصل بن تركي بتفاصيل مقتل والده. وكان بصحبة فيصل بن تركي بالإحساء عدد من الأمراء والرؤساء من بينهم عبد الله بن علي الرشيد من رؤساء جبل شمر وكان ذا رأي وشجاعة .

وفي ليلة الثلاثاء التاسع عشر من شهر محرم سنة ١٢٤٩ هـ وصل الإمام فيصل بن تركي الرياض ونزل قريباً منها، وبعد صلاة الفجر دخل فيصل الرياض، وحاصر قصر مشاري بن عبد الرحمن آل سعود قاتل والده، وكان مع مشاري في القصر نحو مائة شخص من بينهم سويد بن علي أمير جلاجل .

وفي ليلة الخميس الحادي عشر من شهر صفر أرسل سويد إلى فيصل وطلب منه الأمان على نفسه وماله ومن كان عنده في القصر سوى من باشر بقتل الإمام تركي أو ساعد في قتله. وكان اتصال سويد بن علي أمير جلاجل بالإمام فيصل يجري بواسطة عبد الله بن علي الرشيد وذلك لوجود معرفة قديمة وصداقة بين سويد وابن رشيد. وبعد أن شاور فيصل رؤساء قومه أشاروا عليه أن يعطيهم الأمان فأعطاهم الأمان على الصعود إليهم للقتال وكان فيصل يعلم ما في القصر من خزائن وأموال وعتاد وأسلحة وغير ذلك فخاف إذا أخذ القصر عنوةً أن تكون

تلك الأموال شتاتاً بين الناس لذلك وافق على طلب سويد وأعطاه الأمان شريطة أن يتسلق القصر أناس من قبل الإمام فيصل ويجري القتال فيه .

لقد اختار الإمام فيصل أربعون رجلاً من الرجال الأشداء المشهورين بالشجاعة والأقدام وعلى رأسهم عبد الله بن علي الرشيد. ثم رمى سويد ومن كان معه قد طلب الأمان الحبال من أعالي القصر وتسلق عبد الله بن علي الرشيد وجماعته القصر وقتل مشاري وستة من أعوانه .

وقد أحب الإمام فيصل عبد الله بن علي الرشيد حباً جماً، لما رأى فيه من الإخلاص له والتفاني من أجله وأقره أميراً على جبل شمر . وكان عبد الله بن رشيد صديقاً حميماً للإمام فيصل ويعتمد الإمام فيصل عليه كثيراً في الشدائد والملمات. وفي سنة ١٢٥٩ هـ وصل جبل شمر كل من الإمام فيصل وأخيه جلوي وأبن عمه عبد الله بن إبراهيم قادمين من مصر فأرسلوا إلى عبد الله بن علي الرشيد يخبرونه بمجيئهم فأستقبلهم وقام بواجبهم خير قيام. ولم يكن أمير جبل شمر عبد الله بن علي الرشيد ميالاً للترك، ولا تربطه بهم أي علاقة، بل كان يميل إلى الإمام فيصل بن تركي وكثيراً ما كان الإمام فيصل بن تركي يدعو أمير الجبل لنصرته ويستجيب عبد الله بن رشيد طلب الإمام كما إن الإمام فيصل يحب عبد الله بن رشيد حباً جماً ويساعده متى طلب المساعدة.

وفي شهر محرم من سنة ١٢٦٣ هـ طلب عبد الله بن رشيد من الإمام فيصل النصرة على قبائل عنزة ولبى الإمام طلبه .

لقد دام حكم الأمير عبد الله بن علي الرشيد أربع عشرة سنة منها سنتان قبل عزل صالح بن عبد المحسن بن علي من قبل الإمام فيصل ومن أشهر الوقائع التي حدثت في عهده. وقعت (بقعا) الوقعة المشهورة في تاريخ نجد ولشهرة هذه الوقعة يحسن أن نورد خبرها مفصلاً - نقلاً عن تاريخ ابن بشر الذي عاصر ذلك العهد وعلى كلامه المعول . . . - قال ابن بشر في كتابه (عنوان المجد فى تاريخ نجد) في حوادث سنة ١٢٥٤ هـ. لبث خورشيد باشا في عنيزة خمسة أشهر وفي مدة مقامه فيها وفد عليه عبد الله بن علي الرشيد رئيس جبل شمر فأعطاه الباشا وكساه وأكرمه فلما رحل من عنده نزل في الموضع المعروف (باليصري) فأرسل رجالاً من أعوانه على ثلاثة ركائب إلى بريدة وكان فيها رجل هارب عنه من أهل الجبل خوفاً منه لانه من أعوان آل علي فدخل عليه منهم ثلاثة رجال وقرعوا عليه الباب فخرج إليهم فأمسكوه

فصاح ولد له صغير ففزع عليهم أهل البلد وقتلوا منهم رجلين وأخذوا ركائبهم وامسكوا منهم رجلاً فأخبرهم بالأمر .

فنهضوا إليهم فوجدوهم في غفلة فباغتوهم بين المغرب والعشاء ومع عبد الله بن رشيد نحو خمسة وأربعين مطية وشيء كثير من اللباس والسلاح فأخذوهم وما معهم وقتلوا منهم ستة رجال وهرب عبد الله على ظهر فرسه إلى الباشا فكساه وأعطاه ثم رجع إلى بلده. وقال ابن بشر في حوادث سنة ١٢٥٦ هـ في كلامه عن خالد بن سعود (ثم قصد الرياض فلما وصل شقراء وافاه أمير الجبل عبد الله بن رشيد وافداً عليه ومعه أكثر من مائتي مطية من أهل الجبل وسار معه إلى الرياض ثم قدم عليه بعده أمير بريده عبد العزيز بن محمد فحصل بينه وبين أمير الجبل نزاع من أجل أبل أخذها ابن رشيد لأهل بريده وما وقع من عبد العزيز عليه من الأخذ لما رجع من عند الباشا في عنيزه) .

وقال ابن بشر في حوادث سنة ١٢٥٧ هـ ما نصه

وفي جمادي الأولى منها جرت الواقعة العظمى والكارثة الكبرى بين أهل القصيم واتباعهم من عربان عنزه وبين عبد الله بن علي الرشيد واتباعه من عربان شمر وحرب. وذلك لما رحل عبد العزيز أمير بريدة وعبد الله بن رشيد من الرياض وكل قصد بلده كما سبق. اغار غازي بن ضبيان رئيس الدهامشة من عنزة على ابن طواله من شمر فأخذهم ومعهم إبلاً كثيرة لأهل الجبل، وكان غازي هذا من اتباع أهل القصيم. فأغار عبد الله بن رشيد على غازي وعربانه فأخذ منهم إبلاً كثيرة فغضب لهم أمير بريدة وانتدب الحرب ابن رشيد وكان أهل القصيم متعاقدين على حرب كل عدو يقصدهم بعداوة وأجمعوا على حرب ابن رشيد فركب يحيى بن سليمان بجنود كثيرة من أهل عنيزة واتباعهم وركب عبد العزيز بأهل بريده وجميع بلدان القصيم واجتمعوا على (بقعا) نحو ستمائة مطية مردوفات ومعهم غازي بن ضبيان واتباعه من عنزة وقاعد بن مجلاد وعربانه من عنزة وابن صبر من السلاطين والصقور من عنزة. وسار الجميع من بقعا وأغاروا على وجعان الرأس من شمر فأخذوا منهم أموالاً كثيرة من الابل والغنم والأثاث. وقال يحيى لعبد العزيز دعنا نرجع على هذا العز والنصر فحلف أنه لا يرجع حتى يقاتل ابن رشيد في بلده حائل، فساروا إلى الجبل ونزلوا بقعا المعروفة في جبل شمر فخرج إليهم أهلها فأمسكوهم عندهم .

ونزلت عربان عنزة على (ساعده) الماء المعروف عند بقعا فلما علم بذلك عبد الله بن رشيد أمر على أخيه عبيد وفرسان معه أن يغيروا على عربان عنزة في ساعده فشنوا عليهم الغارات قبل الفجر فحصل قتال عظيم بينهم فمرة يهزمهم العربان ومرة يهزمهم عبيد واتباعه، هذا ويحيى وعبد العزيز في شوكة أهل القصيم في بقعا ينتظرون الغارة إلى طلوع الفجر فلما لم يأتهم أحد والقتال والجلاد راكد على أصحابهم فزع يحيى بخفيف الرجال وأهل الشجاعة على أرجلهم مشاة فلما وصلوا فإذا عبد الله بن رشيد معه باقي جنوده قد ورد عليهم في ساقة أخيه فأنهزم عربان أهل القصيم لا يلوي أحد على أحد وتبعتهم خيول شمر يأخذون من الأبل والأغنام. وتركوا يحيى بن سليمان ومن معه في مكانهم لا ماء معهم ولا ركاب فلما رأى عبد العزيز ومن معه ذلك انهزموا وركبوا ركائب يحيى ومن معه وتركوهم .

ثم وقع القتال بين يحيى وابن رشيد وصبروا إلى ارتفاع النهار فأدركهم العطش وكانوا في جمرة القيظ فقتلهم ابن رشيد إلا قليلهم وأخذ يحيى رجل من شمر واعطاه فرسه وقال انج عليها، فقال أوصلني إلى عبد الله بن رشيد وأنت صاحب الإحسان وكان بينه وبين عبد الله صحبة قديمة فأوصله إياه وجلس عنده. فدخل ولد لعبد الله عليه في خيمته وقال أن عمي قتل فأمر على يحيى وقتل صبراً وقتل من أهل القصيم جملة من رؤسائهم وتجارهم وأعيانهم لأن عبد العزيز غصبهم على الخروج معه . وقتل من أهل بريدة أكثر من سبعين رجلاً منهم ولد لعبد العزيز وحمد بن عدوان وابن شايع. ومن أهل عنيزة نحو ثمانين رجلاً منهم أحمد بن فهيد الفضلي والأمير يحيى بن سليمان وأخوه وقيل أن الذي قتل من أهل القصيم في هذه الوقعة نحو ثلاثمائة رجل. وأخذ ابن رشيد منهم كثيراً من الركاب والسلاح وكان عبد الله أخو يحيى عند خالد في الرياض فلما علم بذلك أقبل من الرياض وصار أميراً في عنيزة .

ثم أن عبد العزيز لما وصل إلى بريدة رتب رؤساء أهل القصيم وتشاوروا على المسير ثانياً فأجمع أمرهم، أنهم يجهزون الرجال ويبذلون الأموال في طلب ثأرهم. فكتبوا إلى جميع بلدان القصيم وقالوا (النفير عام على الخاص والعام) وساروا بأتباعهم من عربان عنزة وغيرهم قاصدين الجبل وهم نحو أربعة آلاف رجل وذلك في ذي القعدة. فلما وصلوا إلى (الكهفة) رجعوا ولم يحصلوا على طائل -انتهى كلام ابن بشر. وفي ثلاثة رمضان سنة ١٢٦١ هـ كانت وقعة عبيد بن علي الرشيد على أهل عنيزة. وسببها أن عبد الله بن سليمان بن زامل أمير عنيزة أخذ أبلاً لابن رشيد فطلب منه الآدى فأبى عليه فسار عليهم عبيد في مائتين وخمسين مطية وخمسين من الخيل فأغاروا على غنم أهل عنيزة وكانت قريبةً من البلد، ففزع عليهم أهل عنيزة وكان ابن رشيد قد جعل لهم كميناً فلما نشب القتال بينهم خرج عليهم الكمين

فأنهزم أهل عنيزة وقتل عبد الله بن سليمان الأمير وأخوته وبنو عمه قتلهم ابن رشيد صبراً وأسر منهم رجالاً وأرسلهم إلى أخيه عبد الله في الجبل. فركب إليه عبد العزيز بن الشيخ عبد الله ابابطين فلما قدم بلد الجبل طلب منه أن يطلق الأسرى فأطلقهم وكساهم (عنوان المجد لأبن بشر ص ١١٢) .

(عود على بدء) لقد بسط الأمير عبد الله بن علي الرشيد سلطانه على كافة أنحاء جبل شمر وكان مشهوراً بالشجاعة والإقدام.

وفي عشية يوم الجمعة من شهر جمادى الأولى سنة ١٢٦٣ هـ توفي عبد الله بن علي آل رشيد (مؤسس إمارة آل رشيد) مخلفاً ثلاثة أولاد هم طلال ومتعب ومحمد فتولى الحكم أكبرهم طلال.

الأمير طلال العبد الله آل رشيد

تولى الأمير طلال بن عبد الله الرشيد أمارة جبل شمر سنة ١٢٦٣ هـ بعد وفاة والده مباشرةً وظن أهل الجبل الذي سوف يتولى الإمارة بعد وفاة عبد الله أخيه عبيد ولكنه تنازل لأبن أخيه طلال لان الأخير أولى منه بها . وسار طلال الرشيد على سيرة والده وكان مطيعاً لآل سعود وغير خارج عليهم وفي عهده دخل (الجوف ووادي سرحان) ضمن إمارته وتقوى نفوذه وكان عاقلاً عادلاً كريماً جواداً، فأحبه الحاضر والباد .

وقد عاشت البلاد في عهده بهدوء وسكينة وأمن واستقرار طيلة مدة حكمه الذي دام تسع عشرة سنة.
وفي سنة ١٢٨٣ هـ توفي الأمير طلال منتحراً إثر خلل أصابه في عقله وتولى الإمارة بعده أخوه متعب.
وكان للأمير طلال ثمانية أولاد هم: بدر وبندر ونايف، ومسلط وسلطان، وعبد الله، وزيد ونهار .

الأمير متعب بن عبد الله آل رشيد

تولى الإمارة بعد وفاة أخيه طلال سنة ١٢٨٣ هـ وفي سنة حكمه حدث بينه وبين أولاد أخيه طلال سوء تفاهم. ثم اتفق أبناء أخيه على قتله وقتلوه سنة ١٢٨٥ هـ ويقال جرى قتله بموافقة عمه (عبيد العلي الرشيد) وتولى الإمارة بعده بندر بن طلال وكان أخو متعب الثالث (محمد) قد غادر حائل إلى الرياض لزيارة الإمام عبد الله الفيصل قبل قتل أخيه فتلقى نبأ مصرع أخيه (متعب) وهو في الرياض فبقي فيها مدة سنة تقريباً ثم عاد إلى حائل .

الأمير بندر الطلال آل رشيد

قتل الأمير متعب بن عبد الله الرشيد بعد سنتين من حكمه وهو أول قتيل من آل رشيد أتفق ابناء أخيه طلال على قتله فقتلوه وولوا أخوهم بندر، وفي سنة ١٢٨٦هـ وفد بندر على الإمام عبد الله الفيصل في الرياض حاملاً له هدية نفيسة فأكرمه الإمام وطلب من عمه (محمد العبد الله الرشيد) أن يرجع معه إلى حائل. وأعطاه العهود الكافية لسلامته وبعد أيام عادوا إلى حائل.

وفي سنة ١٢٨٩هـ توفي عبيد بن علي الرشيد عم طلال والد بندر وكان شاعراً مشهوراً وفارساً مقداماً وسنذكر بعض قصائده في فصل لاحق.. إن شاء الله.

وفي نفس السنة المذكورة قتل الأمير بندر وبعض أخوته قتلهم عمهم محمد العبد الله الرشيد وذلك لقتلهم أخوهم متعب سنة ١٢٨٥هـ وتولى زمام أمارة جبل شمر .

الأمير محمد العبد الله آل رشيد

تولى محمد العبد الله الرشيد امارة جبل شمر سنة ١٢٨٩هـ بعد قتله بندر بن طلال كان محمد العبد الله الرشيد جواداً كريماً وداهية من والدهاة، أعد العدة وقضى على جميع الفتن والمشاكل الداخلية. وهو أول أمير من آل رشيد كان ذو اتصال بالأتراك وبدهائه وسعة عقله كسب مودة السلطنة في (إستنبول) وكان يرسل إلى السلطان التحف والهدايا والخيول العربية الأصلية وترسل له الدولة العثمانية كل ما يحتاج من سلاح وذخيرة وبجانب شهرته في إستنبول قوة مركزه في (بغداد والشام). ويعتبر الأمير محمد العبد الله الرشيد أقوى الأمراء من آل رشيد وأكثرهم سيطرة ونفوذاً. ومدة حكمه الذي دام ستاً وعشرين سنة هي أطول مدة حكم لأى أمير من آل رشيد. وكان لا يستعمل القوة إذا اغناه اللين عن استعمالها ولا يتأخر عن استعمالها إذا رأى لا فائدة في اللين .

وجلالة المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود من المعجبين بسياسة محمد الرشيد وحكمته. لقد استغل الأمير محمد العبد الله الرشيد محبة السلطان له ومساعدة الأتراك إياه فبسط نفوذه على نجد كلها. أمتد حكمه من مشارف الشام شمالاً حتى الربع الخالي جنوباً ومن الإحساء شرقاً حتى الحجاز غرباً وقد ساعده على ذلك الحرب الأهلية التي حصلت بين الإمام فيصل بعد وفاته والتي أضعفت آل سعود وفرقت كلمة أهل نجد .

ومن أشهر المعارك التي حصلت في عهده وقعة المليدا الشهيرة، وقد سبق ذكرها توفي الأمير محمد العبد الله آل رشيد يوم الإثنين ٣ رجب سنة ١٣١٥هـ بدون عقب، وتولى الإمارة بعده ابن أخيه عبد العزيز المتعب الرشيد وكان قد بايعه بها وهو في قيد الحياة .



الأمير عبد العزيز المتعب الرشيد (أمير حائل)

الأمير عبد العزيز المتعب آل رشيد

تولى الأمير عبد العزيز المتعب الرشيد الإمارة سنة ١٣١٥ هـ بعد وفاة عمه محمد وعبد العزيز هذا هو ابن متعب الذي قتله أبناء أخيه طلال سنة ١٢٨٥ هـ. لقد اشتهر الأمير عبد العزيز بالشجاعة والبسالة ولكنه كان فظ الطباع غليظ القلب متهوراً، يقدم على الأمور قبل أن يفكر فيها وفي عواقبها. وينطبق عليه قول الشاعر..

الرأي قبل شجاعة الشجعان   هو أول وهي المحل الثاني

فى عهد عمه الأمير محمد العبد الله الرشيد قتل الشيخ مبارك الصباح أخويه محمد وجراح وذلك سنة ١٣١٣هـ وقد غير هذا الحادث مجرى الأمور في الكويت (كما سيأتي) وقد غادر أبناء القتيلين الكويت إلى البصرة وكان الشيخ يوسف بن عبد الله آل إبراهيم خال أبناء القتيلين ومن أشهر تجار اللؤلؤ في ذلك الحين، مقيماً في الصبية للنزهة ولما علم بقتل الشيخين محمد وجراح خاف على نفسه من قبضة الشيخ مبارك فهرب إلى البصرة.

أخذ يوسف المذكور يدس الدسائس ويثير العواصف في وجه الشيخ مبارك وقد قام بعدة محاولات يرمي من وراءها قتل الشيخ مبارك والاستيلاء على الكويت يساعده أبناء الشيخ محمد وجراح. ولكن جميع محاولاته باءت بالفشل فأخذ يوغر صدر الدولة العثمانية التركية على الشيخ مبارك. وفي هذا الوقت كان التزاحم الدولي على الخليج العربي كبيراً وكان السلطان (عبد الحميد) سلطان الدولة العثمانية التركية يراقب هذا الصراع بعين حذرة وكان والي البصرة كثير الاهتمام بما يقع في الخليج ويقدم إلى السلطان التقارير.

استغل السلطان تقرب (ألمانيا) منه وعمل في تحقيق مشروع مد خطوط السكك الحديدية مخترقة أجزاء جزيرة العرب وهدفها تغذية حركة المواصلات بين أجزاء الإمبراطورية العثمانية وتم إنشاء هذا الخط من إستنبول إلى حلب.

وقام قيصر ألمانيا (غليوم الثاني) بزيارة لتركيا وبعد سنة من هذه الزيارة تم توقيع الاتفاقية بين (ألمانيا وتركيا) على إنشاء خط بغداد الحديدي على أن يربط هذا الخط خط (الاناضول) ببغداد ماراً عبر الجزيرة العربية إلى الخليج العربي ومنتهياً في الكويت.

وكانت بريطانيا قد استولت على أعظم طريق بحري هي (قناة السويس) وأصبح بإمكانها لم شعث أجزاء ممتلكاتها بعضاً إلى بعض. ثم انصرفت للعمل في السيطرة على أعظم طريق بري تكون مصر جسره فتعبر عليه إلى داخل فلسطين وبلاد العرب حتى الخليج العربي.

وكانت (فرنسا) الدولة الأولى المزاحمة لها ثم (ألمانيا وروسيا) التي أخذت توسع مناطق نفوذها في إيران ووضعت مخططاً لمد خط حديدي من الكويت عبر البلاد العربية إلى البحر المتوسط. وحيال ذلك قرر الانكليز الاستيلاء على الكويت بعد أن استولى على مدخل الخليج العربي وجزر البحرين ليصبح الخليج مقفلاً ويسهل الدفاع عنه. هذا وقد راحت دسائس الشيخ يوسف بن عبد الله آل إبراهيم تفعل أفاعيلها في التحريض على الشيخ مبارك الصباح شيخ الكويت. فذهب إلى قطر حيث الشيخ (جاسم بن محمد آل ثاني) حاكم قطر واحد الأعداء الألداء للشيخ مبارك يستنجده ويستغيث به فى نصرته وشد أزره. ويقال أن الشيخ جاسم آل ثاني اوعز إلى يوسف لإبراهيم بالالتجاء إلى ابن رشيد وكان ابن رشيد يرغب في الاستيلاء على الكويت ولكنه يخشى غضب الاتراك عليه فراح ابن رشيد يشن الغارات على الكويت تمهيداً للاستيلاء عليها (ومن هنا بدأت العداوة بين الصباح والرشيد). ولما علم الشيخ مبارك بالقصد من هذه الغارات وبتلك المؤامرات التي تحاك حوله أرسل رسله إلى العراق مستنجداً بالدولة العثمانية ولكن يوسف الإبراهيم اقنع والي (البصرة) بوجوب محاربة مبارك. وأرسل الوالي إلى (الزبير) حملة مؤلفة من أربعة طوابير لمحاربة الشيخ مبارك ولكنها لم تصل إلى الكويت.

وفي هذا الأثناء تحالف الإمام (عبد الرحمن الفيصل آل سعود) مع الشيخ مبارك على أن يكونا يداً واحدة على عبد العزيز الرشيد وتحالف أيضاً معهما (سعدون باشا آل سعدون زعيم قبائل المنتفق على مطاردة ابن رشيد الذي وصل في غاراته إلى أطراف العراق. لقد أدرك الشيخ مبارك الصباح أن الخطر يكتنفه من كل ناحية وصوب. فقرر الاستعانة بالانكليز للتخلص من هذا الخطر الذي يداهمه فأرسل رسولاً إلى معتمد (بريطانيا) في أبو شهر يستدعيه لزيارة الكويت وأسفرت هذه الزيارة عن توقيع اتفاقية سرية بين (مبارك الصباح والحكومة البريطانية) تعهد مبارك بموجبها ان لا يتعاقد أو يمنح امتيازاً لدولة أجنبية أخرى ولقاء ذلك تقدم بريطانيا له كل ما يحتاج من مال وسلاح وتتعهد بحمايته من جميع أعدائه وخصومه وكانت هذه الحماية قد تم الاتفاق عليها سنة ١٨٩٩ ميلادية الموافق سنة ١٣١٦ هجرية. وبعد أن علم والي البصرة بتلك الاتفاقية أرسل زورقاً بخارياً مسلحاً إلى الكويت وما أن وصل هذا الزورق إلى مينائها حتى وجد قطع الأسطول البريطاني قد سبقته إليها فعاد إلى البصرة.

لقد هلل السلطان العثماني (عبد الحميد) وكبر ان يستعين الشيخ مبارك الصباح بالانكليز فعمد إلى الاستعانة (بعبد العزيز الرشيد) وأخبره الباب العالي في (إستنبول) بأن الحكومة العثمانية لا تمانع في استيلائه على الكويت وضمها إلى مملكته طالما آل رشيد من اتباع الدولة العثمانية المخلصين .

لقد استقبل الأمير عبد العزيز المتعب الرشيد هذه البادرة بسرور وراح يعد العدة للاستيلاء على الكويت .

حرب الطرفية :

في أوائل سنة ١٣١٨هـ قام الأمير عبد العزيز المتعب آل رشيد يحشد قواته مستعداً للحرب وقد أدرك الشيخ مبارك الصباح أنه أصبح بين أمرين أما الحياة وأما الموت . فأخذ يعمل للاستفادة من العشائر النجدية المناوئه لآل رشيد كما وجد أن الحاجة تدعوه للاستعانة (بآل سعود) فقرر شد أزرهم في استعادة أمارتهم على الرياض، ثم عزم الشيخ مبارك الصباح على مهاجمة الأمير عبد العزيز الرشيد فكتب إلى سعدون باشا آل سعدون يخبره بما عزم عليه ويطلب منه الحضور إليه بمن معه بأسرع ما يمكن .

وكان الأمير عبد العزيز الرشيد قد أرسل (سالم الحمود الرشيد) إلى سعدون باشا يطلب منه البقاء على الحياد إذا ما أعلن الشيخ مبارك الحرب عليه ولكن سعدون باشا أبى وفضل الحرب إلى جانب الشيخ مبارك والإمام عبد الرحمن الفيصل السعود لاتفاق سابق بينهم . هذا بالإضافة لما يكنه سعدون من الحقد على الأمير ابن رشيد بأسباب المعارك السابقة بينهم في (الخميسية وتل جباره) وغيرها سنة ١٣١٧هـ .

لقد لبى سعدون باشا طلب الشيخ مبارك الصباح وسار مع أتباعه قاصداً (الجهرة) للالتحاق بجيوش الشيخ مبارك وقد أرسل الشيخ مبارك إلى القبائل الموالية له يستنهضها للاشتراك معه في الحرب . وبعد أن اجتمعت لدى الشيخ مبارك تلك الجيوش سار يقودها هو بنفسه لمنازلة ابن رشيد ثم وصل (العارض) فحاصرها أيام ثم فتحها بدون قتال . واسند إدارة أمورها إلى الأمير (عبد العزيز آل سعود) واتجه قاصداً مدينة (عنيزة) فحاصرها ثلاثة أيام فصالحة أهلها فأمر باعتقال عامل ابن رشيد واسند الأمر فيها إلى (عبد العزيز العبد الله آل سليم) (سليم لقب يطلق على سليمان بن يحيى بن علي بن عبد الله بن زامل) فأولاد سليمان هم المعروفون بآل سليم.

وبعد أن أحتل الشيخ مبارك الصباح بلدة عنيزة توجه نحو (بريدة) فضيق عليها الحصار لمدة سبعة أيام فسلمت إليه صلحاً فأسند الرئاسة فيها إلى (ناصر بن حسن أبا الخيل) بعد أن سجن عاملها المعين من قبل ابن رشيد. ثم اتجه الشيخ مبارك من بريدة يطلب ابن رشيد فوصل إلى (الطرفية) وهي قرية تبعد عن بريدة خمسة عشر ميلاً. جرى ذلك كله والأمير. عبد العزيز الرشيد لا علم له فيه حيث كان يومئذ مقيماً في محل يدعى (الحسجي) ولما وقف على الأمر، أمر في الحال بجمع الجيوش وتحشيد القبائل، وضرب لهم موعداً للاجتماع في محل يدعى (عين ابن فهيد) وقد أنب وزيره (سبهان العلي) لعدم أخذه الحذر .

اجتمعت في عين ابن فهيد قبائل شمر أفواجاً أفواجاً بين فرسان وركبان وتحشد إليه الأعراب من كل حدب وصوب وبعد ثلاثة أيام اقتاد الأمير عبد العزيز الرشيد تلك الجيوش ونزل شرق الطرفية ثم ارتحل ونزل في محل يدعى (فيلة الاسياع). بالقرب من معسكر الشيخ مبارك وكان يفصل بين المعسكرين (تل من الرمل) ثم أخذ الأمير عبد العزيز الرشيد يحرض جيشه فاندفعت الفرسان والمشاه وتسلقت ذلك التل وحينما أبصرتهم جيوش الشيخ مبارك بادرتهم بإطلاق الرصاص ثم أصدر الشيخ مبارك أمره بالهجوم مرة واحدة فهجموا فاشتبكت الحرب وثار القتال بين الطرفين وكانت بوادر النصر في أول الأمر للشيخ مبارك وبعد أن تلاحم الجيشان ودنى بعضهم من بعض ثم أوقف اطلاق الرصاص واستعملت السيوف والخناجر وكان الأمير عبد العزيز الرشيد يحرض جيشه ويخوض المعركة في نفسه فتراه تارة في الميمنة وطوراً في الميسرة وحيناً في القلب وبقيت الحرب دائرة (الرحا) لمدة خمس ساعات قاتل الفريقان خلالها قتال المستميت كل فريق يأمل كسب المعركة بينما كانت السماء تمطر مدراراً وتحول ماء المطر إلى دم أحمر. وقد انجلت تلك المعركة عن هزيمة (الشيباني) رئيس عشيرة (عتيبة) فتابعه بقية القوم في الانهزام فحدثت البلبلة في جيش الشيخ مبارك تاركين أموالهم وخيامهم وأسلحتهم .

وبقي الأمير عبد العزيز الرشيد مخيماً في الطرفية لمدة سبعة أيام ثم رحل من الطرفية ونزل بريدة. أما الشيخ مبارك فقد فر طالباً النجدة ثم لحق به سعدون باشا آل سعدون ومن معهم من الرؤساء وقصدوا بلدة (الزلفي). وفي صباح اليوم الآخر قصدوا (الصمان) ومن هنا توجه الشيخ مبارك إلى الكويت وتوجه سعدون باشا إلى مقره في (الخميسية) .

أما الإمام عبد الرحمن الفيصل السعود وولده عبد العزيز كانا قد وصلا (الرياض) وضربوا عليها الحصار ثم استولوا عليها ولم يستعص عليهم شيء غير عامل الأمير عبد العزيز الرشيد المدعو (عبد الرحمن بن ضبعان) حيث تحصن في القصر وامتنع عن التسليم. فعزم الأمير عبد العزيز السعود على نسف القصر وفي أثناء ذلك وردت عليه الأخبار باندحار الشيخ مبارك في معركة الطرفية وتمزيق جيشه فاستعجلوا الخروج من الرياض خشية مداهمة الأمير عبد العزيز الرشيد لهم. وكذلك كان الأمر في بلدتي (عنيزة وبريدة) فقد تركها أميراها المعينان من قبل الشيخ مبارك لنفس السبب .

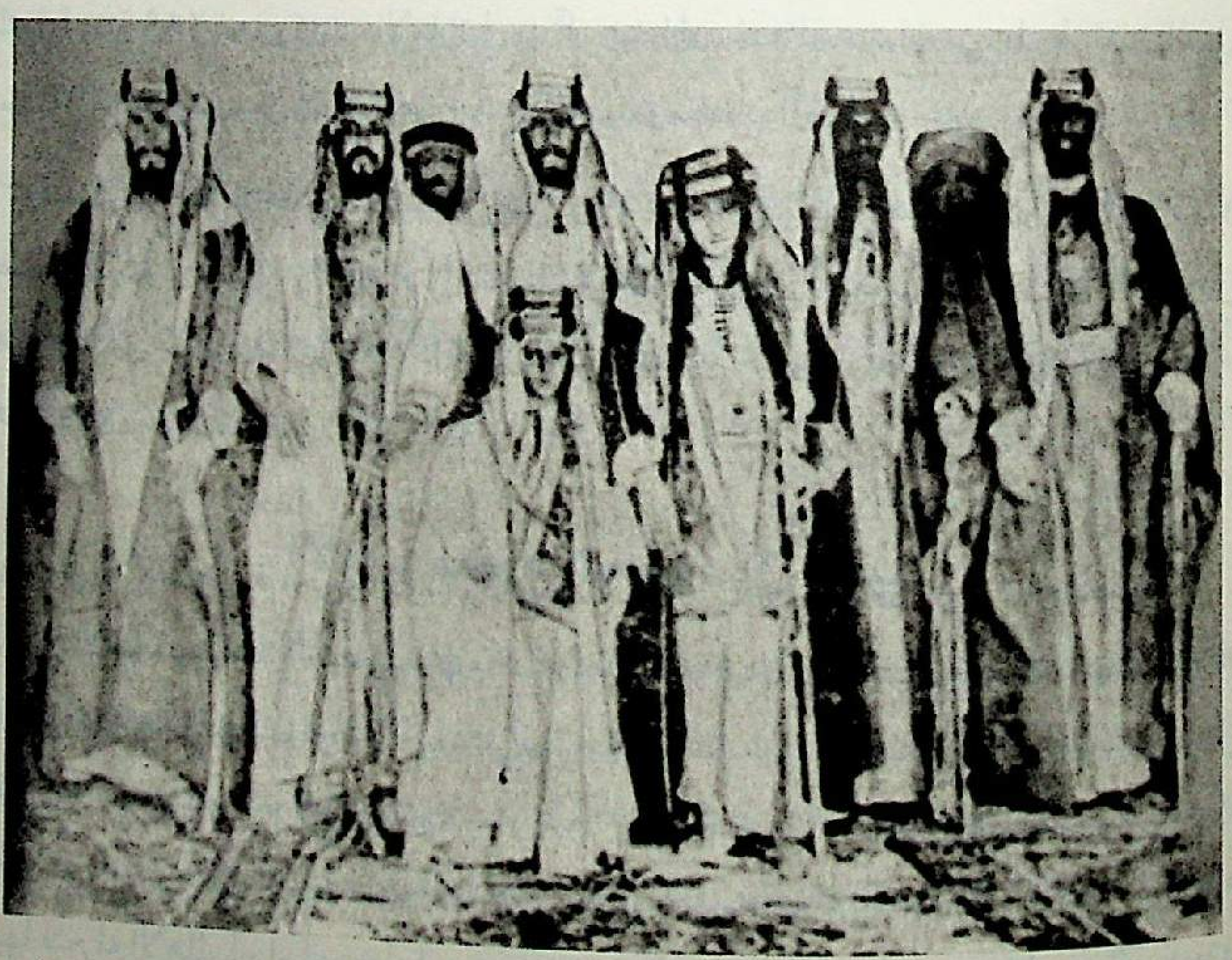
وقد وقعت هذه المعركة في ١٦ شباط سنة ١٩٠١م الموافق ٢٦ ذي القعدة سنة ١٣١٨هـ وتعرف هذه المعركة بمعركة (الطرفية) نسبة إلى قرية الطرفية التي نزل فيها الشيخ مبارك الصباح كما تسمى معركة (الصريف) نسبة إلى آبار ماء في القصيم نزل عليها الأمير عبد العزيز الرشيد وبينهما كانت تلك المعركة الهائلة .

ثم أن الأمير عبد العزيز المتعب الرشيد زحف بقواته نحو الكويت مرةً واحدة وأقترب منها وكانت أسوارها مهدمة بسبب الإهمال وأصبح الشيخ مبارك الصباح لا يملك جيشاً للدفاع عنها. ولكن ابن رشيد عاد وتقهقر عن أبواب الكويت ذلك لأن الانكليز قد وقفوا في طريقه فارسلوا طرداً بحرياً نحو ميناء الكويت ينشر الذعر والويل ونصح الانكليز ابن رشيد بالإقلاع عن المدينة وإلا مزقوا جيشه شر ممزق بنيران مدافع الطرد الثقيلة . وأراد ابن رشيد أن يحتمي بالباب العالي في إسطنبول ولكن مفاوضات سريعة جرت بينه وبين حكومة (لندن) أرغمت الدولة العثمانية على الرضوخ لمشيئة الانكليز ولم يكتف الأمير عبد العزيز الرشيد بتهديدات (بريطانيا) التي بسطت حمايتها على الكويت بل راح يحشد قوات جديدة زحف بها إلى (الحفر) الماء المعروف بين (القصيم والكويت) وهم بالهجوم على (الجهره) وهي تبعد عن الكويت خمسة عشر كيلو متراً (وهذا أكبر دليل على تهوره وإقدامه على الأمور قبل أن يفكر فيها وفي عواقبها) وعندما رأى الشيخ مبارك الصباح الأخطار تحدق به استنجد بالانكليز في مدينة (أبو شهر) على الشاطئ الفارسي مرةً أخرى فأرسلوا إليه طرداً حربياً ظل مرابطاً في ميناء الكويت عشرين يوماً .

وقد قام قائد الطراد بإنزال كمية من المدافع الرشاشة إلى البر الكويتي وأخذ قائد الطراد يطلق في الفضاء اسهماً نارية تستعملها القوات العسكرية في بعض الأعمال العسكرية كواسطة

للإرشاد ليلاً. فذعرت القبائل والقوات التي ترافق بن رشيد في غزوة وركنوا إلى الفرار إلى أن وصلوا إلى الحفر وشرع ابن رشيد يفاوض الاتراك في بغداد. ولما علم الشيخ مبارك الصباح بتلك المفاوضات أراد أن يشغله عنه بنجد ذاتها وينفذ البرنامج المعد لذلك. وهو الاعتماد على الأمير عبد العزيز السعود وإرساله لأشغال خصمه عنه بمعارك لا تبقي ولا تذر .

وأخيراً جرت وقعة (البكيرية) وفي (روضة مهنا) قتل الأمير عبد العزيز المتعب الرشيد وذلك في ١٨ صفر سنة ١٣٢٤هـ الموافق ١٤ نيسان سنة ١٩٠٦م بعد أن دام حكمه مدة تسع سنوات لم تهدأ البلاد خلالها إلا في السنوات الثلاث الأولى منها. أما السنوات الست الأخيرة فقد كانت الحرب فيها مشتعلة أوارها بينه وبين الشيخ مبارك الصباح في بادئ الأمر ثم تحولت بينه وبين الملك عبد العزيز السعود وبقيت على هذه الحال حتى قتل الأمير عبد العزيز الرشيد في التاريخ المذكور وقد أعقب الأمير عبد العزيز الرشيد أربعة أولاد هم متعب ومحمد ومشعل وسعود فتولى الحكم بعده أكبرهم متعب .



في الوسط الأمير سعود بن عبد العزيز مع اخواله ناصر السبهان، حمود بن سبهان ابن أخي ناصر، إبراهيم بن ناصر السبهان، زامل بن سالم السبهان، عبد الكريم بن سالم السبهان أخو زامل سعود بن صالح السبهان ابن أخي حمود.

الأمير متعب بن عبد العزيز آل رشيد

بعد مقتل الأمير عبد العزيز المتعب الرشيد تولى الحكم ابنه متعب باتفاق شمر وأهل حائل وموافقتهم به أميراً عليهم . وكان متعب عاقلاً حازماً مدبراً اشتهر بالكرم والحكم غير أن حكمه لم يدم أكثر من عشرة أشهر حيث قام كل من (فيصل وسلطان وسعود) أبناء حمود العبيد الرشيد بقتل الأمير متعب وذلك في ٢١ ذي القعدة سنة ١٣٢٤هـ الموافق سنة ١٩١٧هـ كما قتلوا معه أخواه (مشعل ومحمد) أما أخوهم الرابع (سعود) فقد فر به خواله (آل سبهان) إلى المدينة المنورة خشية أن يناله سوء وهنا تحولت الإمارة من آل عبد الله إلى آل عبيد .

الأمير سلطان الحمود آل رشيد

تولى الإمارة سلطان بن حمود العبيد الرشيد وقد ساهم مع سلطان المذكور أخواه فيصل وسعود على قتل متعب وأخواه مشعل ومحمد. وسلطان هو من سلالة عبيد العلي الرشيد المتوفي سنة ١٢٨٩هـ وكانت الإمارة في يد آل عبد الله، سلالة عبد الله بن علي الرشيد المتوفي سنة ١٢٦٣هـ ولم يسبق أن تولاها أحد من العبيد وسلطان أول أمير منهم .

وقد كرهه أهل (حائل) لما أتاه من قتل أولاد عبد العزيز الذين هم أحق منه بالإمارة وذو إصالة فيها . وفي سنة ١٣٢٦هـ قتل سلطان وقاتله هو أخوه (سعود) فقد بادر إلى خنقه بحبل أعده لهذا الغرض ودفنه في حفرة داخل القصر . وقد دام حكمه أربعة عشر شهراً وتولى الحكم بعده أخوه سعود قاتله . . .

الأمير سعود الحمود آل رشيد

تولي الإمارة بعد قتله لأخيه سلطان وكان جاهلاً يسير في الأمور كيفما يوحي إليه جهله ومع أنه لم يسيء إلى أحد فقد كان غير مقبول عند أهل حائل وعند شمر لسبب قدمناه وعندما رأى أهل حائل سوء تدبيره وعدم اقبال عشيرة شمر إليه أخذوا يكاتبون (سعود بن عبد العزيز الرشيد). الذي فر به أخواله إلى المدينة المنورة يستجلبونه إليهم ويستدعونه بالقدوم إلى حائل وحينما قدم إليها فتح له الأهالي أبوابها ودخلها سعود بن عبد العزيز المتعب أما سعود الحمود العبيد فقد تحصن بالقصر المعروف (برزان) ويقع في وسط البلدة وبعد ست ساعات سلم من في القصر

كما قتل سعود بعد أن دام حكمه قرابة ستة شهور . ونودي (بسعود العبد العزيز المتعب) أميراً وهنا عادت الإمارة إلى آل عبد الله وكان ذلك سنة ١٣٢٧هـ الموافق ١٩٠٩م .

أما فيصل بن حمود العبيد الرشيد أخو سلطان وسعود والذي ساهم معهم في قتل متعب وأخوته فكان أخوه سلطان قد عينه أميراً على (الجوف) يقصد من هذا التعيين إبعاده عن السلطة. لقد خشي فيصل على نفسه بعد مصرع أخيه سعود والقي بنفسه بين يدي الملك عبد العزيز السعود في الرياض وبقي فيها مكرماً معززاً إلى أن توفي سنة ١٩٤٢م .

الأمير سعود بن عبد العزيز بن متعب آل رشيد

في ١٦ شعبان سنة ١٣٢٧هـ تولى الإمارة سعود وهو سعود بن عبد العزيز بن متعب بن عبد الله الرشيد مؤسس إمارة الرشيد سنة ١٢٤٩ هـ .

قتل فيصل وسلطان وسعود أبناء حمود العبيد الرشيد أخوته متعب ومشعل ومحمد سنة ١٣٢٤ هـ وهرب به اخواله السبهان إلى المدينة المنورة وكانا ساعداه القويان أخواله (حمود السبهان) و(زامل السبهان) وعندما تم له الأمر غزا غزوات انتصر فيها وكانا (آل سعود وآل رشيد) قد استأنفا القتال مجدداً ومن أشهر تلك الغزوات التي انتصر فيها (وقعة جراب) سنة ١٣٣٣هـ الموافق سنة ١٩١٥م . لقد كان الأمير سعود الرشيد صغير السن غير مدبر وإنما التدابير بيد أخواله السبهان. وبعد سنة من استيلائه على الحكم توفي خاله حمود السبهان وبقي خاله الأخر (زامل السبهان) ثم حصل شقاق بين (زامل السبهان وسعود الصالح السبهان) كان من ذلك أن قتل سعود زامل .

هذا وبعد وفاة حمود السبهان وقتل زامل السبهان لم يبق للأمير سعود وكيلاً على الإمارة إلا أنه كان يستعين ببعض أعوانه. وقد قوي نفوذ سعود بن صالح السبهان قاتل زامل إلى درجة جعلته يفكر في قتل سعود الأمير ويستولي على الإمارة إلا أن مؤامرته انكشفت وفر إلى العراق. وفي سنة ١٣٣٩ هـ قتل الأمير سعود بن عبد العزيز الرشيد بيد ابن عمه (عبد الله بن طلال بن نايف) وقد قتل القاتل بنفس الساعة على يد عبيد الأمير القتيل .

الأمير عبد الله المتعب آل رشيد

بعد مصرع الأمير سعود الرشيد وقتل قاتله عبد الله بن طلال النايف الرشيد تولى الحكم ابن أخيه عبد الله المتعب الرشيد. جلس هذا الأمير على عرش الإمارة ويده عل قلبه والثانية على عنقه خوفاً أن يقتله أحد أقاربه أسوة بمن قتل قبله من أفراد أسرة الرشيد. ومن بين الذين يخشاهم الأمير عبد الله المتعب (محمد الطلال الرشيد) أخو عبد الله قاتل عمه سعود . فسلم الأمير عبد الله المتعب نفسه إلى ابن سعود سنة ١٣٣٩هـ بعد أن أعطاه الملك عبد العزيز الأمان التام وانتقل إلى الرياض وبقي فيها إلى أن توفي سنة ١٩٤٦ تقريباً .

الأمير محمد الطلال آل رشيد

تولى الأمير محمد بن طلال الرشيد الإمارة مكان عبد الله المتعب الذي سلم نفسه (لآل سعود) خوفاً من أبناء عمومته. ثم أن الملك عبد العزيز آل سعود حاصر حائل مدة خمسة وخمسين يوماً أي من (٤ محرم) إلى (٢٩ صفر) سنة ١٣٤٠هـ الموافق (٢) تشرين الثاني سنة ١٩٢١م وبعد هذا الحصار سلمت حائل إلى ابن سعود وعين (إبراهيم السبهان) أميراً عليها وهكذا اختتم تاريخ آل رشيد وشمر وعاصمتهم حائل .

الإمام عبد الرحمن الفيصل آل سعود

ولد الإمام عبد الرحمن في الرياض عاصمة والده الإمام فيصل، وهو عبد الرحمن بن فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان بن إبراهيم بن موسى بن ربيعه بن مانع المريدي. وأخوته هم عبد الله وسعود ومحمد أبناء الإمام فيصل بن تركي .

بعد وفاة والده الإمام فيصل بن تركي سنة ١٢٨٢هـ تولى الأمر أخوه الأكبر الإمام عبد الله المتوفي سنة ١٣٠٧هـ وفي سنة ١٢٨٣هـ بدأت الحرب الأهلية بين أبناء الإمام فيصل وهي الحرب التي استمرت أكثر من خمس وعشرين سنة افل نجم آل سعود على أثرها وسطع نجم آل رشيد وزعيمهم الأمير محمد العبد الله آل رشيد الذي بسط نفوذه على نجد . وقد أراد الإمام عبد الرحمن الفيصل القضاء على نفوذ الرشيد ولكن لم يكن النجاح حليفاً له فيما أراد. وقد

تحالف الإمام عبد الرحمن مع أهل القصيم لضرب ابن رشيد الضربة القاضية (كما اسلفنا) . ولكن الأمير محمد الرشيد كان على علم بما يحاك ضده فجمع الجموع وسار بها نحو القصيم وهناك وفي سنة ١٣٠٨هـ دارت معركة المليدة الشهيرة وقد أسفرت هذه المعركة عن اندحار قوات الإمام عبد الرحمن وأهل القصيم وبعدها أصبح الأمير محمد العبد الله آل رشيد السيد المطاع على نجد كلها لا ينازعه منازع .

أما الإمام عبد الرحمن فقد انتهى به الأمر أن ينتقل هو وعائلته ويسكن الكويت وذلك سنة ١٣٠٩هـ على عهد حاكمها الشيخ محمد الصباح .

لقد عانى الإمام عبد الرحمن وولده عبد العزيز وأخوه محمد وأبن أخيه جلوي ومن معهم من آل سعود الأمرين . وحاول السلطان (عبد الحميد) سلطان الدولة العثمانية التركية كسب مودة الإمام عبد الرحمن الفيصل وأسفرت هذه الرغبة (السلطانية) عن تخصيص مبلغ وقدره (ستين ليرة) ذهبية تدفع للأمام شهرياً .

وفي مدة وجود عبد الرحمن آل سعود مقيماً في الكويت قتل الشيخ مبارك الصباح أخويه محمد وجراح وذلك في أواخر سنة ١٣١٣هـ. ثم ان الشيخ مبارك لاقى من المشاكل والصعاب الشيء الكثير وأدرك أن الخطر يكتنفه من كل ناحية ومن بين ذلك هجمات الأمير عبد العزيز المتعب الرشيد المتكررة محاولاً الاستيلاء على الكويت الأمر الذي جعل الشيخ مبارك يجمع الجموع ويعد العدة لمحاربة ابن رشيد. ووجد أن الحاجة تدعوه أن يستعين بالإمام عبد الرحمن آل سعود نزيل الكويت هذا وقد خرج من الكويت الإمام عبد الرحمن وابنه عبد العزيز ومن كان معه من آل سعود وبعض أهل نجد المقيمون في الكويت سار الجميع مع جيش الشيخ مبارك وتحت أمرته (كما ذكرنا ذلك في تفاصيل وقعة الطرفية) الشهيرة التي جرت سنة ١٣١٨هـ - ١٩٠١م وقد احتل الإمام عبد الرحمن الرياض ثم وردت إليه الأنباء تفيد عن هزيمة الشيخ مبارك في (الطرفية) الأمر الذي جعله يترك الرياض خوفاً من مداهمة الأمير عبد العزيز الرشيد وأخيراً تمكن جلالة المغفور له الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن من احتلال الرياض. وانتقل الإمام عبد الرحمن من الكويت عائداً إلى الرياض وكان قد تركها وعاد إلى الكويت بعد هزيمة الشيخ مبارك في الطرفية .

بعد أن خرج جلالة الملك عبد العزيز من الكويت وأحتل الرياض تلقى الإمام عبد الرحمن النبأ بسرور عظيم ثم وصلته رسل أبنه جلالة الملك عبد العزيز يدعوه بالعودة إلى الرياض

فلما ودع صاحب الكويت الشيخ مبارك الصباح وغادره ودياره عائداً إلى عاصمة بلاده فسلك سبيلاً غير مطروق خشية أن يعلم به ابن رشيد وهو الذي لا يزال مسيطراً على البلاد باستثناء الرياض فأخترق الإمام عبر الإحساء وخرج ابنه عبد العزيز لاستقباله على رأس (٥٠٠) فارس متوغلاً بهم حتى (الدهنا) المنطقة الرملية الصعبة بين نجد والإحساء .

ثم تقدم الملك عبد العزيز إلى والده مقدماً له الطاعة والخضوع بصفته إماماً وأميراً على البلاد واستأنف الجميع من عناء السفر بضعة أيام وشرعت وفود (العاصمة) تصل إليه بكثرة للسلام عليه . ثم دعا زعماء العاصمة وشيوخها وعلماءها إلى اجتماع عقد في (المسجد الكبير) في الرياض بعد صلاة الجمعة وأعلن أمامهم تنازله عن جميع حقوقه في الإمارة إلى ولي عهده الأمير عبد العزيز. فألقى الأمير عبد العزيز خطبة بليغة أكد فيها أنه سيكون المناضل القوي في سبيل عقيدة (التوحيد) وبايعه الجميع أميراً على نجد وإماماً لأهلها. وقدم الإمام عبد الرحمن إلى ولده عبد العزيز (سيف سعود الكبير) دلالة على صحة هذه البيعة وهذا السيف تتوارثه الأسرة منذ عهد سعود بن عبد العزيز (الملقب الكبير) وتخلى الإمام عبد الرحمن لولده عبد العزيز عن قصر آل سعود لسكناه وأختار لنفسه منزل (عجلان) ممثل ابن رشيد السابق، وهو منزل رحب بسيط المظهر له رواق مبرد من وهج الحرارة وجدرانه مزدانة بالنقوش العربية الزاهية وانقطع إلى عزلته في هذا المنزل . فلا يخرج إلا في أيام الجمعة للصلاة في المسجد وفي أواخر سنة ١٩٢٨م توفي الإمام عبد الرحمن رحمه الله .

جلالة المغفور له الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود

ولد جلالة الملك عبد العزيز العبد الرحمن آل سعود في قصر أبيه في الرياض ما بين صلاتي العشاء والفجر ليلة التاسع والعشرين من شهر ذي الحجة سنة ١٢٩٧ هـ الموافق الثاني من شهر كانون الأول سنة ١٨٨٠م وكان والده عبد الرحمن غائباً عن الرياض ووصله نبأ الولادة في بلدة (ضرما) ووالدته هي المرحومة (سارة بنت أحمد السديري) من بلدة (الغاط) في سدير.

وعندما بلغ السابعة من عمره عهد به والده إلى الشيخ (عبد الله الخرجي) لتعليمه القرآن الكريم فختمه في الحادية عشرة من عمره ثم تلقى أصول الفقه (والتوحيد) على يد الشيخ (عبد الله بن عبد اللطيف).

وكان الملك عبد العزيز يرافق والده الإمام عبد الرحمن في أكثر أوقاته ويحضر مجالسه فتعلم كثيراً من أحوال العرب وألم بتاريخهم. ولقد رأى عبد العزيز عمومته يتنازعون الملك ويتحاربون في سبيله ورأى كيف استغل الرشيد هذا الخلاف وشاهد والده عبد الرحمن كيف كان يستبسل من أجل استرجاع ملك آل سعود ولكنه يخفق في جهاده. وفي سنة ١٣٠٩هـ انتقل والده الإمام عبد الرحمن إلى الكويت وسكن فيها على عهد حاكمها الشيخ محمد الصباح.

وفي سنة ١٣١٣هـ قتل الشيخ مبارك الصباح أخويه محمد وجراح وبعد هذا الحادث تغيرت الأمور في الكويت وأخذت المشاكل والأخطار تكتنف الشيخ مبارك من كل جهة وصوب. ومن بينها غارات الأمير عبد العزيز المتعب الرشيد (أمير حائل) المتكررة على الكويت، الأمر الذي جعل الشيخ مبارك الصباح يعد العدة ويجمع الجموع لمحاربة ابن رشيد. ووجد الشيخ مبارك الحاجة تدعوه للاستعانة بآل سعود. وفي هذه الأثناء تحالف الشيخ مبارك الصباح مع الإمام عبد الرحمن الفيصل آل سعود على أن يكونا يداً واحدة لمحاربة الأمير عبد العزيز الرشيد. وقد خرج من الكويت الشيخ مبارك الصباح وعبد الرحمن السعود ومعهما سعدون باشا السعدون رئيس قبائل المنتفق وتوجه الجميع إلى نجد لمحاربة ابن رشيد. (كما جاء في تفاصيل حرب الطرفية) .

وقد وصل الأمير عبد العزيز آل سعود مع والده الإمام عبد الرحمن إلى الرياض واستولوا عليها . ولم يستعص عليهم شيء غير (عبد الرحمن بن ضبعان) أمير الرياض من قبل ابن رشيد وقدم عزم الأمير عبد العزيز آل سعود على نسف القصر الذي تحصن فيه ابن ضبعان ولكن الأخبار وردت تفيد باندحار الشيخ مبارك في (الطرفية) فأستعجل الأمير عبد العزيز آل سعود بالخروج من الرياض خشية مداهمة الأمير ابن رشيد فخرج منها عائداً إلى الكويت .

وأخيراً أراد الشيخ مبارك آل صباح حاكم الكويت أن يشغل ابن رشيد في نجد ذاتها لسبب غاراته المتكررة على الكويت لقصد الاستيلاء عليها وكذلك أخذ ثار الهزيمة التي مني بها الشيخ مبارك في الطرفية. فنفذ برنامج قد أعده لذلك وهو الاعتماد على الأمير عبد العزيز آل سعود فشد أزره في استعادة إمارة آل سعود على الرياض وكان قصد الشيخ مبارك أشغال خصمه ابن رشيد في نجد ذاتها .

خروج الأمير عبد العزيز آل سعود من الكويت واستيلائه على الرياض

في منتصف عام ١٣١٩هـ وأواخر عام ١٩٠١م خرج الأمير عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود من الكويت ومعه أربعون رجلاً من بينهم شقيقه الأمير محمد وابن عمه الأمير عبد الله بن جلوي. وفي اليوم الخامس من شهر شوال سنة ١٣١٩هـ الموافق لليوم الخامس عشر من شهر كنون الثاني سنة ١٩٠٢م استولى الأمير عبد العزيز على الرياض وأعلن نفسه أميراً عليها بعد أن قتل (عجلان بن محمد) أمير الرياض من قبل ابن رشيد في قصره المسمى (المصمك) ولا يزال هذا القصر باقياً في الرياض حتى يومنا هذا.

الاستيلاء على القصيم:[1]

وبعد أن تمكن الأمير عبد العزيز في الرياض راح ينتزع المدن النجدية الأخرى من قبضة الرشيد الواحدة تلو الأخرى. ومن الزلفي كتب الأمير عبد العزيز إلى الشيخ مبارك الصباح بإرسال من عنده من أهل القصيم مثل (آل ابي الخيل وآل سليم) وإرسال نجدة لإسعافه فنفذ الشيخ مبارك طلبه بإرسال أولئك النجديين الذين ألتجأوا إلى الكويت بعد وقعة المليدة يرافقهم مائتي شخص.

وفي يوم الخميس من شهر محرم سنة ١٣٢٢هـ استولى الأمير عبد العزيز على عنيزة ثم توجه قاصداً بريدة فأستولى عليها وتم له الاستيلاء على القصيم بأجمعه، وذلك في الخامس عشر من شهر ربيع الأول سنة ١٣٢٢هـ الموافق سنة ١٩٠٤م.

معركة البكيرية:

قرر السلطان (عبد الحميد) سلطان الاتراك اسعاف الأمير عبد العزيز الرشيد عسكرياً، وذلك بناءً على طلب الأمير ابن رشيد وتحركت من العراق حملة عثمانية مؤلفة من ثمانية أفواج

(١) يقع القصيم في منتصف الطرق بين حائل والرياض والقصيم نقطة التقاء قوافل التجار بين العراق ولا سيما البصرة وبين مكة المكرمة والمدينة المنورة ومنها إلى سواحل البحر الأحمر وللقصيم موقع جغرافي ممتاز والأمطار فيه غزيرة وتربته خصبة ويضم القصيم عدداً كبيراً من القرى الكبيرة والصغيرة والمدينتان البارزتان هما بريدة وعنيزة الواقعتان على طريق القوافل ويعتبر القصيم من أغنى المناطق في شبه الجزيرة العربية.

وبطاريتين من مدافع (الميدان) يقودها (أحمد فيضي باشا)، وفي الليلة الأولى من شهر ربيع الثاني سنة ١٣٢٢هـ أصدمت الجيوش مع بعضها صدمة هائلة وألتحم الفريقان وتجالدا وكانت خسائر الفريقين جسيمة فقد قتل من الجيش السعودي حوالي تسعمائة رجل بينهم ستمائة وخمسون من أهل الرياض وقتل من الجيش العثماني نحو ألف شخص بينهم أربعة من كبار الضباط. أما خسائر الأمير عبد العزيز الرشيد فتقدر بحوالي ثلثمائة شخص بينهم ماجد بن حمود الرشيد وعبد العزيز بن جبر الرشيد.

وكان في الحملة العثمانية عدد من الجنود (السوريين[1] والعراقيين) وفي هذه المعركة أصيب الأمير عبد العزيز آل سعود في يده اليسرى كما أصيب في ركبته واحدثت فيها جرحاً بليغاً، وركنت قواته للفرار إلى داخل نجد وبعدها رجع الأمير عبد العزيز آل سعود بقوة هائلة إلى القصيم وقد قدرت هذه القوة باثني عشر ألف مقاتل. هذا وقد كانت الحرب سجالاً بين الطرفين والجيوش العثمانية بجانب ابن رشيد وقد أسفرت هذه المعارك المتواصلة في القصيم عن انهزام الاتراك فاضطر ابن رشيد إلى الهرب وهكذا اختتمت معركة (البكيرية[2]) الشهيرة لصالح الأمير عبد العزيز آل سعود وكانت في اليوم الثامن عشر من شهر رجب سنة ١٣٢٢هـ الموافق لليوم التاسع والعشرين من شهر أيلول سنة ١٩٠٤م.

وعلى أثر الوقعة تغنى شاعر العراق (معروف الرصافي) وأنشد قصيدةً عنوانها (إيقاظ الرقود) وهذه مقتطفات منها:

إلى كم أنت تهتف بالنشيد ... وقد أعياك إيقاظ الرقود
فلست وأن شددت عرى القصيد ... بمجد في نشيدك أو مفيد
لآن القوم في غي بعيد

ومنها:

حكومة شعبنا جارت وصارت ... علينا تستبدُ بما أشارت
فلا أحداً دعته ولا استشارات ... وكل حكومة ظلمت وجارت
فبشرها بتمزيق الحدود

(١) وهنا تفشى وباء الكوليرا في بلدة الخبرا وفتك بسكانها فتكاً ذريعاً ولم يكن معروفاً لديهم قبل هذا التاريخ.

(٢) من المعلوم ان وادي الرمه هو أطول الوديان في البلاد العربية خترق القصيم ويقسمه إلى قسمين بين عنيزة وبريدة وبين بريدة والرس عدد من المدن والقرى منها بلدة البكيرية وقد دارت الحرب في أراضيها واطلق على هذه المعركة معركة البكيرية نسبة الى البلدة المذكورة.

ومنها:

لقد غص القصيم بكل نذلٍ   وأمسى من تخاصمهم بشغل
فريقا خُطتي غي وجهل   كلا الخصمين ليس له بأهل
ولكن من التنكيل المزيد
إليهم أرسلت بغدادُ جنداً   ليهلك فيه من عبث ويُفدى
لقصد ابن الرشيد أضاع قصداً   فلا يا بن الرشيدِ بلغتَ رُشدا
ولا بلغ السعود ابن السعودِ

ومنها:

عساكر قد قضوا عُرياً وجُوعاً   بحيثُ الأرضُ تبتلع الجمُوعا
إلى أن صار أغناهم رُبُوعَا   يفرط الجُوع مرتضياً قَنُوعا
بقدِ لو أصاب من الجلود
هناك قضوا أو ما فتحوا بلادا   هناك بأسرهم نَفِدُوا نَفَادَا
هناك بحيرةٍ عدموا الرشادا   هناك لروعِهم فقدُوا الرُقادَا
هناك عَروا هناكَ من البرُود

وإلى أخر تلك القصيدة البالغة أبياتها تسعة وتسعون بيتاً (ديوان الرصافي ص ١١٦) .

وقعة روضة مهنا:

وبعد وقعة البكيرية جرت وقعة روضة مهنا سنة ١٣٢٤هـ-١٩٠٦م وفيها قتل الأمير عبد العزيز المتعب الرشيد.

الاستيلاء على الإحساء:

وفي اليوم الخامس من شهر جمادى الأولى سنة ١٣٣١هـ-الموافق الثالث من شهر نيسان سنة ١٩١٣م استولى الأمير عبد العزيز آل سعود على الإحساء وكان الأتراك قد استولوا عليه سنة ١٢٨٨هـ.

عقد مؤتمر في الرياض:

في صيف سنة ١٣٣٩هـ-١٩٢١م عقد مؤتمر في الرياض حضره الأمراء والعلماء والرؤساء وبعد البحث في حاضر ومستقبل الديار النجدية وشكل الحكم فيها تقرر بالإجماع أن يكون لقب الأمير عبد العزيز العبد الرحمن الفيصل آل سعود (سلطان نجد) على أن يكون هذا اللقب لمن يخلفه في الملك بعده .

اعتراف بريطانيا باللقب الجديد:

وفي السابع والعشرين من شهر ذي الحجة سنة ١٣٣٩هـ-الموافق الثاني والعشرين من شهر آب سنة ١٩٢١م اعترفت (بريطانيا) بعظمة السلطان عبد العزيز آل سعود سلطاناً شرعياً على أن يشمل هذا اللقب ذريته من بعده .

الاستيلاء على حائل:

وفي اليوم التاسع والعشرين من شهر صفر سنة ١٣٤٠هـ-الموافق اليوم الثاني من شهر تشرين الثاني سنة ١٩٢١م استولى السلطان عبد العزيز آل سعود على حائل عاصمة امارة آل رشيد بعد حصار دام خمسة وخمسين يوماً .

الاستيلاء على عسير:

في شهر شعبان سنة ١٣٣٨هـ-مارس ١٩٢٠م تحرك الأمير (عبد العزيز بن مساعد) أمير المنطقة الشمالية في الوقت الحاضر نحو عسير وذلك بأمر من السلطان عبد العزيز وفي شهر رمضان من تلك السنة وصل إلى (أبها) فتحرك ابن عائض أمير منطقة عسير بقواته ودارت معركة حامية بين الطرفين أسفرت عن هزيمة ابن عائض ودخل الأمير عبد العزيز بن مساعد أبها .

ثم ان حسن بن علي بن عائض أنس في نفسه القوة فزحف بعدد من قومه نحو أبها (العاصمة) فحاصرها عشرة أيام وأرغم أميرها على التسليم وأسره في (خميس مشيط) .

الأمير فيصل يسترد عسير من ابن عائض:

وفي شهر رمضان سنة ١٣٤٠هـ الموافق حزيران سنة ١٩٢٢م اسند السلطان عبد العزيز آل سعود قيادة الحملة إلى عسير إلى نجله الثاني سمو الأمير فيصل (جلالة الملك فيصل اليوم) وقد قاد سموه الجيوش لمحاربة حسن بن عائض وعندما علم أبن عائض بقدوم الأمير فيصل وكان مع قواته في (خميس مشيط) تقهقر إلى (حجلة) فلحق به الفرسان فتراجع وجنوده إلى أبها. فداهمها الأمير فيصل بقواته ثم أحتلها بعد معركة دامت ست ساعات وفي الحادي والعشرين من شهر جمادى الأولى سنة ١٣٤١هـ الموافق اليوم الثامن من شهر كانون الثاني سنة ١٩٢٣م عاد الأمير فيصل إلى الرياض بعد أن عين سموه ابن عفيصان أميراً على أبها.



حضرة صاحب الجلالة المغفور له الملك عبد العزيز عبد الرحمن الفيصل آل سعود



حضرة صاحب الجلالة الملك حسين بن علي (ملك الحجاز)

بين الشريف حسين بن علي والانكليز:

في شهر تشرين الثاني سنة ١٩١٤م تلقى شريف (مكة المكرمة) الحسين بن علي رسالتين تعلمانه بدخول تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا والنمسا. وكانت الأولى من السلطان العثماني (محمد رشاد) تتضمن إعلان (الجهاد المقدس) دعوة المسلمين في العالم الإسلامي إلى الدفاع والنضال المشترك للدفاع عن الإسلام ورد عادية المعتدين، وبدعوة الشريف (حسين بن علي) خاصة بصفته حامي الحرمين المقدسين إلى إعلان هذا الجهاد المقدس.

وكانت الرسالة الثانية من قائد الجيش العثماني الرابع والحاكم العام لسوريا ولبنان وفلسطين (الفريق الأول جمال باشا).

وفيها يدعو الشريف حسين بن علي إلى إرسال (الراية النبوية) من المدينة المنورة إلى دمشق. وتجنيد المجاهدين من قبائل الحجاز مساهمة منه بهذه الحرب المقدسة. وقد أراد الانكليز أن يقفوا على حقيقة موقف الشريف حسين من هذه الحرب فكتب وزير الدفاع الانكليزي (اللورد كتشنر) رسالة وجهها إلى الملك حسين يسأله عن موقفه في حالة اشتراك تركيا بالحرب ضد الحلفاء وأرفق السؤال بوعد (بريطاني) يتضمن مؤازرة العرب في نيل حريتهم واستقلالهم متى وقفوا بجانب الحلفاء في هذا الصراع العالمي، كما يتضمن الوعد اعتراف بريطانيا) في حالة انتخاب الشريف حسين بن عل (خليفة للمسلمين). وحمايته ضد كل اعتداء مساعدةً منها له باعتباره صاحب الملك والعرش.

أعد الشريف الحسين بن علي جوابه السري وأرسله إلى اللورد كتشنر عن طريق (القاهرة) سراً معلناً رغبته في التحالف مع (بريطانيا). وقد ظل الشريف حسين بن علي بعد اتفاقه مع الانكليز يعد العدة سراً لإعلان (الثورة) ضد الاتراك وقد كتب إلى معتمد بريطانيا في مصر رسالة يعلمه فيها بذلك. وفي ٦ جمادى الأولى سنة ١٣٣٤هـ الموافق ١٠ آذار سنة ١٩١٦م تبودلت الرسائل بين الشريف حسين والسر (هنري مكماهون) معتمد بريطانيا في مصر.

وفيها وعد الانكليز بإنشاء دولة عربية مستقلة والاعتراف (بالحسين بن علي) شريف مكة المكرمة خليفة للمسلمين عندما ينادي به المسلمون لهذا المنصب الديني الرفيع.

إعلان الشريف[1] الثورة ضد الأتراك:

وفي اليوم التاسع من شهر شعبان سنة ١٣٣٤هـ الموافق لليوم الثامن عشر من شهر حزيران سنة ١٩١٦م أعلن شريف مكة الحسين بن علي الثورة على الدولة العثمانية.

(١) للشريف حسين بن علي المتوفي سنة ١٩٣١م من الأولاد أربعة أكبرهم الملك علي ملك الحجاز بعد أن تنازل والده له بالملك سنة ١٩٢٤م وقد تنازل الملك علي عن العرش سنة ١٩٢٥م وهو أخر الأشراف الذين تولوا أمر الحجاز زمناً طويلاً. أما ابنه الثاني فهو الأمير عبد الله أمير شرق الأردن ثم صار ملكاً وصار اسم بلاده (المملكة الأردنية الهاشمية). وابنه الثالث هو فيصل توج ملكا على سوريا ولم يدم ملكه أكثر من ثمانية أشهر ثم توج ملكاً على العراق. وابنه الرابع هو زيد وقد توفي قبل سنة تقريباً. وقد كان العراق يعتبر يوم (٩ شعبان) يوم عطلة رسمية تعطل فيها الدوائر الرسمية والشبه الرسمية ويطلق على هذا اليوم يوم (عيد النهضة) تخليداً لذكرى إعلان الحسين ثورة ضد الأتراك وقد الغي هذا العيد بعد أن الغي نظام الحكم الملكي بالعراق، ولا تزال المملكة الأردنية الهاشمية تحتفل فيه.

بين قوات الشريف حسين والحاميات التركية:

لقد فوجئ الأتراك باتفاق الشريف حسين مع الانكليز ضدهم وإعلانه الثورة في الحجاز وأخذت قوات الشريف حسين تتبادل العيارات النارية مع الحاميات التركية إلى أن استسلمت الحامية العثمانية في مكة المكرمة وكذلك استسلمت بقية الحاميات العثمانية في المدن الحجازية الأخرى، كالطائف وغيرها باستثناء (المدينة المنورة) فقد حوصر (الجنرال فخري باشا) فيها ولم يلق السلاح مدة ثلاث سنوات ثم استسلم بسبب الجوع في ١١ ربيع الثاني سنة ١٣٣٧هـ الموافق ١٥ كانون الثاني سنة ١٩١٩م. وفي اليوم الثاني من شهر تشرين الثاني سنة ١٩١٦م (نودي بالحسين[1] ملكاً على الحجاز).

(١) لم يكن الحسين بن علي هو أول من اعلن الثورة على الأتراك بل أن أول أمير عربي أعلن الثورة على الأتراك هو السيد محمد على الإدريسي أمير عسير وشرع يفاوضه في عقد معاهدة بينه وبين الحكومة البريطانية وقد وضع معتمد بريطانيا في عدن الجنرال شو المعاهدة باسم حكومته وصادق عليها (هاردنج) حاكم الهند العام ووقعها عن الجانب الإدريسي السيد (مصطفى) بالنيابة عن محمد علي وذلك في ١٥ جماد الثاني سنة ١٣٣٣هـ الموافق ٣٠ نيسان سنة ١٩١٥م وأعلن الإدريسي بعدها الحرب على الأتراك وكان أول أمير عربي أعلن الثورة ضد الأتراك. وعسير تقع على البحر الأحمر بين الحجاز واليمن وعاصمتها (جيران) وجميع سكان عسير من العرب ولكن الإدريسي نفسه ليس ممن ينتسبون إلى القبائل العربية وليس هو من أصل عربي بل من أصل افريقي. لقد ولد جده الشيخ أحمد بن إدريس صاحب الطريقة الإدريسية في مراكش ثم غادر وطنه إلى طرابلس الغرب وكانت يومئذ بيد السنوسيين فلما حل بينهم رحبوا به وأقبل عليه رجالهم وانضم الكثيرون منهم إلى طريقته ثم انتقل من طرابلس إلى مصر وقصد الصعيد وحل في بلدة تدعى (الزينية) قرب الأقصر فتزوج منها ورزق ولداً دعاه (عبد المتعال) وبعد أن استقر به المقام عدة سنوات في الزينية غادرها قاصداً (دنقلة) في السودان فأخذ ينشر تعاليمه فصار الناس يقبلون عليه وكثر اتباعه وأقام السيد أحمد بن إدريس في دنقلة مدة من الزمن تزوج خلالها بامرأة سودانية فولدت له ولداً ذكراً دعاه علياً ثم سافر إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج في سنة ١٢٤٦هـ وكان موضع حفاوة علماء الدين في مكة. وكانت بين حجاج ذلك العام طائفة كبيرة من مشايخ عسير وتهامة فأعجبوا به وكانت الفوضى سائدة في عسير وأطرافها فألحوا عليه بزيارة بلادهم فقبل رجاءهم ومضى معهم وبحسن سياسته وعدله وتقواه تمكن من فض المشاكل التي كانت ضاربة أطنابها بين قبائل تلك الربوع فساد محلها الأمن والاطمئنان فلما تم هذا الأمر على يده أجتمع أهل عسير وتهامة بواسطة مشايخهم على المناداة بالسيد أحمد بن إدريس زعيماً لهم فقبل الدعوة وأقام بينهم إلى أن وافاه الأجل ودفن في (جبا) قرب ميناء جيزان الواقعة على ساحل البحر الأحمر.

وبموته عادت الفوضى إلى البلاد ودب النزاع بين القبائل فقررت طائفة من الزعماء أن يتوجهوا إلى دنقلة ويرجو السيد علي ابن السيد أحمد المذكور أن يقدم بلادهم ويتولى شؤونهم ويحل محل والده ولكنهم لدى وصولهم دنقلة علموا أن السيد علي قد عاجلته المنيه وكان للسيد علي ابن أحمد ولد من زوجته الهندية يدعى السيد محمد ولد سنة ١٢٩٣هـ وجيء به شاباً إلى مصر فدخل الأزهر ثم سافر إلى كفره ثم عاد إلى دنقلة فطلبوا إليه الذهاب معهم إلى عسير فامتنع فألحوا عليه حتى اقنعوه وكان ذلك في سنة ١٣٢٥هـ فلما وصل إلى عسير اجتمع مشايخ البلاد وزعماؤها وانتخبوه بالإجماع حاكماً عليهم ثم عرف عادات أهل البلاد ووقف على طبائعهم فأغتنم فرصة تداعي الحكم العثماني وراح يستميل رؤساء العشائر نحوه وقسم البلاد إلى مقاطعات قلد الحكم في كل منها لأحد المشايخ اللذين يثق فيهم وثبت كل كبير في قومه وأخذ منهم رهائن ليأمن منهم الردة والخيانة واستعان بكل زعيم على أخيه. ثم مد سيادته شمالاً وشرقاً إلى الجبال فجمع عدة افخاذ وبطون من العشائر تحت لوائه ودانت له عسير وتوابعها واستقرت أمور البلاد وسادها الأمن بعد الفوضى. وعلى هذا يكون محمد علي الإدريسي هو أول من انضم إلى الحلفاء من امراء العرب وذلك سنة ١٣٣٣هـ ١٩١٥م كما ذكرنا.

وفي شهر رجب من سنة ١٣٣٣هـ الموافق شهر مارس سنة ١٩١٥م أشتد القتال ضد الأتراك من قبل قوات عسير التي يقودها (مصطفى بن عبد المتعال ابن ادريس).

بدء الاحتكاك بين الملك حسين والسلطان عبد العزيز آل سعود ونشوب الحرب بينهما

بعد سقوط المدينة المنورة بيد الملك حسين بن علي كتب الأمير (عبد الله بن الحسين) إلى السلطان عبد العزيز آل سعود الكتاب التالي:

إلى حضرة الأمير عبد العزيز بن سعود المحترم،

وبعد فأني احمد الله إليك الذي لا إله إلا هو واصلي واسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين. ثم أخبرك بأن الله فتح لنا أبواب مدينة خير البرية وأن حاميتها قد أسرت واستولينا على جميع ما فيها من السلاح الثقيل والخفيف وجميع الاملاك والأدوات العائدة للحكومة الغابرة كما أن فخري باشا قد اعتقل في بئر درويش وأما العساكر فقد بادرنا بنقلهم إلى بلادهم ولا يخفى على مداركم بأنه لم يبق والحالة هذه شاغل ما يشغل حكومة صاحب الجلالة أدامه الله وأيده عن الالتفات لإصلاح داخليتها وشؤونها والتنكيل بمن يسعى للإفساد والتخريب من العشائر التابعة والسلام عليكم ورحمه الله في ١٣ ربيع الآخر سنة ١٣٣٧هـ.

الختم

قائد الجيوش الشرقية

الأمير عبد الله

وقد كان هذا الكتاب بادرة الاحتكاك من قبل الملك حسين بالسلطان عبد العزيز آل سعود وقد أرسل السلطان عبد العزيز إلى الأمير عبد الله بن الحسين (كتاب تهنئة). ثم تلقى السلطان عبد العزيز من الأمير عبد الله بن الحسين جواباً سريعاً وذلك في ٣ جماد الثاني سنة ١٣٣٧هـ وبعد هذا الكتاب نشبت الحرب بين الملك حسين والسلطان عبد العزيز آل سعود.



الأمير محمد علي الإدريسي (حاكم منطقة عسير الأسبق)



جلالة الملك علي بن الحسين (ملك الحجاز الأسبق)

وقعة تربة:

وفي سنة ١٣٣٧هـ أمر السلطان عبد العزيز آل سعود (سلطان بن بجاد) رئيس قبيلة عتيبة وهو من الإخوان أمره أن يتوجه إلى الحجاز على رأس قوة من الجيش. وكان سلطان بن بجاد رئيس قبيلة عتيبه (أميراً للغطغط) وهي هجرة من هجر الإخوان وسكانها من عتيبه، لقد سار سلطان المذكور على رأس هذه القوة قاصداً الحجاز يساعده الأمير خالد بن منصور[1] بن لؤي (أمير الخرمة) وفي منتصف ليلة ٢٥ شعبان سنة ١٣٣٧هـ الموافق ٢٥ مارس سنة ١٩١٩م وصلت هذه القوات إلى بلدة (تربة) وهجمت هجمة كبيرة مرعبة. وتولى بن بجاد برجاله من أهل الغطغط أمر جنود عبد الله بن الحسين النظامية وراحت سيوف الاخوان تحصد الرقاب حصاد الزرع وقد أبادت هذه المعركة (معركة تربة المشهورة) خمسة آلاف من جيوش الأمير عبد الله بن الحسين كما أبادت أربعمائة من رجال الغطغط ومائة من أهل تربة والخرمة واستولى الجيش السعودي على جميع المدافع والسلاح الذي غنمه الأمير عبد الله من الترك بالمدينة المنورة.

الاستيلاء على مدينة الطائف وبلدة الهدى:

وفي سنة ١٣٤٣هـ الموافق آب سنة ١٩٢٤م حشد السلطان عبد العزيز آل سعود قوات عظيمة أسند قيادتها إلى سلطان بن بجاد وإلى الشريف خالد بن لؤي وزحف هذان القائدان إلى الطائف، فوصلا في اليوم الأول من شهر صفر سنة ١٣٤٣هـ الموافق أيلول سنة ١٩٢٤م وفي قرية (الحوية) الواقعة قرب الطائف أشتبك الطرفان في معركة دامت ساعات أسفرت عن هزيمة الحجازيين إلى جهة الطائف. ولما علم الملك حسين ملك الحجاز بانهزام قواته جهز سرية من الفرسان وأخرى من الهجانة وأسند القيادة إلى ابنه الأكبر الأمير علي وفي اليوم السادس من شهر صفر وصل الأمير علي إلى الطائف وخرج منها في صباح اليوم السابع منه متوجهاً إلى بلدة الهدى التي تبعد عن الطائف أربع ساعات.

(١) خالد بن لؤي من الأشراف ومن أقارب الملك حسين الاقربين حدث سنة ١٣٣٦هـ بينه وبين الملك حسين بعض الخلافات فوضعه الملك في السجن مما جرح كرامته واهانه في نفسه ولكنه كتم غيظه وساعد الأمير عبد الله بن الحسين في حصار المدينة المنورة ولكن الأمير ساء إليه الأمر الذي جعل خالد بن لؤي في جذوة من نار الثأر. وفي أواخر سنة ١٣٣٦هـ قدم خالد بن لؤي إلى الرياض أصبح قائداً من قواد جلالة المرحوم الملك عبد العزيز آل سعود في حرب الحجاز أما الخرمة فهي بلدة تقع على مسافة (٢٥٠) ميلا من جبل (حضن) وجبل حضن هذا هو في التقاليد المرعية الحد الفاصل بين نجد والحجاز ودل الحديث النبوي الشريف على ذلك صراحة إذ قال (من رأى حضناً فقد أنجد) وللخرمة موقع استراتيجي لكونها تقع في طريق التجارة بين نجد والحجاز وهي محطة تجارية لتجار الوشم والقصيم) وهناك بلدة ثانية مجاورة تدعى (تربة) تقع على مسافة (٧٥) ميلا عن جبل حضن ولتربة أهمية لأنها تقع في الطريق إلى الطائف بل هي باب الطائف من جهة نجد.

وفي ليلة السابع من شهر صفر وبعد خروج الأمير علي من الطائف متوجهاً إلى الهدى دخلت القوات السعودية الطائف واستولت عليها. وما كاد الأمير علي يصل إلى الهدى حتى لحقته قوة من الجيش السعودي واشتبكت هذه القوة مع الجيش الحجازي بقيادة الأمير علي في معركة دامت من منتصف ليلة ٢٦ صفر إلى الساعة العاشرة من صباح السابع والعشرين منه أسفرت عن انهزام الأمير علي وقواته واستيلاء الجيش السعودي على بلدة الهدى.

تنازل الملك حسين لابنه الأمير علي:

وفي اليوم الرابع من شهر ربيع الأول سنة ١٣٤٣هـ الموافق الثالث من شهر تشرين الأول سنة ١٩٢٤م تنازل الملك حسين بن علي إلى ابنه الأكبر وولي عهده الأمير علي بن الحسين ولقب (بالملك علي) بدلاً عن الأمير علي وكان عمر الملك حسين عند تنازله لابنه علي (سبعين سنة).

وفي اليوم اليوم العاشر من شهر ربيع الأول سنة ١٣٤٣هـ الموافق الثامن من شهر تشرين الأول سنة ١٩٢٤م وصل الملك حسين إلى جدة قادماً من مكة المكرمة.

إبعاد الملك حسين ووفاته:

وفي ليلة السادس عشر من شهر تشرين الأول غادر الملك حسين مدينة جدة متوجهاً إلى العقبة على ظهر أحدى البواخر. وفي اليوم الثامن عشر من شهر حزيران سنة ١٩٢٥م أبعدت بريطانيا الملك حسين بن علي إلى جزيرة (قبرص) على ظهر الدارعة البريطانية (دلهي) وبقي فيها حتى أواخر شهر مارس سنة ١٩٣١م. فاشتد عليه المرض ونقل إلى (عمان) حيث توفي في الثالث من شهر حزيران سنة ١٩٣١م ودفن في اليوم الرابع منه في مدينة القدس الشريفة رحمه اله وقد كان جلالة المغفور له الحسين بن علي ملكاً على الحجاز من سنة ١٣٢٥هـ حتى تنازله لابنه علي سنة ١٣٤٣هـ (أي ثماني عشرة سنة).

الاستيلاء على مكة المكرمة:

وبعد استيلاء الشريف خالد بن لؤي وسلطان بن بجاد على (مدينة الطائف وبلدة الهدى) توقفا مع قواتهما في قرية (الزيمة) وهي تبعد عن مكة المكرمة ست ساعات وكانوا جميعاً قد وصلوا إليها في ١٥ ربيع الأول سنة ١٣٤٣هـ ١٤ تشرين الأول سنة ١٩٢٤م وفي ١٧ ربيع

الأول سنة ١٣٤٣هـ دخلت طلائع الجيش السعودي مكة المكرمة بقيادة سلطان بن بجاد. وفي اليوم التالي ١٨ ربيع الأول مشى الشريف خالد بن لؤي ببقية القوات وتم احتلال مكة المكرمة.

مغادرة السلطان عبد العزيز آل سعود الرياض متوجهاً إلى مكة المكرمة:

وفي يوم ١٣ ربيع الثاني سنة ١٣٤٣هـ الموافق اليوم الحادي عشر من شهر تشرين الثاني سنة ١٩٢٤م خرج السلطان عبد العزيز آل سعود من الرياض قاصداً مكة المكرمة بعد ان عهد بإدارة الحكم إلى سمو ولده الأكبر الأمير سعود على أن يكون ولده الإمام عبد الرحمن الفيصل آل سعود المرجع الأعلى وبعد مضي ٢٤ يوماً من مغادرته الرياض وصل مكة المكرمة فأستقبله أهالي مكة مقدمين ولاءهم وطاعتهم له.

دخل السلطان عبد العزيز آل سعود مكة المكرمة في مساء اليوم السابع من جمادى الأول سنة ١٣٤٣هـ الموافق اليوم الرابع من شهر كانون الأول سنة ١٩٢٤م وفي صباح اليوم التالي يوم الجمعة استعرض عظمته الجيش وفي يوم السبت أستقبل علماء مكة المكرمة وفي مقدمتهم الشيخ عبد القادر الشيبي أمين مفتاح (الكعبة المشرفة).

الاستيلاء على المدينة المنورة:

بعد الاستيلاء على مكة المكرمة أصبح الحجاز كله بيد عظمة السلطان عبد العزيز آل سعود باستثناء المدينة المنورة وجده وميناء ينبع. وفي ٢٣ ربيع ثاني سنة ١٣٤٤هـ جهز عظمة السلطان عبد العزيز ابنه الثالث (سمو الأمير محمد) فسار على رأس قوة من الجيش قاصداً المدينة المنورة. وفي صباح يوم السبت ١٩ جمادى الأولى سنة ١٣٤٤هـ الموافق الخامس من شهر كانون الأول سنة ١٩٢٥م سلمت المدينة المنورة بعد حصار دام عشرة أشهر كما سلمت جميع الموانى والقرى التابعة لها والواقعة بين جدة وبينها.

(لقد كانت القوات السعودية التي وجهت نحو المدينة المنورة وطوقتها في بادئ الأمر بقيادة (فيصل الدويش) رئيس عشيرة مطير وأثناء حصار المدينة المنورة من قبل فيصل الدويش احتل قرية (العوالي) القريبة منها واستباح حرمات سكانها قتلاً ونهباً. وقد أراد فيصل الدويش أن يقذف المدينة بقنابل المدافع، وهو السبب الذي أدى بعظمة السلطان عبد العزيز آل سعود أن يفصل فيصل الدويش عن قيادة تلك القوات. وكان تسليم المدينة المنورة بالأمان إلى سمو الأمير محمد بن عبد العزيز آل سعود).

الاستيلاء على جدة:

وبعد الاستيلاء على المدينة المنورة زحف الجيش السعودي إلى جدة وكان عدد الجيش السعودي عند وصوله جدة حوالي عشرة آلاف مقاتل وكان صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود على رأس قوة كبيرة من هذا الجيش.

وصل الجيش السعودي إلى جدة وكانت الأوامر لديه مقتصرة على تطويق المدينة ومهاجمة خط الدفاع للمناوشة فقط. وفي أواخر شهر جمادي الثانية سنة ١٣٤٣هـ احتل الجيش السعودي النزلة اليمانية ونزلة بني مالك والرويس. وفي شهر رجب وشعبان من سنة ١٣٤٣هـ اشتدت الحرب بين القوات السعودية وقوات الملك علي بن الحسين ملك الحجاز.

وفي شهر رمضان توقف الفريقان عن القتال وحصلت شبه هدنة.

وفي شهر شوال دارت المناوشات مجدداً.

وفي منتصف جمادي الثانية سنة ١٣٤٤هـ بلغت الحالة في جدة حداً لا يطاق. وفي هذه الفترة تداعت قوة الملك علي الصحية فحضر في مساء يوم الثلاثاء ٢٩ جمادي الأول سنة ١٣٤٤هـ إلى (المعتمد البريطاني) في جدة وعرض عليه شروط التسليم لعرضها بواسطته إلى السلطان عبد العزيز آل سعود فأبرق المعتمد إلى حكومته في (لندن) يستأذنها بذلك فأذنت له. وأرسل المعتمد إلى السلطان عبد العزيز الرسالة التالية:

جدة في ١٦ كانون الأول سنة ١٩٢٥م

حضرة صاحب العظمة السلطان عبد العزيز العبد الرحمن الفيصل آل سعود سلطان نجد.

بعد الاحترام.

مراعاة للإنسانية ولأجل تسهيل عودة السلام والرفاهية في الحجاز أكون مسروراً إذا تفضلتم عظمتكم بالموافقة على مقابلتي في (الرغامة) غداً الخميس قبل الظهر أو بعد ذلك ما يمكن، وتفضلوا بقبول وافر التحية وعظيم الاحترام.

نائب معتمد وقنصل بريطانيا العظمى

وكيل قنصل، الإمضاء: جوردن

وحمل المنشي بدار الاعتماد البريطاني (إحسان الله) هذه الرسالة إلى السلطان عبد العزيز آل سعود. وفي ظهر يوم ٣٠ جمادى الأول سنة ١٣٤٤هـ خرج عظمته من مكة المكرمة إلى الرغامة وأمر بتحرير الكتاب التالي:

الرغامة في ٣٠ جمادى الأولى سنة ١٣٤٤هـ

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى سعادة المعتمد البريطاني المستر جوردن الفخم،

تحية سلاماً، تناول كتابكم المؤرخ ١٦ كانون الأول سنة ١٩٢٥م وفهمت ما تضمنه وقد حضرنا لمقابلتكم في المحل الذي يخبركم به المنشي إحسان الله.

هذا وتقبلوا فائق احترامي.

تسلم معتمد بريطانيا كتاب السلطان وحضر في الساعة الرابعة من يوم الخميس الأول من شهر جمادى الثانية سنة ١٣٤٤هـ إلى الرغامة. وقال أن بريطانيا لا تزال على موقفها الحيادي في قضية الحجاز ولكني اتقدم إليكم بناءً على طلب الشريف على حكومته في التسليم وأن توسطي في تقديم هذه الشروط لغاية إنسانية بحتة.

لقد قبل السلطان عبد العزيز آل سعود الصلح والتسليم على أن يطلع على الشروط ثم أخرج المعتمد البريطاني الشروط وسلمها للسلطان فوافق عليها وهذا نصها:

١- بالنظر لتنازل الملك علي ومبارحته الحجاز وتسليم بلدة جدة يضمن السلطان عبد العزيز لكل الموظفين الملكيين والحربيين والأشراف وأهالي جدة عموماً والعرب والسكان والقبائل وعوائلهم سلامتهم الشخصية وسلامة أموالهم.

٢- يتعهد الملك علي ان يسلم في الحال جميع اسرى الحرب الموجودين في جدة أن وجد.

٣- يتعهد السلطان عبد العزيز بأن يمنح العفو العام لكل المذكورين اعلاه (أي اسرى الحرب الموجودين عنده).

٤- يجب على كافة أفراد الجيش وضباطه أن يسلموا في الحال جميع أسلحتهم من بنادق ورشاشات ومدافع وطيارات وجميع المهمات الحربية الأخرى إلى السلطان عبد العزيز.

٥- يتعهد السلطان عبد العزيز بأن يرحل كافة الضباط والعساكر الذين يرغبون في العودة إلى أوطانهم ويتعهد بإعطائهم المصاريف اللازمة لسفرهم.

٧- يتعهد السلطان عبد العزيز أن يوزع بنسبة معتدلة على كافة الضباط والجنود الموجودين في جدة مبلغ خمسة آلاف جنيه.

٨- يتعهد السلطان عبد العزيز أن يبقي جميع موظفي الحكومة الملكيين في مراكزهم الذين يجد فيهم الكفاءة في تأدية واجباتهم بأمانة.

٩- يتعهد السلطان عبد العزيز أن يمنح الملك علي الحق في أن يأخذ الأمتعة الشخصية التي في حوزته بما في ذلك سيارته الخاصة وسجاجيده وخيوله.

١٠- يتعهد السلطان عبد العزيز أن يمنح عائلة الحسين جميع ممتلكاتهم الشخصية في الحجاز بشرط أن هذه الممتلكات تكون من الموروثة فعلاً ولا تشتمل على الأملاك الثابتة المحولة من الأوقاف ولا على المباني التي يكون الحسين قد بناها في أثناء ملكه لما كان ملكاً على الحجاز.

١١- يتعهد الملك علي أن يبارح الحجاز قبل يوم الثلاثاء المقبل مساءً.

١٢- جميع البواخر التي في ملك الحجاز وهي (الطويل، ورشدي، ورضوى، والرقمتين) تصير ملكاً للسلطان عبد العزيز ولكن السلطان يسمح أن لزم الأمر للباخرة (الرقمتين) أن تستعمل لنقل الأمتعة الشخصية التابعة للملك علي المتنازل ثم ترجع.

١٣- يتعهد الملك علي ورجاله وسكان جدة بأن لا يبيعوا أو يخرجوا أي شيء من أملاك الحكومة مثل (اللنشات والسنابيك) وهي المراكب الصغيرة المعدة لصيد الأسماك.

١٤- يتعهد السلطان عبد العزيز ان يمنح جميع السكان والضباط والجنود الموجودين في ينبع الحقوق والامتيازات المذكورة سابقاً ألا فيما يختص بتوزيع الجنود.

١٥- يتعهد السلطان عبد العزيز أن يمنح العفو لأشخاص معينين (سمتهم الاتفاقية).

١٦- أن كان الملك علي ورجاله في حال من الأحوال يخالفون أو يقصرون في تنفيذ أي مادة من المواد التي تقدم ذكرها فأن السلطان عبد العزيز لا يعتبر نفسه في تلك الحالة مسئولاً عن تأدية ما عليه من هذه الاتفاقية.

١٧- يتعهد الطرفان السلطان عبد العزيز والملك علي أن يكفا عن أي حركة عدائية أثناء سير هذه المفاوضات.

الخميس ١ جمادي الثانية سنة ١٣٤٤هـ الموافق ١٧ كانون الأول سنة ١٩٢٥م.

وفي الساعة السادسة من مساء ذلك اليوم وقع الملك علي هذه الاتفاقية ووقع عليها السلطان عبد العزيز آل سعود وأصبحت نافذة المفعول.

وفي مساء يوم الأحد الرابع عشر من شهر جمادي الثانية سنة ١٣٤٤هـ الموافق ٢١ كانون الأول سنة ١٩٢٥م حضر المعتمد البريطاني إلى الرغامة وأخبراً السلطان عبد العزيز أن الملك علي قد نزل إلى البارجة البريطانية (كون فلاور الراسية في ميناء جدة وأنه قرر السفر إلى عدن ومنها إلى العراق.

وفي صباح يوم الثلاثاء ٦ جمادي الثانية سنة ١٣٤٤هـ الموافق ٢٧ كانون الأول سنة ١٩٢٥م أبحرت البارجة البريطانية المذكورة تقل الملك علي إلى عدن يرافقه الشريف (شاكر بن زيد) وكاتبه (عبد الله رشيد) وبعض خدمه.

وفي صباح يوم الأربعاء ٧ جمادي الثانية سنة ١٣٤٤هـ تحرك موكب عظمة السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود إلى جدة. وهكذا أسلمت جدة ودخلها السلطان عبد العزيز آل سعود.

مبايعة السلطان عبد العزيز ملكاً على الحجاز:

وفي يوم ٢٢ جمادي الثانية سنة ١٣٤٤هـ عقد اجتماع تقرر فيه مبايعة السلطان عبد العزيز آل سعود (ملكاً على الحجاز. وبعد صلاة الجمعة ٥ جمادي الثانية سنة ١٣٤٤هـ الموافق العاشر من شهر كانون الثاني سنة ١٩٢٦م تمت البيعة وأصبح لقب السلطان عبد العزيز آل سعود (ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها).

الأمير فيصل بن عبد العزيز ينوب عن والده جلالة الملك على الحجاز:

وبعد هذا الوقت الطويل الذي قضاه حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها في الحجاز قرر الانصراف إلى نجد. وعين من قبله (حضرة صاحب السمو الملكي الأمير فيصل) النجل الثاني لجلالته نائباً عنه على الحجاز كما تسلم مهام وزارة الخارجية وجعل مركزه (مكة المكرمة وفي جدة) وهكذا تم الاستيلاء على الحجاز وعاد جلالة الملك عبد العزيز إلى الرياض.



حضرة صاحب الجلالة المرحوم الملك سعود بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية السابق



حضرة صاحب الجلالة الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود (ملك المملكة العربية السعودية المعظم)



حضرة صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن عبد العزيز آل سعود الذي سلمت (المدينة المنورة) على يده بأمان.

بين الملك عبد العزيز آل سعود والإدريسي (حاكم عسير):

ذكرنا سابقاً إلى اهتمام جلالة الملك عبد العزيز آل سعود بأمر إقليم عسير واحتلال (ابها) من قبل القوات السعودية بقيادة جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز وحينما عقدت الاتفاقية الشهيرة باسم معاهدة (مكة المكرمة) بين جلالة الملك عبد العزيز آل سعود وبين السيد الحسن بن علي الإدريسي في الرابع والعشرين من شهر ربيع الثاني سنة ١٣٤٥هـ الموافق الحادي والعشرون من شهر تشرين الأول سنة ١٩٢٦م بسط جلالة الملك عبد العزيز آل سعود بموجبها الحماية على القسم الذي كان يحكمه الادراسة في (تهامة).

وهذه نص المعاهدة:

١- يعترف سيادة الإمام الحسن بن علي الإدريسي بأن الحدود القديمة الموضحة في اتفاقية ١٠ صفر سنة ١٣٣٩هـ المنعقدة بين الإمام وبين محمد بن علي الإدريسي والتي كانت خاضعة للادارسة في ذلك التاريخ، هي تحت سيادة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها.

٢- لا يجوز لإمام عسير أن يدخل في مفاوضات سياسية مع أي حكومة وكذلك لا يجوز أن يمنح أى امتياز اقتصادي إلا بعد الموافقة على ذلك من صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها.

٣- لا يجوز لإمام عسير التنازل عن جزءٍ من أراضي عسير المبينة في المادة الأولى.

٤- يعترف ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بحاكمية إمام عسير الحالي على الأراضي المبينة في المادة الأولى مدة حياته ومن بعده لمن يتفق عليه الادارسة.

٥- يعترف ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بأن إدارة بلاد عسير الداخلية والنظر في شئون عشائرها من نصب وعزل وغير ذلك من الشئون الداخلية من حقوق أمام عسير.

٦- يتعهد ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بدفع كل اعتداء داخلي أو خارجي يقع على أراضي عسير المبينة في المادة الأولى وذلك بالاتفاق بين الطرفين حسب مقتضيات الأحوال ودواعي المصلحة.

٧- يتعهد الطرفان بالمحافظة على هذه المعاهدة والقيام بواجبها.

٨- تكون هذه المعاهدة معمولاً بها بعد التصديق عليها من الطرفين.

٩- دونت هذه المعاهدة باللغة العربية من صورتين تحفظ كل صورة لدى فريق من الحكومتين المتعاقدتين.

١٠- تعرف هذه المعاهدة بمعاهدة (مكة المكرمة) وقد وقعت هذه المعاهدة في ربيع الآخر سنة ١٣٤٥هـ الموافق ٢١ تشرين الثاني سنة ١٩٢٦م.

بين الملك عبد العزيز آل سعود والإمام يحيى (ملك اليمن) ونشوب الحرب بينهما

رغبةً من جلالة الملك عبد العزيز آل سعود في قرار علاقات الجوار بينه وبين الإمام (يحيى حميد الدين ملك اليمن). أرسل وفداً ملكياً سعودياً إلى (صنعاء) لكي يطلع الإمام يحيى على موضوع دخول الادارسة في حماية جلالته والاتفاق معه على تثبيت الحدود وحسن الجوار وإنشاء علاقات صداقة وحسن تفاهم.

غادر الوفد السعودي الرياض إلى أبها وفي أواخر شهر ذي القعدة سنة ١٣٤٥هـ أبها إلى صنعاء عاصمة اليمن فوصلها في اليوم الثالث من شهر ذي الحجة ومكث فيها إلى أواخر شهر محرم سنة ١٣٤٩هـ وقد دارت بين هذا الوفد وسيادة الإمام يحيى ملك اليمن مباحثات عديدة.

وكان موقف الإمام يحيى لا يتغير فقد اعتبر عسير جزءاً من اليمن وأن الادارسة غاضبون ودخلاء في منطقة هى تابعة لعسير الذي بدور جزءً من اليمن.

وبناءً على ذلك فإن سيادة إمام اليمن لا يعترف بما كان من انضمام بلاد آل عائض إلى نجد. ولا بما كان من بسط الحماية على المقاطعات الإدريسية وهكذا عاد الوفد السعودي إلى بلاده وعرض النتيجة على جلالة الملك عبد العزيز آل سعود. ثم تقدمت جيوش الإمام يحيى إلى نجران وسائر بلاد يام واندفعت في تهامة إلى مشارف الجزء الساحلي من عسير. واحتلت بعض المناطق الجبلية الأمر الذي كاد يرغم جلالة الملك عبد العزيز آل سعود على قطع المفاوضات، وأخيراً ضاق صبر أهل عسير بما هو واقع عليهم فاستنجد أميرهم بجلالة الملك عبد العزيز آل سعود. فأرسل جلالته قوة بقيادة سمو ولي عهده الأمير سعود فأمعن متوغلاً بين صعده ونجران بينما كانت الجحافل السعودية الأخرى تمعن في التوغل بقيادة سمو الأمير فيصل فأحتل (ميدي، والحديدة، وتهامة) ووصل إلى منطقة (باجل) ثم تدخل بعض زعماء العالم

العربي بالأمر وذهب وفد إلى مكة المكرمة فاجتمع إلى جلالة الملك عبد العزيز وعندما أصبح سيادة الإمام يحيى حميد الدين أمام الأمر الواقع أظهر لينه فلان جانب الملك عبد العزيز .

وفي الحادي والعشرين من شهر تشرين الأول سنة ١٩٢٦م أوقفت الحرب وعاد الأميران سعود وفيصل ابني جلالة الملك عبد العزيز آل سعود بقواتهما إلى ديارهم . واصبحت عسير أحد أقاليم المملكة العربية السعودية .

وفي أواخر سنة ١٩٢٦هـ عاد جلالة الملك عبد العزيز آل سعود إلى الرياض قادماً من الحجاز بعد أن أمضى فيه قرابة سنتين. وفي أوائل سنة ١٩٢٧م استبدل لقب ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بلقب (ملك الحجاز ونجد وملحقاتها) .



الإمام يحيى حميد الدين (ملك اليمن)

توحيد اسم (المملكة) وأخذ البيعة لسمو الأمير سعود بولاية العهد:

وأخيراً وجد جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ضرورة توحيد اسم مملكته فلا يبقى هناك ما اسمه الحجاز ونجد. فوجد أن الوحدة يجب أن تكون عامة وشاملة في كل شيء كما وجد أن نظام الحكم في البلاد هو ملكي شرعي فأشتق لفظ (المملكة) منه وموقع هذه البلاد في وسط شبه الجزيرة العربية وجميع السكان من العرب ولغتهم العربية . وتخليداً لذكرى الملك عبد العزيز آل سعود وعلى هذا الأساس أصبح اسمها (المملكة العربية السعودية).

وفي ١٧ جمادي الأولى سنة ١٣٥١هـ الموافق لليوم الثامن عشر من شهر ايول سنة ١٩٣٢م أصدر جلالة الملك عبد العزيز آل سعود مرسوماً ملكياً برقم (٢٧١٦) أمر فيه بتحويل اسم المملكة القديم إلى هذا الاسم الجديد. وذلك ابتداءً من يوم الخميس ٢١ جمادي الأولى سنة ١٣٥١هـ الموافق ٢٢ أيلول سنة ١٩٣٢م وفي ١٦ محرم سنة ١٣٥٢هـ الموافق الحادي عشر من شهر مارس سنة ١٩٣٢م أخذت البيعة بولاية العهد لحضرة صاحب السمو الملكي الأمير سعود النجل الأكبر لجلالة الملك.

اسناد القيادة العليا لولى العهد:

وفي ١٥ ذي الحجة سنة ١٣٧٢هـ أصدر جلالة الملك مرسوماً ملكياً بأسناد القيادة العليا للقوات المسلحة وقوات الدفاع والحرب والأمن العام وأهل الجهاد والمجاهدين إلى سمو ولي عهده الأمير سعود .

وفاة الملك عبد العزيز:

وفي فجر يوم الاثنين الثاني من شهر ربيع الأول سنة ١٣٧٣هـ الموافق اليوم التاسع من شهر تشرين الثاني سنة ١٩٥٣م توفي حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود وعمره (٧٦) سنة وكانت وفاته في الطائف ثم نقل إلى الرياض ودفن فيها رحمه الله.

أخوته وأولاده:

لجلالة المرحوم الملك عبد العزيز آل سعود أربعة أخوة هم حضرات أصحاب السمو الأمراء سعود، وعبد الله، وأحمد، ومساعد. كما أنجب رحمه الله (٣٤) أميراً هم جلالة المغفور له الملك سعود وحضرة صاحب الجلالة الملك فيصل وحضرة صاحب السمو الملكي الأمير خالد ولي العهد وحضرات أصحاب السمو الملكي الأمراء محمد، ناصر، وسعد، وفهد، وعبد الله، وبندر، ومساعد، وعبد المحسن، ومشعل، وسلطان، وعبد الرحمن، ومتعب، وطلال، ومشاري، وبدر، وتركي، ونايف، ونواف، وفواز، وسليمان، وماجد، وثامر، وسطام، وممدوح، وعبد المجيد، ومشهور، وهذلول، ومقرن، وعبد الآله، وأحمد وحمود.

جلالة المرحوم الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود

ولد جلالة المغفور له الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود رحمه الله في مدينة الكويت سنة ١٣١٩هـ الموافق سنة ١٩٠٢م وقد اشترك مع والده الملك عبد العزيز وعمه الأمير محمد عبد الرحمن في حرب حائل وذلك في مستهل صيف سنة ١٩٢١م وفي شهر ذي الحجة سنة ١٣٣٩هـ الموافق أب سنة ١٩٢١م عاد إلى الرياض يصحبه الأمير (عبد الله المتعب آل رشيد). وكان قد سلم نفسه إلى الأمير سعود خوفاً من ابن عمه الأمير محمد الطلال آل رشيد.

وفي سنة ١٣٤٦هـ الموافق سنة ١٩٢٦م وبأمر من والده الملك عبد العزيز غادر الرياض على رأس قوة من الجيش متوجهاً غلى عسير. وذلك بعد أن استنجد الإدريسي أمير منطقة عسير آنذاك بجلالة الملك عبد العزيز آل سعود وفي أواخر سنة ١٩٢٦م عاد إلى الرياض بعد أن انتهت الحرب وأصبحت عسير بكاملها جزءاً لا يتجزأ من (المملكة العربية السعودية). وعندما اشتد المرض على الأمير (عبد الله بن جلوي) بعد وفاة ابنه فهد الذي قتله العجمان في الإحساء أمره والده الملك عبد العزيز وكان مقيماً آنذاك في مكة المكرمة. أمره أن يتوجه من الرياض على رأس قوة كبيرة إلى الإحساء لمقابلة العجمان واستلام زمام الامارة بدلاً عن الأمير عبد الله بن جلوي. وقد تمكن من تمزيق العجمان بسرعة فائقة ثم تعقبهم وأنزل فيهم الضربة القاضية وقضى على جميع المتردين في الإحساء وذلك في أواخر خريف سنة ١٩٢٩م.

وفي ١٦ محرم سنة ١٣٥٢هـ الموافق ٢١ مارس سنة ١٩٣٢م بويع جلالته ولياً للعهد باعتباره أكبر انجال المرحوم الملك عبد العزيز آل سعود.

وفي ١٥ ذي الحجة سنة ١٣٧٢هـ أصدر حضرة صاحب الجلالة المغفور له الملك عبد العزيز مرسوماً ملكياً بأسناد القيادة العليا وقوات الدفاع والأمن والحرب وأهل الجهاد والمجاهدين إلى جلالته. وبعد وفاة والده المرحوم الملك عبد العزيز يوم الاثنين ٢ ربيع الأول سنة ١٣٧٣هـ الموافق ٩ تشرين الثاني سنة ١٩٥٣م عقد انجال الملك الراحل اجتماعاً سريعاً بايعوا فيه حضرة صاحب الجلالة الملك سعود بن عبد العزيز ملكاً على المملكة العربية السعودية واسند جلالته ولاية العهد إلى أخيه حضرة صاحب السمو الملكي الأمير فيصل. وفي شهر رجب من سنة ١٣٨٤هـ الموافق ٥ تشرين الثاني سنة ١٩٦٤م تولى الحكم أخوه وولي عهده حضرة صاحب الجلالة الملك فيصل بن عبد العزيز عاهل المملكة العربية السعودية الحالي. وفي شهر ذي الحجة ١٣٨٨هـ توفي الملك سعود رحمه الله.



الأمير عبد المحسن بن جلوي (حاكم المقاطعة الشرقية الحالي)

حضرة صاحب الجلالة الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية المعظم

ولد حضرة صاحب الجلالة الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية المعظم في شهر شوال سنة ١٣٢٤هـ سنة ١٩٠٦م.

في سنة ١٣٤٠هـ الموافق ١٩٢٢م عندما شق عصا الطاعة حسن بن علي بن عائض وأحتل (أبها) بعد أن خاصرها مدة عشرة أيام وأرغم أميرها المعين من قبل جلالة الملك عبد العزيز آل سعود على التسليم واعتقله في خميس مشيط.

اسند جلالة الملك عبد العزيز آل سعود قيادة القوات العسكرية إلى جلالته فغادر الرياض إلى عسير فلما علم ابن عائض بقدوم جلالته نحوه تقهقر مع قواته من خميس مشيط إلى حجلة. وبعد أن لحقته فرسان جلالته تراجع ابن عائض وجنوده إلى أبها فداهمها جلالة الملك فيصل بقواته وأحتلها بعد قتال دام ست ساعات. وفي ٢١ من شهر جمادي الأولى سنة ١٣٤١هـ الموافق ٨ كانون الثاني سنة ١٩٢٣م عاد جلالته إلى الرياض بعد أن عين ابن عفيصان أميراً على أبها.

وفي سنة ١٣٤٤هـ الموافق ١٩٢٦م أصبح حضرة صاحب الجلالة الملك فيصل بن عبد العزيز نائباً لوالده حضرة صاحب الجلالة المرحوم الملك عبد العزيز على الحجاز ووزيراً للخارجية بالوقت نفسه.

وفي سنة ١٩٢٦م وبأمر من والده الملك عبد العزيز سار على رأس قوة من الجيش متوجهاً نحو عسير وذلك بعد أن استنجد الإدريسي أمير منطقة عسير آنذاك بجلالة المرحوم الملك عبد العزيز فأحتل ميدي، والحديدة، وتهامة. ووصل جلالته إلى منطقة باجل وبعد أن انتهت الحرب وأصبح أقليم عسير جزءاً لا يتجزأ من المملكة العربية السعودية عاد جلالته إلى مقره.

وبعد وفاة والده المغفور له الملك عبد العزيز سنة ١٣٧٣هـ الموافق سنة ١٩٥٣م أخذت جلالته ولاية العهد. وبعد خلع سعود من الملك والإمامة في شهر رجب سنة ١٣٨٤هـ الموافق ٥ تشرين الثاني سنة ١٩٦٤م بويع جلالته ملكاً شرعياً على عرش المملكة العربية السعودية وهذه نص البيعة:

بسم الله الرحمن الرحيم

في الساعة الرابعة والنصف من يوم الاثنين السابع والعشرين من شهر جمادي الثانية سنة ١٣٨٤هـ اجتمع أعضاء مجلس الوزراء وأعضاء مجلس الشورى برئاسة حضرة السمو الملكي الأمير خالد بن عبد العزيز نائب رئيس مجلس الوزراء واطلعوا على نص الخطاب المؤرخ في ٢٢/٦/١٣٨٤هـ.

الوجه من كافة أفراد أسرة آل سعود إلى حضرات أصحاب السماحة والفضيلة العلماء الذين اعلنوا خلع سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود عن الملك ومبايعة ولي العهد فيصل بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملكاً على البلاد وإماماً للمسلمين وطلبهم في ذلك من الواجهة الشرعية اللازمة. وقد أطلع المجتمعون أيضاً على الفتوى الشرعية الصادرة من أصحاب السماحة والفضيلة العلماء. الذين اجتمعوا برئاسة الشيخ محمد بن إبراهيم رئيس القضاء ومفتي الديار السعودية المؤرخة في ٢٦/٦/١٣٨٤هـ المستندة إلى الفتوى الشرعية السابقة الصادرة بتاريخ ١٦/١١/١٣٨٣هـ وإلى مبررات واقعية مقنعة وقواعد شرعية وقرروا فيها.

أولاً:- خلع سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل عن الملك.

ثانياً:- مبايعة ولي العهد الأمير فيصل بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ملكاً شرعياً على المملكة العربية السعودية وعليه في ذلك تقوى الله وتحكيم شريعته في جميع الشئون وإلزام الرعية بذلك.

وقد أيد المجتمعون بالإجماع قرار أسرة آل سعود والعمل بالفتوى الشرعية الصادرة من أصحاب السماحة والفضيلة العلماء المؤرخة في ٢٦/٦/١٣٨٤هـ وقرروا:

أولاً:- مبايعة ولي العهد فيصل بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملكاً شرعياً على المملكة العربية السعودية وإماماً للمسلمين.

ثانياً:- أن يطلب من حضرة صاحب الجلالة الملك فيصل بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود قبول البيعة وإعلانها.

ونسئل الله أن يجعل عهد جلالته مقروناً باليمن والخير والتقدم والازدهار وأن يوفقه لخدمة شريعته وإعلاء كلمته والله ولي التوفيق .

هذا وقد نزل سعود بن عبد العزيز على قرار خلعه فوجه إلى أخيه فيصل بن عبد العزيز كتاباً في ١ شعبان سنة ١٣٨٤هـ الموافق ٢ كانون الثاني سنة ١٩٦٥م بايعه فيه بالملك وهذا نصه:

من سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود إلى جناب الأخ جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز سلمه الله.

بعد السلام عليكم ورحمه الله وبركاته

بناءً على ما أقرته الأسرة والعلماء بتنصيبكم ملكاً على البلاد فأنا نبايعكم على كتاب الله وسنة رسوله ملكاً للبلاد راجياً لكم التوفيق وللشعب السعودي الرفاهية والازدهار والتقدم والسلام

التوقيع سعود.

وقد وجه حضرة صاحب الجلالة الملك فيصل خطاباً بعد مبايعته بالملك هذا نصه:

إخواني وأبناء وطني نحمد الله ونستعينه ونستغفره ونصلي ونسلم على نبيه محمد هادي البشرية ومنقذ الإنسانية ونسأله تعالى لنا ولكم التوفيق والسداد .

إخواني لقد شاء الله جل وعلى أن يضع على عاتقنا هذا اليوم مسئولية الملك ونحن الذين حرصنا بكل وسعنا من جهد أن تجري الأمور في مجرها الطبيعي وألا تصل إلى الحد الذي وصلت إليه، وحاولنا في السنوات الأخيرة أن نكف عن بلادنا وامتنا ما قد تتعرض له من نتائج وخيمة، غير أن العامة قد انتابها الجزع قبل الخاصة. وتتالت الأحداث التي تعرفونها وما نحن الآن بصدد التعرض لها. وجاء قرار أسرة آل سعود أجماعياً يلزمنا البيعة، ثم تبعته فتوى أصحاب السماحة والفضيلة العلماء ورؤساء المحاكم والقضاة ثم قرار أعضاء مجلس الوزراء ومجلس الشورى، فلم يسعنا وقد الح أهل الحل والعقد على وضع مسئولية الملك في عنقنا إلى القبول، وما كنا طوال المدة السابقة نرفض حتى مجرد التفكير في ذلك تهرباً من المسئولية وإنما عزوفاً عن مظاهرها ورغبة صادقة في أن تجري الأمور كما أسلفنا في مجراها الطبيعي. والآن وقد شاءت إرادة الله الكبير أن نقوم بهذا الواجب المقدس فأننا نسأله تعالى العون والتوفيق والسداد حتى نحقق لكم ما عقدتموه من آمال وحتى نصل ببلادنا العزيزة إلى المستوى المنشود والهدف المرسوم ثم أسألكم بعد ذلك فرداً فرداً أبناء شعب هذا البلد الكريم أن تعينوني بكل جهدكم

على أداء واجباتنا وتحقيق ما نصبوا إليه وأول ما نرغب فيه منكم أن يضاعف كل واحد منكم جهده في حقله الذي يعمل فيه وأن نحس جميعاً أننا في معركة للبناء تتطلب صبراً وجهداً، ستكون نتيجته بعون الله ثمرات يانعات ننعم بها وتنعم بها من بعدنا أجيالنا القادمة .

واختتم جلالته خطابه بقوله:

إخواني: ونحن إذ نختتم خطابنا هذا نعود فندعو الله جل وعلى أن يكون لنا عوناً وسنداً وأن يحقق آمالنا أنه نعم المولى ونعم النصير . . .

الإخوان

من بين المشروعات الإصلاحية التي قام بها حضرة صاحب الجلالة المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية السابق هو مشروع تحضير البادية ويراد بالهجر القرى التي هاجر إليها البدو تاركين حالة البداوة والتنقل في البوادي إلى حالة السكنى والاستقرار والاشتغال في الزراعة ورعي الماشية والتجارة وبعض الصناعات المعروفة في قرى نجد .



فيصل بن سلطان الدويش (رئيس قبيلة مطير)

من هم الإخوان :

أن أول هجرة أسست هي هجرة الارطاوية سنة ١٣٣٠ هـ وبعدها أخذت الهجرة تنتشر بسرعة وأخذت العشائر تقلد بعضها البعض في ترك حياة البداوة التي أصبحت تسمى عندهم (بالجاهلية) وبنوا لسكناهم بيوتاً من الطين بدلاً من بيوت الشعر وإشارة إلى أنهم هجروا الحياة القديمة في البادية، إلى حياة أخرى هي حياة الاستقرار في أماكن معينة أطلق على أماكن سكناهم (الهجر) ومفردها (هجرة) وسكان هذه الهجر يطلق عليهم اسم (الإخوان) .

ان كلمة (الأخ) قد استعملت بمعنى الحليف والمعاهد أول نشأة الإسلام فقد آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين (الأوس والخزرج) من الأنصار وتناسوا ما بينهم من العداء والنزوات. وإلى هذا تشير الآية الكريمة (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم) إلى آخر الآية الكريمة. سورة آل عمران أية ١٠٣

لقد صرف جلالة المرحوم الملك عبد العزيز آل سعود عنايته لإيجاد وحدة متينة ورابطة قوية بين القبائل المختلفة التي سادها الجهل وتغلبت عليها الفوضى فرأى أن لا سبيل إلى بلوغ تلك الغاية إلاّ التمسك بالشريعة السمحاء فعمد على نشر العلم والمعرفة وتعليم فرائض الدين وأحكام الشريعة . وشرع جلالته بتعليم البدو بواسطة خطباء ومرشدين يشرحون لهم أمور دينهم وبهذه الطريقة نمت فيهم العاطفة الدينية وتألفت من هذه المجموعة الصالحة (فرق الإخوان). وقد اصبح هؤلاء الإخوان قوة احتياطية مرابطة يستخدمها جلالة الملك عبد العزيز متى شاء للدفاع والهجوم .

لقد ظهرت قوة الإخوان الحربية في هزيمة أهل الكويت هزيمة منكرة في موقعة (حمض) سنة ١٣٣٨ هـ ثم في حصار شيخ الكويت في (الجهراء) سنة ١٣٣٩ هـ وفي ابادة جيش (الشريف عبد الله) في (تربة) سنة ١٣٣٧ هـ ثم في هجومهم المتكرر على العراق والكويت وشرق الأردن.



فرحان بن مشهور (من الروالة)

والإخوان لا يهابون الموت بل يندفعون إليه اندفاعاً طلباً للشهادة ولقاء الله والأم حينما تودع ابنها تودعه بهذه الكلمات اللهم اجمعنا وياك في الجنة وأصبحت كلمة التشجيع على الحرب إبراهيم يا عمود الدين محمد يا رسول الله هبت هبوب الجنة وين أنت يا باغيها . وكلمتهم عند الهجوم إياك نعبد وإياك نستعين .

أسباب ثورتهم على جلالة الملك عبد العزيز آل سعود

بعد فتح الحجاز عاد كل من سلطان بن بجاد رئيس قبيلة (عتينة) وفيصل بن سلطان الدويش رئيس قبيلة (مطير) وهما يضمران الحقد والشر لجلالة الملك عبد العزيز اعتقاداً منهما أن الملك لم يشبع أطماعهما بعد فتح الحجاز . هذا وقد كان قلب فيصل الدويش مليئاً بالحقد والضغينة والغضب الشديد يغمر نفسه بسبب عزله عن قيادة القوات السعودية المحاصرة للمدينة المنورة وفي الوقت ذاته كانت رسل الانكليز وهم من الضباط يخترقون الحدود النجدية قادمين من

العراق وينزلون ضيوفاً على بعض العشائر التي كان الشك يكتنف رؤساء في أخلاصهم وولائهم للملك عبد العزيز. ولا يكاد هذا الفريق من رسل الانكليز يخرج من نجد عائداً إلى العراق حتى انتشرت الأخبار الكاذبة بين العشائر انتشار النار بالهشيم. وذلك مما يجعل هذه القبائل في قلق واضطراب وتدب روح النقمة في رؤوس زعمائها على الملك عبد العزيز.

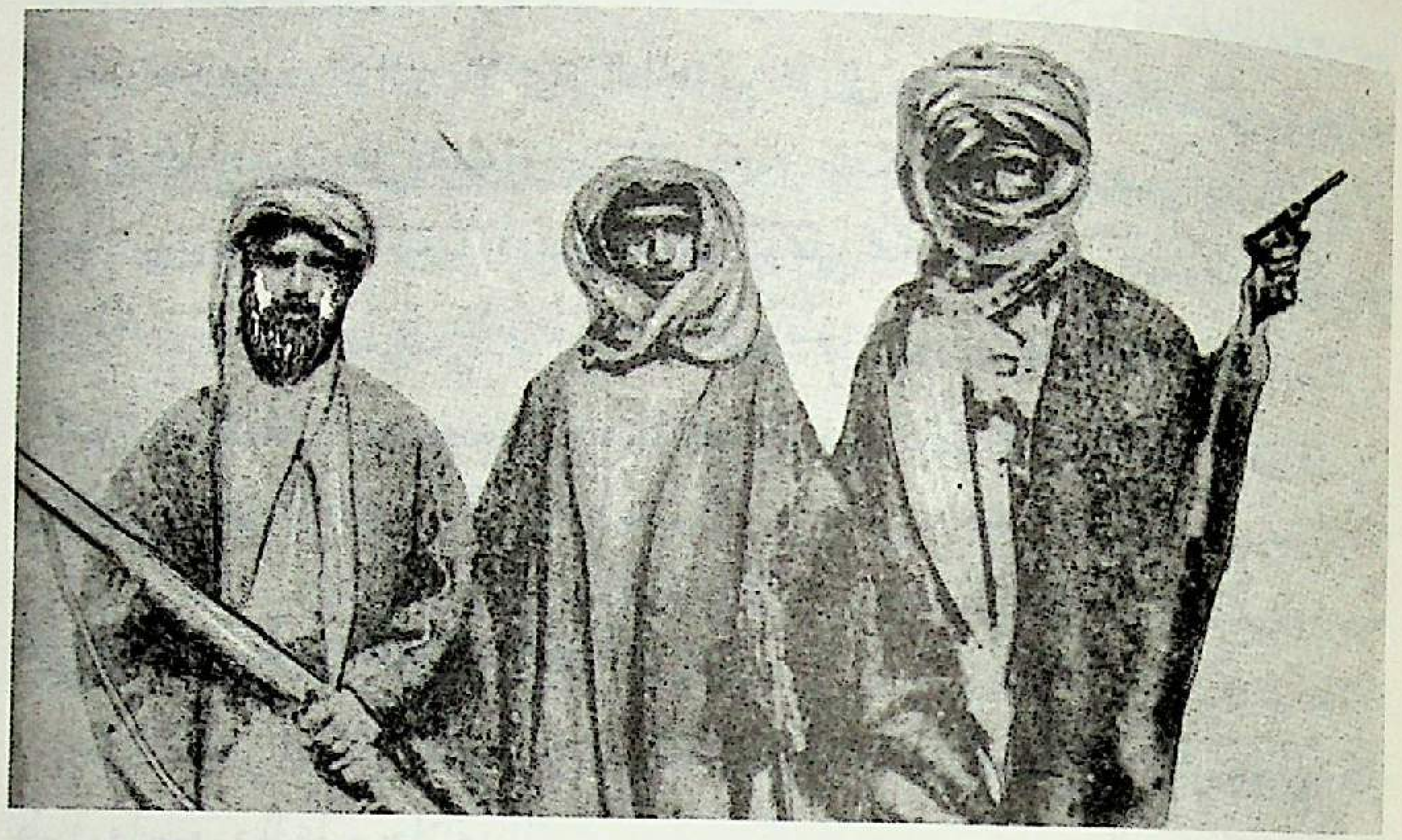


فيصل الدويش على ظهر الباخرة البريطانية بعد استسلامه للبريطانيين

وفي خلال شهر تشرين الثاني سنة ١٩٢٧م وصلت طلاع العشائر من مطير على عادتها المعروفة إلى موضع (البصية) قرب الحدود العراقية النجدية وصلت بقيادة فيصل الدويش الغاضب على الملك عبد العزيز آل سعود بسبب حادث المدينة المنورة السالف الذكر. فشاهد مع رجاله الحصون العراقية حول بئر الماء في البصية فاعتبروها تحدياً لحقوقهم فثارت ثائرتهم وهاجموا الحامية الصغيرة المؤلفة من ستة أفراد من شرطة الهجانة العراقية وقتلوا عدداً من العمال وهرب ما بقي منهم. ثم هدم الدويش وجماعته ما قد بني من تلك الحصون الأمر الذي أوقع الذعر في قلوب القبائل المجاورة فاركنت للفرار.

ثم شن فيصل الدويش وجماعته غارات صغيرة على بعض قرى إمارة الكويت وعاد بالكسب مع رجاله إلى (الارطاوية) في نجد. وفي شهر شباط سنة ١٩٢٨ تحركت قوة من الجيش العراقي مدعومةً بسرب من سلاح الطيران الملكي البريطاني فقصدت حدود نجد مدعية انها حملة لتأديب المتمردين في نجد، وحلقت الطائرات فوق المناطق النجدية وألقت على السكان منشورات جاء فيها (أن فيصل الدويش رئيس مطير قد استهان بأمر صاحب الجلالة الملك ابن سعود فسطا على العراق وقد أخذت الحكومتان العراقية والبريطانية على عاتقها مهمة معاقبة المجرمين وهما تطلبان إلى القبائل النجدية الابتعاد عن مناطق الحدود مسير أربعة أيام ومن لم يفعل فسيتعرض لنيران الطائرات).

وفي ذلك الوقت كانت روح النقمة على الملك عبد العزيز قد شملت جميع أنحاء البلاد وكان فيصل الدويش في مقدمة الثائرين وسرت روح الحماس في نفوس القبائل والتقى سلطان بن بجاد رئيس (الغطغط... عتيبة) ضيدان بن حثلين رئيس العجمان وغيرهما من الرؤساء بفيصل الدويش على صعيد واحد غرض المطالبة بإعلان الجهاد المقدس ولقيت دعوتهم الصدى المستجاب في إرجاء نجد. ثم دعى جلالة الملك عبد العزيز إلى عقد مؤتمر شعبي في مطلع شهر تشرين الثاني سنة ١٩٢٨م فلباه العلماء والأمراء والحكام والقضاة وأصحاب الرأي والمكانة وقادة الإخوان وشيوخ المدن والقرى والمتقدمين بالسن وأمام الجميع أفراد الأسرة المالكة ولم يلبِّ الدعوة بالحضور إلى هذا الاجتماع كل من فيصل الدويش وسلطان بن بجاد وضيدان بن حثلين ومعنى هذا لا يحتاج إلى توضيح فقد شقوا عصا الطاعة على جلالة الملك عبد العزيز.



ضيدان بن حثلين (رئيس قبيلة العجمان)

معركة السبلة :

قام فيصل بن سلطان الدويش زعيم قبيلة مطير بثورة ضد الملك عبد العزيز آل سعود وقد انضم إلى فيصل الدويش في هذه الثورة (ضيدان بن حثلين) مع جماعته من العجمان. كما ألتحق بها أيضاً (سلطان بن بجاد) زعيم قبيلة عتيبة والقائد المشهور في معركة (تربة) سنة ١٣٣٧هـ. ولم يكن جلالة الملك عبد العزيز آل سعود غافلاً عن هذه التحركات فأرسل الملك إلى الأمير (عبد الله بن جلوي) أمير المقاطعة الشرقية بأن يتكفل بالعجمان ومن معهم وفي شهر آذار سنة ١٩٢٩م تحرك الجيش السعودي في حملتين الأولى اتجهت نحو الشمال والثانية نحو الجنوب وذلك لتطويق الثائرين.

وعندما شعر فيصل الدويش بالخطر المحدق به تراجع ومعه سلطان بن بجاد ولكن هذا الانسحاب كان بطيئاً الأمر الذي أرغمهما على خوض المعركة في موقع (السبلة) بالقرب من الارطاوية. وقد انسحب سلطان بن بجاد مع قوة صغيرة من جماعته نحو الشمال وكانت المعركة حامية دامت ساعتين ألتقت فيها صدور الرجال بالرجال إلى أن سقط فيصل الدويش جريحاً.

أحضر الدويش إلى الملك وكان في حالة خطرة أعجزته عن الكلام وقد عفا الملك عنه بعد أن أخذ منه العهود والمواثيق بالالتزام بالطاعة ثم نقل إلى بيته في الارطاوية وشفي من جراحه الخطرة وأصبح يمشي على قدميه. وبعد ثلاثة أيام من صدور العفو عن فيصل الدويش استسلم سلطان بن بجاد في بلدة (شقرا) دون قتال. فأمرت عليه محكمة مؤلفة من قضاة الشرع بالسجن مدى الحياة لكونه خطراً على الأمن ولا يؤمن شره فأودع السجن في (قلعة الرياض).

أما العجمان فقد أخضعهم الأمير عبد الله بن جلوي أمير المقاطعة الشرقية وفر رئيسهم ضيدان بن حثلين إلى الكويت.

عودة فيصل الدويش إلى الثورة:

وبعد أن شفي فيصل الدويش من جراحه الخطرة أخذ يعد العدة للقيام بثورة جديدة على نطاق واسع. ولما علم جلالة الملك عبد العزيز آل سعود بذلك وجه إليه سرية من عشيرة (سبيع) بقيادة (أبو ثنين) فخرج الدويش لمقاتلتها فقاتلها وأبادها عن اخرها، ونهب عشيرة سبيع وقد حدثت هذه المعارك في موقعي (القاعية والدجاني) وأصبح وضع فيصل الدويش حرجاً بعد هذه المعركة فترك الارطاوية وأستقر بين الكويت والإحساء وأشتهر أمره والتفت حوله عشيرة مطير وعشيرة عتيبة وجماعة من شمر وفرقة السلكة من العمارات براسة الرفدي واتفق معه فرحان بن مشهور من الرولة وفيصل الشيلان من الحبلان ومشرف بن لامي من مطير وهزاع الدويش وابن حجنه وعلي ابو شويربات وعلي بن عشوان ومحمد الخضري من مطير العشوان وفرقتي الريزان والعبيات من مطير ويقدر عدد هؤلاء جميعاً بثلاثة آلاف مسلح. واستطاع فيصل الدويش أن يستميل قسماً من العجمان بقيادة ابن حثلين الذي عاد سراً من الكويت وفي الوقت ذاته اشتعلت نار الثورة في الإحساء فصمم عبد الله بن جلوي أميرها على ضرورة القضاء على المتمردين وأخذ يجمع المجاهدين من القبائل والقرى وعهد إلى ابنه الأكبر الأمير فهد بقيادة تلك القوات والتفت جموع الطرفين في معركة استعرت في موقع (الصرار) وقد أرسل فهد بن جلوي رسولاً إلى (ربيعان بن حثلين) رئيس العجمان وتعهد له بحمايته واعطاه (الخط والبخت) وطلب منه مواجهته فلبى ربيعان دعوة فهد الذي قد أعد لضيفه (الشاي والقهوة). ثم فرغ في صدره عدة طلقات نارية أردته قتيلاً فثارت ثائرة جماعة ربيعان وعاضدهم العجمان الموالون لفهد فقتلوه ثم التحقوا بالدويش بعد أن جعلوا ابن حثلين)

المدعو نايف ابو الكلاب رئيساً عليهم هذا هو السبب الذي دعى العجمان الموالين لجلالة الملك عبد العزيز يثورون عليه.

وفي رواية: أنه بعد معركة (الصرار) شعر ابن حثلين برجاحة كفة فهد بن جلوي على القوات الثائرة فتوجه بعدد من قومه إليه وترجل عن جواده قاصداً خيمته وأعلن ولاءه له. ولكن حدث ما أذهل الأفكار وأبعدها عن الصواب ذلك أن ابن حثلين لم يعد إلى قومه حتى المساء فظنوا أن الأمير فهد قد فتك به وثار غضبهم فهاجموا المعسكر السعودي تحت غسق الليل وظن الأمير فهد بن جلوي بدوره أن مجيء ابن حثلين ينطوي على المكر والخداع فقام عليه وقتله في خيمته وكان ذلك إيذاناً بالتهاب القتال اندفاعاً وراء الأخذ بالثأر وهب حرس الأمير فهد وهم من العجمان الموالين على أميرهم فأردوه قتيلاً وانفصل العجمان الموالون عن القوات السعودية والتحقوا بعشيرتهم الثائرة.

جرت جميع تلك الأحداث وجلالة الملك عبد العزيز في (مكة المكرمة) ولما علم أرسل إلى سمو نجله الأكبر الأمير سعود (جلالة الملك سعود فيما بعد) بأن يتحرك حالاً على رأس قوة كبيرة إلى الإحساء لمقابلة العجمان بينما خف الملك إلى الرياض. وتمكن الأمير سعود من تمزيق الثائرين بسرعة وأنزل بهم الضربة القاضية وذلك في أخر خريف سنة ١٩٢٩م.

أسباب قيام المشاهير ومرضي الرفدي بالثورة على الملك عبد العزيز:

يطلق اسم الدوشان: على جماعة فيصل الدويش.

ويطلق اسم المشاهير: على جماعة فرحان بن مشهور وفرحان بن مشهور هو ابن عم (نوري الشعلان) رئيس عشيرة الرولة في الشام: نزح من سوريا لخلاف جرى له مع أقاربه وسكن نجد بعد أن تدين فأسكنه الملك عبد العزيز (جرية) ومرت الأيام وإذا بفرحان بن مشهور يجمع الجموع ويهاجم عشيرة (الرولة) قاصداً الانتقام من ابن عمه نوري الشعلان إلا أنه أخفق في هذه الغزوة واعاد الكرة بعد أن أصطحب معه ابن حاكم الجوف فأخفق في هذه المرة أيضاً وقتل ابن حاكم الجوف بيد عشيرة الرولة. ولما رجع إلى الجوف وجد أبوابها قد سدت في وجهه فحاصرها ولما علم بذلك (ابن مساعد) أمير حائل أرسل سرية لإنقاذ الجوف منه ولكن كان مصير هذه السرية الفناء على يد ابن مشهور وتم له فتح الجوف حيث فتك بأهلها فتكاً ذريعاً ثم التحق بالدويش معلناً الثورة على الملك عبد العزيز آل سعود.

أما (مرضي الرافدي) هذا فهو رئيس عشيرة السلكة من العمارات كان متفقاً مع ابن (هذال) ولكنه لأمر ما غزا أحد العشائر من غير رضى ابن هذال فحدثت بينهما القطيعة وارتحل مرضي إلى نجد وتدين واعطاه الملك عبد العزيز آل سعود على الأثر مكاناً (بالشعيبة) ليزرع فيه إلا أن خلافاً حدث بينه وبين الملك أدى إلى التحاقه بفرحان بن مشهور الذي كان عائداً من الجوف وهكذا صار الرفدي مع الدويش .

قيام الملك عبد العزيز بحملة تأديبية :

بعد المعركة الفاصلة في الإحساء التي قادها الأمير سعود في آخر خريف سنة ١٩٢٩م بقي فيصل الدويش يقود بضعة آلاف ممن انضم إليه ومعه فرحان بن مشهور السالف الذكر فتوجهت القوات السعودية نحوهم تريد تطويقهم ولكن الدويش تمكن من الإفلات وأنحصر بقواته في زاوية بين العراق والكويت وكان أمام أحد أمرين أما القتال واما الانهزام إلى الكويت أو العراق .

ولما رأى جلالة الملك عبد العزيز آل سعود قيام هؤلاء الرؤساء عليه أعد لهذا الأمر عدته فقرر القيام بحملة تأديبية وطلب من الحكومة العراقية عدم السماح باجتياز الحدود للثائرين وأصبح موقف الثوار حرجاً للغاية وحاروا في أمرهم وضعفت قوتهم المعنوية خصوصاً بعد أن ألتقى الأمير عبد العزيز بن مساعد أمير حائل بعبد العزيز بن فيصل الدويش (عزيز) في أم الرضمة فوقعت بين الفريقين موقعة دامية قتل فيها ولد الدويش عزيز .

وفي ٣٠ كانون الأول سنة ١٩٢٩م قامت قوة عظيمة من مختلف العشائر تتألف من:

أ- محسن الفرم: رئيس عشيرة حرب .

ب- مشل الطوالة: رئيس عشيرة الاسلم من عشيرة شمر في نجد .

جـ- عجمي آل سويط: رئيس عشيرة الضفير .

وتقدر هذه القوة بألفي محارب بين خيال وهجان وقد هجمت هذه القوة الكبيرة على الدويش وصحبه في موقع يسمى (الضرابين) من الباطن داخل الأراضي النجدية وذلك في يوم ٢٩/١٢/١٩٢٩م وقد كان هؤلاء موتورين من الدويش فانتهزوا الفرصة السانحة للانتقام في الموضع المذكور قرب (الحفر) ونهبوهم وأشعلوا النار في خيمة الدويش ولم يكن لهؤلاء علم

بوجود الملك عبد العزيز آل سعود قرب (الصافة) الماء المعروف حيث أن الملك عبد العزيز قد خرج هو بنفسه يقود القوات مستعيناً بالسيارات والمدافع الرشاشة .

تسليم فيصل الدويش نفسه للانكليز:

ولما عجز الثائرين من المقاومة فروا إلى الكويت تاركين وراءهم قتلاهم وجرحاهم ومرضاهم وأثقالهم. وسلم فرحان نفسه إلى الحكومة العراقية بدون قيد ولاشرط، أما فيصل بن سلطان الدويش فأنه أنهزم من (الجهرا) في الكويت قاصداً (البصرة) في العراق ملتجئاً إلى الانكليز فأخذوه إلى ظهر مدرعة حربية في الخليج وحيال إصرار وإلحاح جلالة الملك عبد العزيز آل سعود على الإنكليز بتسليمه مع من معه من رفاقه وهم نايف بن حثلين رئيس العجمان وابن لامي شيخ فرقة الحبلان من مطير وغيرهما فقبلوا ذلك وأرسلوا فيصل الدويش في الطائرة إلى خيام جلالته وكانت منصوبة في (خباري وضحة) .



مؤتمر خباري وضحة

مؤتمر خباري وضحة :

كانت المفاوضات جارية بين جلالة الملك عبد العزيز آل سعود والحكومة البريطانية بخصوص تسليم العصاة إليه إذا لجأوا إلى حدود العراق والكويت وبعد استسلام الإخوان ألفت الحكومة البريطانية في ١٩ كانون الثاني سنة ١٩٣٠م وفداً من الكولونيل (بيسكو) رئيس قناصل الخليج يساعده الكولونيل (ديسكو) قنصل بريطانيا في الكويت. وفي العشرين منه سافر هذا الوفد على الطائرة (فيكتوريا) إلى خبارى وضحة في جنوب الكويت حيث عقد المؤتمر واستمر منعقداً نحو أسبوع وانتهى بموافقة الحكومة البريطانية على تسليم الدويش ورفقائه على أن يبقي الملك على حياتهم وعلى أن يتعهد بتسليم المنهوبات التي نهبها هؤلاء من أهل الكويت والعراق وإعادتها .

وفي ٢٨ كانون الثاني وصل الكولونيل ديكسون وقائد البارجة الحربية في طائرة انكليزية ومعه الدويش ورفقاؤه المعتقلين إلى محل الاجتماع ومن ثم أقلتهم السيارات إلى خيمة جلالة الملك. فأمر الملك ان ينقل الدويش وزملاؤه إلى خيمة قريبة منه وأحاطها بالحرس وبعد ثلاثة أيام نقلوا في سيارات إلى الرياض حيث اعتقلوا فيها ورافق فيصل الدويش سلطان بن بجاد في سجنه وظل في السجن إلى أن توفى وهكذا انتهت ثورة الإخوان على جلالة الملك عبد العزيز آل سعود .

الكويت

الكويت

علاقات الزبير بالكويت :

الكويت أقرب المدن إلى الزبير من حيث تشابه العادات والأخلاق والطبائع وحتى من حيث اللهجة في الكلام يضاف إلى ذلك تقارب النسب.

فالأغلبية الساحقة من أهل الزبير والكويت انحدروا من مكان واحد هو (نجد) وذلك لأسباب مختلفة وفي أوقات متفاوتة ومن تلك الجماعات المنحدرة من نجد من اناخ في (الكويت) ومنها من حل في (الزبير). هذا وأغلب أسر الزبير النجدية الأصل لابد وأن يكون لها طرف آخر في الكويت وقد كانت أبواب الزبير مفتوحة للكويت كما أن أبواب الكويت مفتوحة للزبير ولاسيما في عهد الشيخ جابر العبد الله آل صباح حاكم الكويت أثناء التنازع على مشيختها بين العائلات التي حكمتها وحصار المنتفق للزبير سنة ١٢٤٨هـ يضاف إلى ذلك المصاهرة قديماً وحديثاً وانتقال أكثر أسر الزبير في الوقت الحاضر إلى الكويت ولذا نرى توضيحاً للناحية التاريخية وتبسيطاً لها أن نأتي بلمحة موجزة عن الكويت منذ تأسيسها حتى يومنا هذا .

موقع الكويت وحدودها :

(الكويت أشهر من نار على علم في عصرنا الحاضر) تقع بين البصرة والإحساء يحدها شمالاً العراق وجنوباً المملكة العربية السعودية وشرقاً الخليج العربي وغرباً المملكة العربية السعودية أيضاً .

المساحة والنفوس :

تبلغ مساحة الكويت خمسة عشر ألف كيلو متر مربع تقريباً، وهناك منطقتان للحياد تبلغ مساحتهما خمسة آلاف وسبعمائة كيلو متر الأولى بين الكويت والمملكة العربية السعودية وتقع جنوبي الكويت وأما منطقة الحياد الثانية فهي بين الكويت والعراق والمملكة العربية السعودية وتقع شمال غربي الكويت .

وفي أوائل الحرب العالمية الثانية قدرت دائرة التموين في الكويت أن عدد سكان الكويت (ثمانون ألف نسمة) وفي إحصائية سنة ١٩٥٧ بلغ عدد سكان الكويت (مائتين وستة آلاف نسمة) ويبلغ عدد سكان الكويت الآن أكثر من نصف مليون نسمة بما في ذلك الأجانب المقيمون فيها .

تأسيسها :

لقد تضاربت الآراء في تاريخ تأسيس مدينة الكويت فمن المؤرخين من يزعم أن تاريخ تأسيسها كان في سنة ١٨٠٣هـ ومنهم من يقول أن تاريخ تأسيسها كان في عام ١١٢٥هـ ومنهم من يظن أن تأسيسها كان في عام ١٠٢٢هـ إلى القول الأخير ذهب الشيخ مبارك الصباح حينما طلب منه (محسن باشا) والي البصرة أن يخبره بالتحقيق عن تاريخ تأسيس مدينة الكويت، فأجابه الشيخ مبارك بكتاب يقول فيه أن تاريخ مدينة الكويت يرجع إلى سنة ١٠٢٢هـ الموافق سنة ١٦١٣م .

سبب تسميتها :

لقد كانت الكويت فيما سبق من الأراضي المندمجة في إمارة الإحساء وواقعة ضمن حدودها الشمالية. ولما استخلص الأمير (براك بن عريعر) أمير بني خالد الإحساء من يد الأتراك أصدر أمره بإنشاء (قصر كبير) في موقعة بمدينة الكويت الحالية ليتخذ ملجأ لقواته المحافظة على الحدود وليودع فيه ذخيرة وزاد ليتمون منه إذا ما أراد القدوم إلى تلك المنطقة .

وبعد تشييد ذلك الحصن أخذت بعض القبائل العربية الرحل وقسم من الساكنين في السواحل الإيرانية من الخليج العربي يتوافدون إلى أطراف ذلك الحصن ثم شيدت حوله بعض البيوت الصغيرة. ثم تداعى قسم من أركان ذلك الحصن فأعيد بناؤه بشكل أصغر مما كان عليه سابقاً فعبر عنه (كويت) تصغيراً لكلمة كوت. ويرجح أن حصن ابن عريعر قد شيد قريباً من موقع المستشفى الأمريكاني اليوم. ومن المعروف أن إنشاء المدن لا يتم في وقت قصير ولعل إنشاء مدينة الكويت كان في بادئ الأمر بإقامة أكواخ صغيرة ثم بنيت البيوت ثم تدرجت في العمران شيئاً فشيئاً .

هذا وأن اختلاف الآراء بتاريخ التأسيس يعود إلى أن هناك من اعتبر إقامة الأكواخ منشأ للتأسيس ومنهم من اعتبر تاريخ البناء بالطين هو المنشأ .

ارتقاؤها :

لم يكن للكويت في عصورها الأولى هذا المقام من الشهرة فقد كانت مدينة شبه مهملة فالمواصلات بينها وبين العالم الخارجي بسيطة إن لم تكن معدومة ، وقد كانت دوماً وأبداً مهددة بالحروب والغزوات ولكثرة الفتن والحروب في نجد والإحساء وغيرها أحدث في داخل نجد محلاً وقحطاً وغلاء وذلك في أواخر القرن الحادي عشر الهجري، فتوالت الهجرة من نجد إلى سواحل الخليج العربي طلباً لكسب المعيشة والمتاجرة بأمان وقد أم الكويت كثير من أولئك المهاجرين فأزداد سكان الكويت ونمت نمواً سريعاً، ولما تولى الشيخ مبارك الصباح شئون الحكم في الكويت في أواخر سنة ١٣١٣هـ توجهت إليها الأنظار واستتب بها الأمن واشتهر أسمها بين أقطار العالم وانتعشت فيها التجارة وأصبحت سوقاً رائجاً لبادية نجد وغيرها .
وقبيل الحرب العالمية الأولى انتشر اسمها في المحافل الدولية بسبب النزاع السياسي الذي كان سائداً بين الحكومتين الألمانية والبريطانية والعثمانية متفقتين على مشروع سكة حديد بغداد أن يربط الأناضول ببغداد ماراً عبر الجزيرة العربية إلى الخليج العربي ومنتهياً في الكويت .

وحاولت بريطانيا إحباط ذلك المسعى وإيقاف الخط صيانةً لنفوذها في الخليج وقد تم للحكومة البريطانية ما أرادت. أما بعد اكتشاف النفط في أراضيها فقد ازدادت أهميتها السياسية والاقتصادية حتى أصبحت من أوفر الإمارات العربية الواقعة على الخليج العربي عمراناً وتقدماً فهي ذات ثروة واسعة وما زالت في طريق التقدم والازدهار .

حكام الكويت :

جميع الحكام الذين قبضوا على زمام الحكم في الكويت من آل صباح وذلك منذ تأسيسها حتى يومنا هذا .

آل صباح :

ينتسب الصباح حكام الكويت وآل خليفة حكام البحرين وآل سعود حكام المملكة العربية السعودية إلى قبيلة (عنزة) وعنزة من القبائل العربية المشهورة ورئاسة قبيلة عنزة اليوم في آل هذال .

هذا وكما هو معروف أن العرب ينقسمون إلى قسمين (القحطانيون) وهم العرب العرباء (والعدنانيون) وهم العرب المستعرب به وينقسم العدنانيون إلى شعبين هما (ربيعة ومضر) وتنقسم ربيعة إلى قسمين (بني اكلب وبني أسد) وتنقسم بنو أسد إلى بطنين (جديله وعنزة) وتنقسم عنزة كغيرها إلى أفخاذ عديدة ومن تلك الأفخاذ (جميلة) بالتصغير وتنقسم جميلة إلى عدة فروع منها (الشملان) وتنقسم الشملان إلى عدة فصائل منها (آل صباح).

(يطلق لفظ العتوب أو بني عتبه على آل صباح حكام الكويت وآل خليفة حكام البحرين) وعنزة أبن أسد بن ربيعة بن نزار وهنا يجتمع آل صباح مع (النبي محمد صلى الله عليه وسلم) في نزار. ونزار بن معد بن عدنان بن أد بن أدد بن الهميسع بن سلامان بن حمل بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم خليل الله بن نارح بن ناحور بن شاروخ بن أرغو بن فالغ بن عابر وهو نبي الله هود عليه السلام. وفيه يلتقي (عدنان وقحطان) والعدنانيون ينتسبون إلى عدنان أما القحطانيون فأنهم ينتسبون إلى قحطان بن عابر. وعابر بن سالخ بن أرفخشر بن سام بن نوح ونوح عليه السلام هو أبو البشر الثاني لأن ما قبله من أولاد (آدم) لم يبق لهم نسل من بعد الغرق في الطوفان وقد جاء في القرآن الكريم (في سورة الصافات أية ٥٧-٨٢) ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ونجيناه وأهله من الكرب العظيم وجعلنا ذريته هم الباقين إلى قوله تعالى ثم أغرقنا الآخرين).

ونوح عليه السلام ابن لمك بن متو شلخ بن اخنوخ وهو نبي الله (ادريس) عليه السلام بن اليارد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث ابن آدم أبي البشر عليه السلام. وقد أوصى النبي محمد صلى الله عليه وسلم أن لا يخرج العرب في أنسابهم على (قحطان وعدنان).

موطن آل صباح الأصلي وسبب هجرتهم منه:

نجد هي موطن الصباح الأصلي وكانوا يسكنون في مقاطعة (الأفلاج) وفي أرض يقال لها (الهدار) أما سبب هجرتهم من نجد كما ذكر (الشيخ عبد العزيز الرشيد) في كتابه تاريخ الكويت نقلاً عن لأستاذ المحقق (الشيخ إبراهيم بن محمد الخليفة) في بيان السبب في ارتحال الصباح والخليفة من نجد كان نتيجة لنزاع حصل بينهم وبين بني عم لهم من بطن جميلة من عنزة، وأخيراً تغلبوا على خصومهم وهناك اجتمعت بطون الدواسر وركز كل بطن رمحاً وخيروا الجميليين في الرمح الذي يريدون الالتجاء تحت ظله وحمايته فأختاروا رمح آل حسن وزحفوا معهم على الهدار والبلد لم تخل من مناصر لهم علاوة على مساعدة الدواسر فتم لهم التغلب عليها وأخرجوا منافسيهم من آل صباح وأخوانهم.

البلاد التي مر عليها صباح قبل سكناهم الكويت:

انحدر آل صباح من نجد واستوطنوا بلدة (الزبارة) الواقعة في شبه جزيرة (قطر) على ساحلها الغربي المقابل إلى البحرين. وكان حكام قطر آنذاك (آل مسلم) ثم طلب منهم مغادرة البلاد بسبب قتل أحدهم رجلاً من أهل قطر وقد لبى الصباح ومن معهم الطلب وغادروا قطر. وقد جهز آل مسلم حكام قطر سفناً وساروا لمطاردتهم إلى أن أدركوهم في (رأس تنوره) وعندما أبصرهم الصباح مقبلين نحوهم استعدوا للقتال وجرى بين الطرفين قتال شديد كان النصر فيه حليف الصباح.

بعد النصر الذي أحرزه الصباح على المسلم لم يعودوا إلى قطر لعدم رغبتهم فيها فتوجهوا إلى (قيس) من بلاد فارس. وفي رواية أخرى، أنهم قصدوا (المخراق) الواقعة جنوب البصرة والقريبة من الفاو ولكن لم يطب لهم المقام في المخراق فتحولوا إلى (الصبية[1]) ثم غادروا الصبية وحلوا في الكويت.

هذا وقد كان نفوذ قبيلة (بني خالد) وأمراؤها (آل عريعر) ممتداً على طول سواحل الخليج العربي وذلك من جنوبي مدينة البصرة شمالاً حتى قطر جنوباً وبعد أن ظهر (الشيخ محمد بن عبد الوهاب) بالدعوة الإصلاحية في نجد سنة ١١٥٧هـ وناصره (الأمير محمد بن سعود) أخذ نفوذ بني خالد يتلاشى شيئاً فشيئاً وفي سنة ١١٧٨هـ تحالف ابن عريعر أمير بني خالد وحاكم نجران (حسن بن هبة الله) وتواعدا على الزحف على الدرعية للقضاء على الدعوة الدينية. غير أن حاكم نجران رجع قبل وصول قبائل بني خالد وأميرهم ابن عريعر ولذا فأن جموع بني خالد ومن ألتف حولهم من العجمان رجعت بعدما وصلت قرب (الدرعية) وفي سنة ١١٧٩هـ توفي الأمير محمد بن سعود فتولى الإمارة بعده ابنه (الإمام عبد العزيز) وأخذ يواصل الغزوات. وفي سنة ١٢٠٨هـ استولى على الإحساء وقضى على بني خالد قضاءً تاماً ويقول الشيخ حافظ وهبه رحمه الله في كتابه (جزيرة العرب في القرن العشرين) في سنة ١١٢٩هـ الموافق ١٧١٦م تحالف (الشيخ سليمان بن أحمد رئيس آل صباح) و(خليفة بن محمد رئيس آل خليفة) و(جابر العتبي رئيس الجلاهمة) فاستخلصوا الكويت من الفرس واتخذوها موطناً لهم. واتفقوا فيما بينهم على أن يتولى الصباح شئون الحكم والخليفة التجارة والجلاهمة العمل في البحر على أن يقسم الجميع الأرباح بينهم بالتساوي.

(١) يقال أن الصبية مدينة قديمة سميت بهذا الاسم نسبة إلى الصابئة حيث كانوا يسكنون فيها في الزمن السابق ثم تحولوا عنها وسكنوا العراق.

هجرة آل خليفة من الكويت إلى الزبارة:

وفي هجرة آل خليفة من الكويت إلى الزبارة يقول الشيخ حافظ وهبه في كتابه وبعد مضي خمسين سنة من الحلف سنة ١٧٦٦م رأى ابن خليفة أن ينفصل عن الحلف فعرض على حلفائه رأيه بالانفصال عنهم وصرحوا له بترك الكويت مع بعض أفراد عشيرته فتركها ونزل (الزبارة).

ويقول المرحوم الشيخ محمد بن خليفة النبهاني المتوفي في البصرة في خريف سنة ١٩٤٧م في كتابه (التحفة النبهانية) الطبعة الثانية سنة ١٣٤٢هـ وفي تاريخ البحرين كان الشيخ خليفة هو وقومه في أرض (الهدار) من بلدان الافلاج من نجد وكان هو صاحب الرأي فيهم فاستحسن مبارحة نجد فظعن مع قومه ونزل الكويت في القرن الثاني عشر الهجري لأسباب مجهولة ربما كان القصد منها حب الاستقلال والسعي وراء تشييد مملكة يكون هو ملكها وأقام في الكويت إلى أن توفي فتقلد الأمر بعده ابنه محمد بن خليفة فحصل له جور وتعديات أمراء المحمرة الذي كان لهم نفوذ مطامع في تلك الجهات ما أزهده في سكنى الكويت وحبب إليه الرحيل فظعن بقومه ونزل بهم الزبارة من (بر قطر) ومضى النبهاني قائلاً، لما ظعن الشيخ محمد بن خليفة من الكويت إلى الزبارة كان له من الولد خمسة أبناء أكبرهم الشيخ خليفة ثم الشيخ حمد ثم الشيخ علي ثم الشيخ مقرن ثم الشيخ إبراهيم.

سكنى آل خليفة الزبارة ثم استيلاؤهم على الحكم:

ولما استقر الخليفة بأرض الزبارة واستتب الحكم بها أراد أمراء قطر وهم يومئذ (آل مسلم) أن يضعوا عليهم خراجاً فامتنع الشيخ محمد من إعطائهم ذلك وتحصن في الزبارة ببناء قلعة عظيمة تسمى اليوم (قلعة مرير) كان قد بناها في الطرف الشمالي من بر قطر خصيصاً لهذه الغاية وذلك سنة ١١٨٢هـ.

وقد تمكن الشيخ محمد بن خليفة من حفظ حكمه على تلك الأراضي وصد المهاجمين وبقي حاكماً في الزبارة إلى أن توفي بها فقام بالأمر من بعده أكبر ابنائه الشيخ خليفة بن محمد. وفي أواخر سنة ١١٩٦هـ توجه الشيخ خليفة لأداء فريضة الحج وأقام أخاه الشيخ أحمد على الحكم مقامه وبعد أداء فريضة الحج تمرض بمكة المشرفة ثم توفي بها سنة ١١٩٧هـ. وفي سنة ١١٩٧هـ حصل اختلاف بين سكان جزيرة البحرين وأهل الزبارة.

إمارة آل مذكور على البحرين:

لما استتب الأمر (لنادر شاه) ملك العجم على البحرين جعل عليها من قبله الشيخ (غيثا وآخاه الشيخ ناصر المذكور) وبعد وفاتهما قام من بعدهما أخوهما الشيخ نصر المذكور.

استيلاء آل خليفة على البحرين:

وفي سنة ١١٩٧هـ زحف ناصر المذكور أمير البحرين بجيشه على الزبارة وساق جنوده يقودها بنفسه وتواقع مع الخليفة وجرت بينهما معركة أسفرت عن انكسار الشيخ نصر وفراره إلى (أبي شهر) وترك البحرين. فذهب إليها الخليفة واستولوا عليها وعادت البحرين لأهلها العرب بعدما نزعها منهم الشاه عباس وتسمى هذه الوقعة (وقعة نصور) وكانت في ١٨ جمادي الثانية سنة ١١٩٧هـ. على هذا يكون أحمد بن خليفة مؤسس حكم آل خليفة في البحرين وقد توفي في سنة ١٢٠٩هـ ودفن في (مقبرة المنامة).

آل صباح حكام الكويت

الحاكم الأول - صباح الأول

قال المرحوم الشيخ عبد العزيز الرشيد في كتابه (تاريخ الكويت) لا نعرف عن صباح شيئاً، إلا أنه أول حكام ذلك البيت وأنه الذي تأسست الكويت في عهده وأنه زعيم تلك العائلة التي حكمت الكويت وأنها التي تنسب إليه.

ويقول الأستاذ سيف مرزوق الشملان في كتابه (من تاريخ الكويت) بعد ما كبرت الكويت رأوا من الضروري أن ينصبوا رجلاً منهم يكون أميراً عليهم فوقع اختيارهم صباح الأول جد أسرة آل صباح هذا وقد اختلفت الروايات في سبب اختيار صباح الأول بن جابر لحكم فمنهم من قال هو أنه كانت لوالده الزعامة على قومه منذ أن كانوا في نجد وقال آخرون لكونه طوال السنة مقيماً في الكويت.

والخلاصة -أن صباح لبى طلبهم أن يكون أميرا عليهم بعدما أخذ منهم العهد على السمع والطاعة له فوافقوه. كما أنه لا تعرف السنة التي اختير فيها صباح الأول للحكم ولا أعماله ولا عن الحوادث التي جرت في عهده.

وإذا صح ما ذكره النبهاني في هجرة آل خليفة من الكويت إلى الزبارة وأن الشيخ محمد بن خليفة تقلد الأمر بعد والده خليفة الذي توفي في الكويت.

وذكره عن (قلعة مرير) التي أسسها محمد بن خليفة في الزبارة سنة ١١٨٢هـ تكون هجرة آل خليفة قبل هذا التاريخ - والله أعلم وقد توفي الشيخ صباح على ما يقال سنة ١١٩٠هـ الموافق ١٧٧١م وتولى الحكم من بعده أبنه عبد الله.

الشيخ عبد الله بن صباح بن جابر

تولى الحكم بعد وفاة والده الشيخ صباح بن جابر سنة ١١٩٠هـ.

أهم الحوادث فى عهده:

وقعة (الرقة):

في عهد الشيخ بن صباح طمعت قبيلة بني كعب[1] في الكويت وجاء بنو كعب فعلاً لاحتلال الكويت بسفنهم واستعد أهل الكويت وساروا بسفنهم لقتالهم فجرت بين الطرفين معركة حامية في مكان (الرقة) وهي قطعة من البحر قرب (جزيرة فيلكا) يقل فيها الماء وقت الجزر بحيث لا تطيق السفن المتوسطة المرور منها وقد انتصر أهل الكويت في هذه المعركة ولم نقف على تاريخ السنة التي جرت فيها هذه المعركة.

نزول سعود بن عبد العزيز على الجهراء:

وفي عهد الشيخ عبد الله خيم الإمام سعود[2] بن عبد العزيز على (الجهراء) في أحد غزواته على بعض البوادي وقيل أنه يريد الاستيلاء على الكويت حيث أنه بعدما غادر الجهراء نزل (الشامية) وهي مورد أهل الكويت ولم يذكر تاريخ الكويت السنة التي نزل فيها الإمام سعود على الجهراء.

غزوة إبراهيم بن عفيصان على الكويت:

وفي سنة ١٢٠٨هـ غزا (إبراهيم بن عفيصان) الكويت بمن معه من أهل الزبير وهم أهل العارض والخرج وسدير، ولما وصل بن عفيصان ومن معه الكويت دارت بين الطرفين مناوشات أسفرت عن هزيمة أهل الكويت بعد أن قتل منهم نحو ثلاثين رجلاً.

(١) قبيلة بني كعب. قبيلة عربية مشهورة من سبيع كانت تسكن البصرة ثم حدث خلاف بينها وبين الحكومة العثمانية طردتها على إثره من البصرة وسكنت الأحواز التي يلفظها الإيرانيون أهوز، وهي منطقة عربستان المعروفة وكانت لبني كعب إمارة كبيرة ومشهورة وآخر امرائها هو الشيخ خزعل بن جابر بن مراد.

(٢) ذكر ابن بشر في كتابه (عنوان المجد في تاريخ نجد) عن حوادث سنة ١٢٠٣هـ قائلاً فيها سار سعود ابن عبد العزيز بالجيوش المنصورة وقصد المنتفق فوجدهم بالموضع المعروف بالروضتين بين المطلاع وسفوان فناوخهم وأخذ من محلتهم خياماً وأمتعة ثم رجع وورد الماء المعروف بالوفرة.

هجوم أبو رجلين على الكويت:

وفي سنة ١٢١١هـ هجم (مناع أبو رجلين) ومن معه من أهل الإحساء على الكويت وقتل عدد من الرجال وأخذ ما معهم من سلاح. وبعد هاتين الغارتين غارت بن عفيصان سنة ١٢٠٨هـ وغارت ابو رجلين سنة ١٢١١هـ استعد الكويتيون للأخذ بالثأر فجهزوا سرية تولى قيادتها (مشاري بن عبد الله الحسين) وكان ذلك سنة ١٢١١هـ.

إقامة أول سور لحماية الكويت:

وفي أواخر عهد الشيخ عبد الله أقيم أول سور للكويت لأجل حمايتها وفي سنة ١٢٢٩هـ توفي الشيخ عبد الله رحمه الله ولم يترك من الذكور إلا ولداً واحد اسمه (جابر) تولى الحكم بعده.

الشيخ جابر بن عبد الله بن صباح

تولى الحكم بعد وفاة والده الشيخ عبد الله سنة ١٢٢٩هـ وكان جابر قد هجر الكويت وذهب إلى البحرين لمغاضبته والده وقد أقام هناك إلى أن توفي والده فأقام الكويتيون (محمد السلمان) على منصة الحكم نائباً عنه وكان ميلهم إلى جابر شديداً جدا لأخلاقه العالية وكرمه. فأرسلوا إليه يستقدمونه وما أن وصل الكويت حتى مدت له يد الطاعة وبويع له بالإمارة فور وصوله.

وقد كان جابر كريماً جواداً سخياً حتى أنه لقب (بجابر العيش) والعيش هو الأرز في لغة أهل الخليج ويقال عن كرمه وجوده أنه في أحد سنين حكم جابر انقطع المطر وأجدبت الأرض وكاد معظم الفقراء من أهل البادية يموتون جوعاً ولكن جابر اعد بيتاً خاصاً وجعل فيه طهاة وخدماً وأخذ الفقراء والمعوزين من أهل الكويت والبادية يأتون هذا البيت يأكلون ويشربون على نفقته. كما أنه بكرمه وسخائه جذب قلوب الناس له وللكويت وهو الذي قال فيه الشاعر (محمد الحمد اللعبون) مخاطباً الشاعر (عبد الله بن ربيعة):

يا عبيد ابن عمك خواله بياسير	وعينك عمت من شوف عيبك وعاره
وان طعتني عن السباع المضاهير	عندك (أخو مريم) تسلفط بداره
(أبو صباح) ريف ركب معايير	هو زين مضيوم جلا عن أدياره
جابر لكم سدره وانتم عصافير	اذا خيم عصفور لجا في جواره
يستاهل البيضاء بروس المقاصير	أولاده اللي كلبوهم نماره

وفي عهد جابر سنة ١٢٤١هـ ألتجأ إلى الكويت (محمد بن إبراهيم آل ثاقب) حاكم الزبير بعد أن أخرجه أهل الزبير منها بتحريض من (علي باشا آل زهير) وأقام محمد آل ثاقب في الكويت وتزوجت ابنته من الشيخ صباح بن جابر. وفي سنة ١٢٤٣هـ عندما قتل (عزيز اغا) تسلم البصرة انذاك (جاسر بن محمد آل سميط) بتحريض من (آل راشد وآل زهير) كما ذكر في تاريخ الزبير.

غادر الكثيرون من أهل الزبير بلدهم متوجهين إلى الكويت. وفي سنة ١٢٤٩هـ عندما حاصر المنتفق الزبير وقتلوا حاكمها (الشيخ عبد الرازق آل زهير وأخوته) صبراً فر من الزبير (سليمان بن عبد الرازق آل زهير ومعه الشيخ راشد بن ثامر آل سعدون) قاصدين الكويت للاحتماء بحاكمها الشيخ جابر وفي عهد الشيخ جابر قصد الكويت الشاعر المشهور (محمد بن حمد اللعبون) حينما ارغمه علي باشا آل زهير حاكم الزبير على المغادرة ثم أن ابن لعبون المذكور غادر الكويت إلى البحرين ثم عاد منها إلى الكويت وتوفي فيها سنة ١٢٤٧هـ.

وفي سنة ١٢٤٢هـ عندما أمر الشيخ حمود بن ثامر زعيم المنتفق ابنه (ماجد) ان يتوجه إلى البصرة ويحاصرها تمهيداً للاستيلاء عليها بسبب أن والي بغداد (داود باشا) أمر بعزل الشيخ حمود عن مشيخة المنتفق وإسنادها إلى ابن أخيه الشيخ عقيل بن محمد بن ثامر واستقدم لمساعدة حمود سلطان مسقط وقبيلة بني كعب وكان متسلم البصرة يومئذ (عزيز اغا) وقد أخرج الشيخ حمود ومن معه المتسلم المذكور من البصرة فالتجأ المتسلم إلى الكويت ورمى نفسه في أحضان الشيخ جابر آل صباح فأنجده جابر بعدة سفن مملوءة بالرجال والمدافع والذخيرة وسار فيها إلى البصرة بنفسه وساعد في استرجاع البصرة واستخلاصها من القبائل وقد شكرته الحكومة العثمانية على مساعدته هذه وكافأته (بمائة وخمسين) كارة من التمر سنوياً.

وفي سنة ١٢٥٣هـ عندما استولت قبيلة بني كعب على المحمرة وطردت جنود الأتراك منها نهض الشيخ جابر وأهل الكويت لمساعدة الأتراك لإنقاذ المحمرة وف سنة ١٢٥٨هـ التجأ إلى الكويت (مصطفى أغا) هارباً من البصرة وقد طلبت الحكومة العثمانية من الشيخ جابر تسليمه فرفض لكونه دخيل والدخيل كما هي العادة المعروفة عند العرب لا يسلم (مصطفى أغا هذا كردي الأصل وكان متسلماً للبصرة للمرة الثانية).

ومن أشهر الحوادث التي جرت في عهد الشيخ جابر غزوة بندر السعدون رئيس المنتفق على الكويت ولكنه رجع عما عزم عليه (لعل ذلك في عهد إمارة بندر المذكور على المنتفق بين

سنة ١٢٥٩-١٢٦٤هـ حيث أننا لم نقف على تاريخ السنة). وقد غزا جابر بأهل الكويت قبيلة النصار لقتلهم رجلاً من أهل الكويت بدون سبب وقد أراد جابر تأديبهم فأدبهم فعلاً.

(النصار قبيلة عربية تسكن الضفة الشرقية من شط العرب) وفي سنة ١٢٧٦هـ توفي الشيخ جابر وتولى الحكم بعده ابنه صباح.

الشيخ صباح بن جابر بن عبد الله

تولى الحكم بعد وفاة والده الشيخ جابر ولم يحدث في عهده شيئاً من الحوادث المهمة (ومن أشهر ما جرى في زمانه).

أهم الحوادث فى عهده:

وقعة ملح:

وفي سنة ١٢٧٦هـ هجم (الإمام عبد الله الفيصل آل سعود) على العجمان وكانوا قرب (المقوع) في مكان يسمى (ملح) وقد التجأ بعض العجمان إلى الكويت وأرسل الإمام عبد الله إلى الشيخ صباح يطلب منه اخراج العجمان من الكويت غير أن الرسول أساء التعبير ويجوز أن تكون الإساءة بقصد من المرسل أو بدون قصد ولكن الإمام عبد الله عندما علم اعتذر من الشيخ صباح وظل العجمان في حماية الكويت.

معركة الطينة:

ثم تلتها في سنة ١٢٧٧هـ معركة الطينة في البحر قرب (كاظمة) وكانت بين الإمام عبد الله الفيصل آل سعود وبين العجمان والظفير والمنتفق انتصر فيها الإمام عبد الله وانهزم العجمان والظفير والمنتفق هزيمة شنعاء واعتصموا في البحر حيث غرقو في مائةِ وطنيه.

إقامة آل زهير الدعوى لاسترجاع الصوفية:

وفي مدة حكم الشيخ صباح اقام آل زهير حكام الزبير الدعوى ضد آل صباح مطالبين باسترجاع (الصوفية) أحد مقاطعات النخيل في البصرة مدعين أن الشيخ سليمان بن عبد الرزاق آل زهير وهب هذه المقاطعة إلى الشيخ جابر العبد الله آل صباح والد الشيخ صباح بدون أن يأخذ موافقتهم. وقد أحيلت الدعوى إلى المحاكم المختصة بالبصرة وجرت مرافعة

بين آل صباح وآل زهير وصدر قرار الحكم لصالح آل زهير ثم أن آل صباح أستأنفوا الدعوى وأخيراً صدر حكم لصالح الشيخ صباح. وكانت هذه المقاطعة قد وهبها الشيخ سليمان آل زهير إلى الشيخ جابر بعد لجوئه إلى الكويت تقديراً لما أسداه له الشيخ جابر وأخته (مريم) بنت عبد الله آل صباح من احترام وتقدير طيلة مدة إقامته في الكويت (راجع أحوال الزبير السياسية) وفي سنة ١٢٨٣هـ توفي صباح وتولى الحكم بعده ابنه عبد الله.

الشيخ عبد الله بن صباح بن جابر

بعد وفاة الشيخ صباح تولى الحكم بعده ابنه الشيخ عبد الله وفي زمانه زار الكويت (مدحت باشا) واتفق معه ان تكون الكويت (قائمقامية) تابعة إلى (ولاية البصرة) العثمانية وأن يكون الشيخ عبد الله قائمقاماً للكويت.

أهم الحوادث فى زمانه:

مساعدة عبد الله لجابر بن مرداو:

طلب الشيخ (جابر بن مرداو) حاكم المحمرة المساعدة من الشيخ عبد الله على قبيلة النصار فلبى طلبه وساعده حيث أرسل لمساعدته عشرين سفينة محملة بالمقاتلين ولكن مساعدات المنتفق ونجداتهم وصلت لمساعدة أمير بني كعب قبل وصول نجدة الكويت.

وعندما حدث الخلاف بين الشيخ جابر بن مرداو أمير بني كعب وبين قبيلة النصار على الرسومات كفل الشيخ عبد الله النصار ولكنهم لم يوفوا بعهدهم وأعلنوا العصيان فاضطر الشيخ عبد الله أن يجرد حملة لقتالهم واشتبك معهم وكانت الهزيمة على النصار، وأحتل الكويتيون (كوت النصار) المعروف شرق شط العرب.

مساعدة عبد الله للأتراك عن استيلائهم على الاحساء:

وفي سنة ١٢٨٨هـ عند استيلاء الأتراك على الإحساء طلب مدحت باشا من حاكم الكويت عبد الله المساعدة فساعده بقوتين الأولى بحرية يقودها هو بنفسه والأخرى برية يقودها أخوه الشيخ مبارك.

السعى بالصلح بين محمد آل خليفة وأخيه علي:

وفي سنة ١٢٨٥هـ التجأ إلى الكويت الشيخ محمد الخليفة (حاكم البحرين) بسبب خلاف حصل بينه وبين أخيه علي. وأخيراً أصلح الشيخ عبد الله بينهما وطلب من الشيخ علي آل خليفة أن يتنازل لأخيه الشيخ محمد آل خليفة في حكم البحرين فوافق الشيخ علي. وعند وصول الشيخ عبد الله آل صباح وبصحبته الشيخ محمد آل خليفة وجدوا الشيخ علي آل خليفة قد تغير رأيه ونقض وعده الذي اعطاه للشيخ عبد الله.

غزوة الأمير سعود بن فيصل للكويت:

وفي سنة ١٢٩٠هـ غزا الكويت الأمير سعود بن فيصل بن تركي آل سعود ولكنه رجع من حيث أتى.

غزوة الأمير محمد العبد الله آل رشيد للكويت:

في سنة ١٢٩٥هـ غزا (الأمير محمد العبد الله آل رشيد) حاكم نجد آنذاك الكويت وداهم العوازم وهم على (الصبيحية) ثم ارتحل قاصداً وطنه.

(ربما تكون غزوة الأمير محمد العبد الله آل رشيد على الكويت هى أول غزوة يقوم بها أمير آل رشيد على الكويت حيث لم يرد قبلها شيء).

وفي سنة ١٢٠٩هـ توفي الشيخ عبد الله وتولى الحكم أخوه محمد.

الشيخ محمد بن صباح بن جابر

بعد وفاة الشيخ عبد الله تولى الحكم أخوه الشيخ محمد يساعده إخوانه (جراح ومبارك) فقد تولى الشيخ جراح الشئون المالية والشيخ مبارك شئون البادية وقبائلها والأخيران يشاركانه الحكم مشاركة غير رسمية.

لقد كان الشيخ محمد رقيق القلب بعيداً عن الشر محباً للسلم ولكنه كان ضعيف الإرادة وغير ميال للشهرة وبعد الصيت. وأهم ما جرى في عهده وهو ما وقع بينه وبين أخيه مبارك من المشاكل قتل مع أخيه الشيخ جراح وقاتلهما هو أخوهما الشيخ مبارك وذلك في ليلة الخميس ٢٥ ذي القعدة سنة ١٣١٣هـ.



الشيخ مبارك آل صباح

الشيخ مبارك بن صباح بن جابر

ولد الشيخ مبارك سنة ١٢٦٩هـ وتولى مقاليد الحكم في الكويت سنة ١٣١٣هـ بعد أن قتل أخويه (محمد وجراح).

كان الشيخ مبارك شجاعاً مقداماً قوي الشكيمة ثاقب الفكر سديد الرأي محباً للشهرة والمجد وفي زمانه اتسعت الكويت وازدهرت وكان عصره فيها عصر القوة والأمن وعصر الرخاء والدعه.

أسباب قتلة لأخويه محمد وجراح:

أن لكل حادثة من الحوادث أسباب وأن الأسباب التي أدت الشيخ مبارك آل صباح إلى قتل أخويه الشيخ محمد والشيخ جراح.

أولاً- كان الشيخ محمد والشيخ جراح يضيفان على أخيهما الشيخ مبارك ويحدان من سلطته دائماً بينما كان الشيخ مبارك ذا نفس عالية طموحة إلى العلاء وذا مطامع بعيدة ميالاً على المطامع والحرب فكان لا يمل من الغزو والقتال ويصرف في هذا السبيل كل ما يملكه من قوة ومال.

ثانياً- إبعادهما له وتقريبهما (يوسف بن عبد الله آل إبراهيم) وإلقاء المقاليد إليه وأصبح يوسف آل إبراهيم هو الآمر والناهي بالكويت حتى تخيل للناس أن الحكم ليوسف.

ثالثاً- تضييقهما المالي عليه ورفض حوالاته التي باسمه. وأخيراً طلب الشيخ مبارك من أخويه الاعتراف بقسطه من الأملاك فامتنعا عن إجابته ولم يصغيا لطلبه حتى كاد الأمر يفضي إلى أمر غير محمود لولا أن جماعة من أشراف الكويت ووجهائها توصلوا إلى إقناع الأخوين (محمد وجراح) بالنزول على طلب مبارك وبعد هذه الوساطة رجعت المياه إلى مجاريها. إلا أن الشيخين محمد وجراح غيرا رأيهما وأبطلا ما كانا متفقين عليه بحضور وجهاء الكويت وأعيانها ويقال أن ذلك جرى بسبب تأثير الشيخ يوسف آل إبراهيم عليهما. ولما علم هؤلاء الوجهاء الذين سعوا بالوساطة وهم (السيد خلف باشا آل نقيب وسالم البدر وعبد العزيز آل سميط، وفهد الخالد، وعبد العزيز الفارس، وفهد الدويرج، وسليمان العبد الجليل) اجمعوا أمرهم أن يتشفعوا إلى محمد في إرضاء أخيه مبارك، وإعطائه ما يريد قطعاً للنزاع وقد ذهبوا فعلاً إلى الشيخ محمد واجتمعوا به وعرضوا بين يديه تشفعهم. ثم إن الشيخ محمد وافق على طلبهم وأمر (فهد الخالد الخضير) بإعطاء الشيخ مبارك ما يريد ولكن الشيخ يوسف آل إبراهيم منع فهد الخالد من إعطاء الشيخ مبارك شيئاً.

الشيخ مبارك ويوسف آل إبراهيم

ولما علم الشيخ مبرك كل ما بدر من يوسف آل إبراهيم غضب غضباً شديداً وراح يسبه سباً شنيعاً ويتوعده بما يقض عليه مضجعه ويقلق راحته فأستولى الذعر على يوسف وساورته الهواجس والمخاوف ووجد نفسه ضعيفاً أمام غضب مبارك فهم بالصيد تسلية لنفسه مما ألم بها.

ثم أن الشيخ مبارك سعى لحل المشكلة بينه وبين أخويه وطلب من بعض الوجهاء تقديم النصيحة لأخيه محمد بأن يخفف من غلوائه فأجابوا طلبه وكتبوا إلى يوسف آل إبراهيم يستقدمونه من الصيد لعله يشاركهم في حل الأزمة. وقد انتدبوا لتبليغه (السيد خلف النقيب) وجملة من الوجهاء وكان يوسف آنذاك نازلاً في (الرقعي).

ذهب أولئك له وعرضوا عليه مهمتهم وما يريدونه منه فامتنع عن تلبية طلبهم ولكنهم ألحوا عليه إلحاحاً شديداً وأخيراً وافق وقال سأذهب أولاً إلى (الصبية) وبعد ثلاثة أيام أتوجه إلى الكويت ولكنه لن يتوجه إلى الكويت إلا بعد ثمانية أيام (وقد زاد مجيئه الطين بله).

الشيخ مبارك يطلب تصفية الحساب:

هذا وقد انتدب الشيخ مبارك جملة من الوجهاء مرة أخرى إلى أخيه الشيخ محمد طالبين تصفية الحساب الذي بينهما فلبوا طلبه وذهبوا إلى أخيه الشيخ محمد في داره فأمرهم أن يذهبوا إلى يوسف آل إبراهيم في داره وهناك يكون الملتقى ولكن يوسف آل إبراهيم رفض مقابلتهم ورجعوا من حيث أتوا، ثم اجتمع أولئك الوجهاء بالشيخ يوسف آل إبراهيم في داره بعد أن عرف الغرض الذي جاءوا من أجله وأن الشيخ محمد هو الذي طلب منهم الذهاب إليه.

ولما حضر الشيخ محمد سألهم عن عرض الشيخ مبارك من ارسالهم فأجابوه أنه يريد تقديم حساب صحيح عن حاصل أملاك النخيل الواقعة في البصرة والمشتركة بينه وبينهما.

وافق الشيخ محمد وقدم الحساب إلى السيد خلف النقيب الذي قدمه بدوره إلى الشيخ مبارك وبعد أن قرأ عليه طعن بصحة هذا الحساب ولكنه وافق عليه بناءً على إلحاح ورجاء السيد خلف النقيب.

وساطة السيد خلف النقيب:

ولما كان الشيخ مبارك غير واثق من صحة هذا الحساب طلب حساباً آخر وأن يقسم الشيخ محمد يميناً أنه صادقاً فيما قدم من حساب وقد وافق أخوه محمد على طلبه وقدم إلى السيد خلف النقيب أن يعرف جلية الحساب الذي تعذر عليه معرفته لكي يقدمه إلى الشيخ مبارك مفصلاً ولكن الشيخ محمد قال لا يمكن بيان الحساب إلا للشيخ مبارك وبحضوره ثم أن السيد خلف النقيب عرض على الشيخين (محمد ومبارك) الاجتماع في منزله لعلهما يتواصلان إلى حل يرضي للطرفين وتنتهي المشكلة. وفي دار السيد النقيب طلب الشيخ مبارك من أخيه الشيخ محمد إشرافه على حقيقة الحساب لكي يعرف ما له وما عليه وأن يكون هذا الحساب مقروناً (بيمين الله) أن لا زيادة فيه ولا نقصان وقد رضى الشيخ محمد بهذا الاقتراح ولكن مضت الأيام وهو يعد ويخلف وعده.

وكان السيد خلف النقيب واسطة الخير يتردد على الاثنين حتى مل وسئم وأخيراً أخبره الشيخ محمد أنه لا يجيب أخاه مبارك على طلبه إلا بعد أخذه منه (صكاً) بقبول ما يقدمه له فحاول السيد خلف النقيب إقناعه ولكنه لم يقتنع حتى أنه رفض التوسط بينهما وأخبر الشيخ مبارك بكل ما جرى. وهنا اضطرمت النار في قلب الشيخ مبارك بعد هذا كله وعدم فائدة وساطة السيد خلف النقيب وغيره شيئاً لدى الشيخ محمد والشيخ جراح اللذان ازدادا في التعنت. وفي العمل ضد الشيخ مبارك على قتلهما مهما كلفه الأمر.

متى وكيف وقع القتل:

في ليلة الخميس ٢٥ ذي القعدة سنة ١٣١٣هـ الموافق ١٨ مارس سنة ١٨٩٦م تأهب الشيخ مبارك مع ولديه الشيخ جابر والشيخ سالم وبعض الخدم لقتل أخويه فتقدم إلى البيت بعد أن فتح (الشيخ صباح بن محمد) الباب لذهابه إلى صلاة الفجر فقسم الشيخ مبارك من معه إلى ثلاثة أقسام هو لأخيه محمد وجابر لعمه جراح وسالم يحرسهم في صحن الدار.

قصد الشيخ مبارك أخاه محمد فوجده نائماً في فراشه فأيقظه من نومه وأطلق عليه الرصاص ولكن لم تجهز عليه فأستغاث بأخيه وذكره بماله من حرمة الأخوة فلم يرق له قلب أخيه بل صوب إليه البندقية وأرداه قتيلا.

أما جابر فقد ذهب إلى عمه الشيخ جراح فوجده مستيقظاً وزوجته إلى جانبه فصوب البندقية إليه ولكنها لم تنطلق فانقض عليه عمه وساعدته زوجته وكادا يتغلبان عليه لولا مسارعة بعض الخدم بقتل جراح فسقطت عليه زوجته تبكي وتنوح عليه.

كان لحادث قتل الشيخ مبارك لأخويه (محمد وجراح) رنة أسى وحزن عميقين في النفوس وما كاد الخبر ينتشر في أرجاء الكويت حتى أصبحت من أقصاها إلى أقصاها لهذا الحدث الجلل والمصيبة الكبرى التي لم يحدث لها نظير في (تاريخ الكويت). ولم يكن ذنب الشيخ يوسف آل إبراهيم عند الشيخ مبارك أقل من ذنب أخويه ولولا كان يوسف في تلك الليلة موجوداً في الكويت لكان ثالثهما ولم يكن يوسف يجهل ذلك ولكن شاءت الأقدار أن يكون في تلك الليلة خارج الكويت في قصر له (بالصبية) أو لعله كان على علم بها نواه الشيخ مبارك لأخويه فابتعد عن الخطر.

طلب الشيخ مبارك من يوسف آل إبراهيم العودة إلى الكويت وفرار الأخير إلى الدورة:

وعلى كل فإن ابتعاد يوسف آل إبراهيم أقلق راحة الشيخ مبارك فحاول استقدامه باللين والمصانعة. فبعث إليه رسلاً يطلبون منه العودة إلى الكويت ويضمنون له الأمن على نفسه وعلى ماله وحفظ منزلته ولكن يوسف آل إبراهيم لم يخدع بالعهود والوعود ولم يخف عليه ما كاد يبيته له الشيخ مبارك. فتظاهر إلى هؤلاء الرسل بقبول رسالتهم ووعدهم بأنه سيقدم إلى الكويت وأبلغهم تحياته الخالصة إلى الشيخ مبارك. فما كادت رسل الشيخ مبارك تغادره حتى أسرع إلى ركوب سفينة شراعية مغادراً الصبية ونزل في (الدورة) الواقعة جنوب مدينة البصرة والقريبة من الفاو حيث أملاكه الواسعة هناك.

ترك أولاد الشيخين محمد وجراح الكويت:

بعد ذهاب الشيخ يوسف آل إبراهيم إلى البصرة ترك أولاد الشيخين (محمد[1] وجراح) الكويت سراً ورافقهم كل من (الشيخ محمد بن رابح) المتوفي في الزبير سنة ١٣٤٨هـ (والسيد عبد الوهاب الطبطبائي) المتوفي بالبصرة منذ أكثر من عشر سنوات تقريباً واجتمعوا بيوسف آل إبراهيم في الدورة.

---

(١) أولاد الشيخ محمد هم: الشيخ علي، والشيخ سعود، والشيخ صباح، والشيخ خالد، والشيخ عذبي وللمرحوم الشيخ جراح ولد واحد هو الشيخ حمود. وقد اشترك كل من هؤلاء الكرام ومعهم الشيخ مبارك العذبي آل صباح والشيخ يوسف آل إبراهيم في معركة الصريف سنة ١٣١٨هـ ضد عمهم الشيخ مبارك وفي السنة نفسها تزوج المرحوم الشيخ خالد بأمرأة من النواحلة من عنزة أما المرحوم الشيخ عذبي فانه تأهل بامرأة من أسر الزبير نجدية الأصل وبعد أن اتخذ أولاد الشيخين (محمد وجراح) والشيخ مبارك العذبي آل صباح الزبير مقاماً لهم سكنوا في بيوت خاصة واقعة في (محلة الرشيدية) قرب مدرسة النجاة الأهلية. وللصباح في الزبير تاريخ مجيد وأيادي بيضاء وقد اشتهروا جميعاً بالأخلاق الفاضلة وكرمهم الحاتمي ولا سيما الشيخ خالد الذي ملك قلوب الناس بكرمه وجوده واحسانه ولهم ديوان عامرة أبوابها مفتوحة ليلاً ونهاراً يأتي لزيارتهم فيها مختلف الطبقات من الناس ويلقون منهم جميعاً كل حفاوة وتقدير. وفي يوم الاثنين ١٧ صفر سنة ١٣٦٠هـ توفي الشيخ العذبي عن ثلاثة أولاد هم: (الشيخ أحمد، والشيخ ناصر، والشيخ حمد) وكانت وفاة المرحوم الشيخ علي في الزبير. أما الشيخ سعود فقد انتقل إلى الكويت وتوفي فيها رحمه الله. وفي سنة ١٣٦٣هـ توفي في الزبير الشيخ صباح وله من الأولاد الشيخ محمد والشيخ عبد الله والشيخ جراح والشيخ سالم والشيخ فاضل. وفي ١٧ صفر سنة ١٣٧٠هـ توفي في الزبير الشيخ محمد وفي نفس السنة توفي الشيخ عذبي في الزبير عن أربعة أولاد هم الشيخ خليفة والشيخ يوسف والشيخ ناصر والشيخ جابر. أما الشيخ حمود بن الشيخ جراح فانه انتقل إلى الكويت وتوفي فيها رحمه الله.

شكوى إلى حمدي باشا :

وفي البصرة وبتحريض من الشيخ يوسف آل إبراهيم الذي حكم العلاقات بينه وبين (حمدي باشا) متسلم البصرة أقام أولاد القتيلين الشيخ محمد والشيخ جراح الدعوى ضد عمهم الشيخ مبارك. ومما جاء في شكواهم هذه قولهم (أن الشيخ مبارك قد اغتصب إمارة الكويت بعد أن قتل شيخاها اللذان كانا يحكمان الكويت بموجب (فرمان همايوني) وأن قصده من ذلك هو خلع السيادة العثمانية عن الكويت وتسليمها إلى دولة أجنبية فأصغى حمدي باشا إلى هذه الشكوى وكتب إلى (استنبول) يشرح لها ذلك ويطلب منها الأذن له بسوق فرقة من الجيش إلى الكويت لإرغام الشيخ مبارك بالتخلي عن الحكم .

الشيخ مبارك ورجب باشا :

ولما علم الشيخ مبارك بما يحاك ضده ويكاد له اتجه نحو صديقه الحميم (رجب باشا) والي بغداد الذي أخذ يدافع عنه قائلاً: إن ما حدث من القتل شيء عادي كثيراً ما يقع بين الأعراب ولا صحة لما أشيع عن الشيخ مبارك آل صباح حاكم الكويت. فانصاع الباب العالي لأقواله ومنع حمدي باشا متسلم البصرة بالكف عما عزم عليه وبذلك سبق مبارك يوسف في ميدان الدهاء.

تقديم مضبطة ضد يوسف آل إبراهيم:

ثم ان الشيخ مبارك قدم مضبطة إلى الحكومة العثمانية في البصرة يتهم فيها الشيخ يوسف آل إبراهيم بقتل أخويه وكانت هذه المضبطة معززة بكثير من تواقيع الشهود الذين ربما يكون توقيع بعضهم كرهاً ولكن يوسف تمكن من الحصول على صورة هذه المضبطة وفي الوقت نفسه أوعز الشيخ مبارك إلى بعض كبار الشخصيات من أهل الكويت بأن يرجو من يوسف آل إبراهيم الكف عن الحركات ضد الكويت .

كتب هؤلاء الاكابر إلى الشيخ يوسف يرجونه بالكف عن الكويت وتجنب الكيد لها فأجابهم أنه لم يكد للكويت ولم يرد بأهلها سوءاً .

وفد إلى الدورة يطلب من يوسف العودة إلى الكويت :

وهنا توسم للشيخ مبارك أن يوسف ندم على ما صدر منه فأرسل وفداً برئاسة أخيه (الشيخ حمود آل صباح) إلى الدورة مقر يوسف آل إبراهيم والمكان الذي يقيم فيه ليطلبوا منه الصلح ويقنعوه بالعودة إلى الكويت .

بعد أن سار هذا الوفد إلى يوسف واجتمعوا به فتحوا البحث وحسنوا له الرجوع إلى وطنه ولكنه قابلهم بكل برود وفتور وعندما ألح عليه الشيخ حمود بالرجوع أمر بإحضار صورة المضبطة التي قدمها الشيخ مبارك إلى الحكومة والتي كانوا هم شهود فيها . وقال لهم كيف أصدقكم فما تقولون وها أنتم بهذه المضبطة تشهدون علي بأني أنا القاتل بهتاناً وزوراً .

طلب وساطة عبد العزيز آل إبراهيم :

وبعد ذلك أرسل الشيخ مبارك (عبد العزيز آل سميط) إلى (بومبي) بكتاب يحمله إلى (عبد العزيز آل إبراهيم) الموجود هناك يرجو فيه أن يسعى لدى يوسف بالكف عن الحركات والمشاغبات على الكويت. فأجابه عبد العزيز آل إبراهيم بكتاب أظهر فيه أسفه لعدم إمكانه التدخل في شئون يوسف الخاصة وليس له من القوة ما تمكنه من فرض الأمر عليه .

وساطة الشيخ مزعل :

وأخيراً طلب الشيخ مبارك من الشيخ (مزعل) أمير (المحمرة) التوسط بينه وبين يوسف فوافق الشيخ مزعل على الوساطة وبذل جهوداً كبيرة لتحقيقها وتقارب وجهات النظر وأزالت الخلاف وأبدى كل من الخصمين شروطاً للصلح وكان ذلك في أواخر شهر ذي الحجة سنة ١٣١٤هـ وقد تقرر أن يتم الاجتماع (بين الشيخ مبارك آل صباح والشيخ يوسف آل إبراهيم) بحضور الشيخ مزعل في قصره الواقع في (الفيلية) وذلك بعد أن تنتهي العشرة الأوائل من شهر محرم لسنة ١٣١٥هـ ولكن الأقدار عاجلت الشيخ مزعل حيث اغتيل في الليلة الثانية من شهر محرم وبوفاته انقطع كل أمل في الصلح .

أهم الحوادث التي وقعت في عهد الشيخ مبارك :

هجوم جماعة من الظفير على قافلة :

في شهر ربيع الأول سنة ١٣١٤هـ هجم سعيد السهدي وجماعة من الظفير على (عبد الرحمن بن دهيش) وجماعة معه في مكان يبعد عن الكويت ثلاثة أيام وكان ابن دهيش وجماعته قادمون من الإحساء فأخذوا منهم تسعة جمال وجملة من العبي تعود لبعض تجار البصرة وبغداد وعدداً من النقود قدرت بنحو (١٢٠٠) ريال وقد أظهر الشيخ مبارك اهتمامه لهذه الحادثة لاعتقاده أن الشيخ يوسف آل إبراهيم هو المحرك لذلك .

هجوم أولاد الشيخين محمد وجراح ويوسف آل إبراهيم على الكويت :

في ١٥ محرم سنة ١٣١٥هـ حاول الشيخ يوسف آل إبراهيم ومعه أولاد الشيخين محمد وجراح الهجوم على الكويت حيث أقلع من (الهنديان) في (عربستان) بأربع عشرة سفينة شراعية مملوءة بالرجال المدججين بالسلاح ويقدر عددهم (٧٠٠) شخص جمعهم من الهنديان وبندر معشور في عربستان .

وقبل خروجهم إلى البحر شاهدوا سفينة كويتية قاصدة الكويت فألقوا القبض على كل من كان فيها واستولوا على أموالها وأطلقوا سراح ربانها المسمى (علي أبو كحيل) مع سفينته بعد أن أخذوا [illegible] العهود والمواثيق بأن لا يفشي خبرهم إلى أحد ولكن أبو كحيل قصد الكويت مسرعاً وأخبر الشيخ مبارك على خبر تلك الحملة الموجهة ضده الأمر الذي جعل الشيخ مبارك يستعد [illegible] الاحتياطات اللازمة للمجابهة وعندما اقترب اسطول يوسف آل إبراهيم إلى المكان [illegible] رأى استعداد الكويتيين ضده فتأكد لديه أن أمره قد انكشف وهنا تشاور الشيخ يوسف آل إبراهيم مع أولاد الشيخين فكان رأي (الشيخ مبارك العذبي آل صباح) أن [illegible] الأمر ولكن يوسف أبى ذلك بعد أن تحقق لديه أن اشتباكهم مع الكويتيين [illegible] الفشل .

معركة الرخيمة :

[illegible] سنة ١٣١٨هـ وبأمر من الشيخ مبارك سار كل من [illegible] آل صباح) على رأس قوة كبيرة من الجيش الكويتي. وذلك للهجوم [illegible] (الأمير عبد العزيز المتعب آل رشيد) حاكم نجد آنذاك والتي

كانت يومئذ في المحل المسمى (الرخيمة) فهجمت الجموع الكويتية عليهم وأخذوا الكثير من أموالهم واستولوا على الألوف من أبلهم وأغنامهم .

هجوم حمود وسالم آل صباح على ابن رشيد :

في سنة ١٣١٨هـ حشد الشيخ مبارك قواته في الجهراء لمحاربة الأمير عبد العزيز آل رشيد وبينما كانت قوات الكويت بقيادة الشيخين حمود وسالم آل صباح مرابطة على الحدود النجدية الكويتية إذا بها تبصر قوات الأمير ابن رشيد ليلاً فعاجلوا مقدمتها قبل أن يتم استعدادها وانزلوا بها خسائر فادحة وذلك في شهر رجب من السنة المذكورة .

طلب سعدون باشا النجدة من الشيخ مبارك :

وفي نفس الوقت كان الشيخ مبارك مقيماً في الجهراء على رأس جيش كبير ينتظر عودة الأمير عبد العزيز آل رشيد الذي كان قد غزا المنتفق بعد هجوم قوة الشيخ مبارك له على الحدود، وكان قصد الشيخ مبارك من النزول إلى الجهراء قطع الطريق على ابن رشيد والتنكيل به وهنا ورد كتاب من (سعدون باشا آل سعدون) رئيس قبائل المنتفق يستنجده على الأمير عبد العزيز آل رشيد الذي هجم على قبائل المنتفق والظفير واثخن فيهم واستولى على الكثير من أموالهم .

وبعد أن قرأ الشيخ مبارك كتاب سعدون باشا وعرف مضمونه اوعز إلى الجيش الذي هجم على الأمير عبد العزيز آل رشيد بقيادة الشيخ حمود والشيخ سالم بالمسير إلى السماوة عن طريق (جريشان) وسار هو وجيش آخر عن طريق (الزبير) وكان ذلك في ١٠ رجب سنة ١٣١٨هـ وقد صحبه في حملته هذه (الأمير عبد العزيز العبد الرحمن آل سعود) .

مقابلة متصرف (الناصرية) للشيخ مبارك :

في ١٨ رجب من سنة ١٣١٨هـ وبعد وصول الشيخ مبارك (الخميسية) جاء لمقابلته متصرف الناصرية حيث سلمه رسالتين الأولى من والي بغداد والأخرى من (محسن باشا) والي البصرة يطلبان منه أن يكف عن قتال الأمير عبد العزيز آل رشيد وأبلغه رغبة محسن باشا بمقابلته في (الزبير) فأمر الشيخ مبارك لجيش الذي معه بالالتحاق بجيش الشيخين حمود وسالم ورجا من الأمير عبد العزيز آل سعود مرافقتهم أما هو فقد عاد إلى الزبير لمقابلة محسن باشا يصحبه متصرف الناصرية .

الشيخ مبارك في الزبير ونزوله قصر النقيب في (الرافضية):

وفي ٢٣ رجب سنة ١٣١٨هـ وصل الشيخ مبارك إلى الزبير ونزل قصر النقيب في الرافضية فزاره (محسن باشا) وعرض عليه مرافقته إلى (البصرة). وفي ٢٤ منه قدم الشيخ مبارك إلى مدينة (الزبير) وكان في انتظاره (السيد طالب باشا آل نقيب) وغيره من أعيان البصرة فوصل البصرة في مساء اليوم المذكور.

وفي ٢٥ منه أبرق الوالي محسن باشا إلى أستنبول يخبر بإطاعة الشيخ مبارك لأوامر الباب العالي فأبرق الباب العالي إلى الشيخ مبارك يشكره على ذلك. وفي صباح يوم الاثنين ٢٦ رجب عاد الشيخ مبارك إلى الزبير ومنها سافر إلى الكويت.

معركة الطرفية:

في شهر ذي القعدة سنة ١٣١٨هـ جرت وقعة (الطرفية) المشهورة بين الأمير عبد العزيز آل رشيد من جهة والشيخ مبارك والأمير عبد العزيز آل سعود وسعدون باشا من الجهة الأخرى. وقد ذكرنا تفاصيل هذه المعركة من البداية إلى النهاية في سياق كلامنا عن إمارة آل رشيد.

هجوم صقر الغانم على الظفير:

في أواخر سنة ١٣١٩هـ وبأمر من الشيخ مبارك آل صباح هجم (صقر الغانم) على الظفير وذلك بعد أن شعر الشيخ مبارك أن مكاتبات تدور بينهم وبين الأمير عبد العزيز آل رشيد لاستمالتهم إليه ووقوفهم إلى جانبه فبادر الشيخ مبارك بإرسال جيش عرمرم بقيادة صقر الغانم لغزو الظفير وكانوا نازلين على (الوقبا) فداهمهم هذا الجيش واستولى على الكثير من أموالهم ثم عاد صقر الغانم وجيشه على الكويت وكان الشيخ مبارك ينتظره في الجهراء.

هجوم أولاد الشيخين ويوسف آل إبراهيم على الكويت (مرة ثانية):

في ٣ جمادي الثانية سنة ١٣٢٠هـ أقلعت من (الدورة) عدة سفن شراعية مشحونة بالرجال والسلاح والذخيرة متوجهه نحو الكويت ولما مرت هذه السفن (بالفاو) انكشف أمرها إلى الشيخ (جابر المبارك) الذي كان يومئذ قد قدم إلى الفاو لإدارة شئون أملاكهم هناك. فأبرق حالاً إلى المقيم السياسي البريطاني في الخليج يخبره بمسير تلك السفن لقصد مهاجمة الكويت، وهي سفن أسطول الشيخ يوسف آل إبراهيم وأولاد الشيخين محمد وجراح لمهاجمة الكويت

مرة ثانية وذلك بعد أن استوثقوا من والي البصرة القمندان (مصطفى نوري باشا) بعدم معارضته لذلك. كما أن الشيخ جابر أرسل لوالده رسولاً ليأخذ الحذر والاحتياط والاستعداد الكافي لملاقاة تلك الحملة فهب الشيخ مبارك مسرعاً لتحصين الكويت.

وفي ٨ جمادي الثانية قربت تلك السفن من شواطىء الكويت فأبصرت عن بُعد أنوار البارجة الحربية البريطانية (لابونج) فعلم أولاد الشيخين محمد وجراح والشيخ يوسف آل إبراهيم أن أمرهم قد انكشف وفكرت هذه الحملة بالرجوع مستترة في ظلام الليل. هذا وقد أبصرت البارجة البريطانية (لابونج) سفن يوسف آل إبراهيم عند مطلع الفجر فتبعتها وكادت تقبض عليها وقد التجأت تلك السفن إلى الشاطىء فنزلت ثلة من بحارة البارجة البريطانية بزوارق بخارية صغيرة وتمكنت من مطاردة سفينتين من تلك السفن فجرت مقابلة نارية بين الطرفين قتل من جرائها ضابط بريطاني وجرح الكثير من البحارة الانكليز وتمكن ركاب السفينتين من الفرار ويبلغ عددهم (٢٥٠) مقاتلا ومعظمهم من (الشريفات).

وقد استولت البحارة البريطانية على تلك السفينتين وهما خاليتان من الركاب وساقتها إلى البصرة لإجراء التحقيق وقد بذل الشيخ مبارك اهتمامه لمعرفة المحركين لهذه الحملة فتبين انها بتحريض من يوسف آل إبراهيم وأولاد أخيه حمد وجراح وكانت هذه الحملة هي آخر ما قام به الشيخ يوسف آل إبراهيم وأولاد الشيخين محمد وجراح بمعرفة الدولة العثمانية.

مؤامرة لاغتيال الشيخ مبارك:

وفي سنة ١٣٢٠هـ اتفق (الشيخ سعود بن محمد آل صباح) والشيخ يوسف آل إبراهيم مع أناس اشتهروا بتعاطي القرصنة يقال لهم أولاد (حميدي) وهم (عبد الله وعذبي، وعبد الرضا، وصالح، ومويلح) اتفق هؤلاء الأخوة الخمسة مع يوسف آل إبراهيم على قتل الشيخ مبارك ووضع يوسف آل إبراهيم الخطة لهذه المؤامرة.

وهي أن تشحن أحدى السفن العائدة إلى آل إبراهيم بالتمور ويركبها أولاد حميدي سراً وبدون أن يعلم بهم أحد ويذهبون بتلك السفن إلى الكويت ويخبروا الشيخ مبارك بأنهم قد استولوا عليها بالقوة بع أن قتلوا أصحابها الذين هم من أتباع يوسف آل إبراهيم وذلك خدعة للشيخ مبارك وانهم يطلبون الالتجاء إلى الكويت وقد انطلت هذه الحيلة على الشيخ مبارك ولم يساوره أي شك واطمئن إلى أولاد حميدي وقربهم إليه وألحقهم بحرسه الخاص.

وهكذا ظل أولاد حميدي يتحينون الفرصة لاغتيال الشيخ مبارك وولديه جابر وسالم. ولكن انكشف أمرهم فيما بعد وذلك لأنهم اختصوا في غلامين من حرس الشيخ مبارك وكشفوا لهما سرهم والغرض الذي أرادوا من أجله وطلبوا إليهم الاشتراك معهم فوافق الغلامين على طلبهم إلا انهما أخبرا والدهما بسر تلك المؤامرة فأسرع والدهما بإخبار الشيخ مبارك. فأمر الشيخ مبارك بإلقاء القبض على أولاد حميدي وزجوا في السجن وبقوا في غياهبه إلى انهم نقبوا جدار السجن وهربوا وعادوا يزاولون القرصنة في الخليج العربي حتى ألقت الحكومة البريطانية عليهم القبض وبعد التحقيق ظهر أنهم من قبيلة (البوفرحان) وهي من قبائل بني كعب المعروفة.

الهجوم على أعراب الكويت في (سفوان):

في ١٣ صفر سنة ١٣٢١هـ علم يوسف آل إبراهيم ان البعض من أعراب الكويت مجتمعون قرب (بئر سفوان) فأراد ايذاءهم، فجهز بعض الرجال من الزبير بالأسلحة واتفق مع (كردي بن طواله) أحد زعماء شمر فأغاروا عليهم في ١٣ صفر سنة ١٣٢١هـ ونهبوا أموالهم واستولوا على (٨٠٠) رأس من الغنم واضطروهم على ترك تلك المنطقة فطاردهم كردي بن طواله حتى أوصلهم (الصبيحية) فأصطدم معهم في معركة بتاريخ ٩ ربيع الثاني من هذا العام أسفرت عن مقتل كردي وفرار اتباعه ولما علم الشيخ مبارك بذلك أرسل حملة على قبائل شمر فأغارت عليهم ونهبت الكثير من أموالهم وقتل عدداً كبيراً من رجال شمر المشهورين.

غزوة الشيخ مبارك لفيصل الدويش في (جولبن):

في سنة ١٣٢١هـ أرسل الشيخ مبارك جيشاً كبيراً تحت قيادة ابنه الشيخ جابر ومعه (الأمير عبد العزيز آل سعود) لغزو سلطان الدويش رئيس قبيلة مطير وكان عبد العزيز آل سعود آنذاك قادماً من (الرياض) إلى الكويت لبعض شئونه والسبب في ارسال هذا الجيش مخافة الشيخ مبارك أن يتفق سلطان الدويش مع (ابن رشيد) فرأى من الحزم مفاجأة قبيلة مطير فهجم عليهم في مكان يدعى (جولبن) وانتصر عليها انتصاراً عظيماً.

وفاة الشيخ يوسف آل إبراهيم:

في ١٤ ذي الحجة سنة ١٣٢٤هـ الموافق ٢٥ كانون الثاني سنة ١٩٠٧م توفي (الشيخ يوسف بن عبد الله آل إبراهيم) بين (حائل والمدينة المنورة) وعندما علم الشيخ مبارك آل صباح بوفاته قال: الحمد لله الذي اراحني منه.

معركة هدية:

في شهر ربيع الأول سنة ١٣٢٨هـ وفي أرض يقال لها (جريبعات الطوال جرت وقعة هدية) سميت هذه الواقعة بهذا الاسم لأن أهل الكويت سلموا أموالهم لسعدون باشا آل سعدون وقومه مثل تسليم الهدية بدون حرب يستحق الذكر)، وأسباب هذه الوقعة متنوعة ومصادرها مختلفة ومعظم ما اتفقت عليه الأخبار هو أن (نجم بن عبد الله آل سعدون) انفلت منه طير (صقر) فبلغه أن ذلك الطير اصطاده رجل من عشيرة (عريب دار) التابعة لآل صباح والنازلة عند الجهراء فأرسل المذكور يطلب طيره من الشخص الذي اصطاده فأبى تسليمه وحصل بينه وبين الرسول مشاجرة أفضت إلى قتل الرسول. ثم ذهب القاتل والتجأ بالشيخ (جابر المبارك) فأجاره ولما بلغ سعدون باشا خبر مقتل الرسول جرد الجموع ومشى بها نحو عشيرة القاتل وأوقع بهم أخذاً للثأر وسلب منهم ما نالته يده وانصرف نحو مقره وذلك في أواخر سنة ١٣٢٧هـ وعندما علم الشيخ مبارك ما اجراه سعدون باشا أرسل يؤنبه ويطلب منه إرجاع ما سلبه من عشيرة عريب دار فأعتذر سعدون باشا من الشيخ مبارك وأعاد شيئاً قليلاً من المنهوبات ولكن الشيخ مبارك عزم على مقاتلته وكان الأمير عبد العزيز آل سعود في تلك الأيام نازلاً على (الصبهان) فحضر وقبل الشيخ مبارك وعرض عليه المساعدة واتفق معه على حرب المنتفق وخرجت الجموع من الكويت تحت قيادة الشيخ جابر ومعه الأمير عبد العزيز آل سعود ولما ابتعدا عن الكويت اختلفا على القيادة ووجهتها فكان الأمير عبد العزيز آل سعود يريد غزو ابن رشيد بهذه الجموع أما الشيخ جابر فأنه يريد غزو سعدون باشا الذي خفر ذمة آل صباح بغزوة عشيرة عريب دار ثم انهما كتبا إلى الشيخ مبارك يخبراه بما حصل بينهما ويستشيراه في الأمر فأجابهما أن يكون أبنه الشيخ جابر هو القائد وأن يسيرا معاً نحو المنتفق فامتثلا أمره ولما بلغ سعدون باشا قدوم جيش الشيخ مبارك نحوه بادر بالحال بالمسير نحو الكويت ليطأ أرضهم قبل ان يطئوا أرضه ويفاجئهم على غره فألتقى الجمعان في شهر ربيع الأول سنة ١٣٢٨هـ في

أرض يقال لها جريبعات الطوال ودارت بين الطرفين رحى القتال، فلم تمضِ إلا ساعات من النهار حتى انهزمت الجموع الكويتية ولاذت بالفرار وقد تركت الذخائر والأثقال مع عدد كبير من الأنعام غنمها آل سعدون مع عشائرهم وسموا هذه المعركة (هدية) لكثرة ما غنموه من الكويتيين بدون أذية.

وفاة الشيخ مبارك:

وهكذا نأتي إلى ذكر أهم الحوادث التي وقعت في عهد الشيخ مبارك على ترتيب السنين التي وقعت فيها. وبعد صلاة العشاء من (ليلة الاثنين) ٢١ محرم سنة ١٣٣٤هـ الموافق ٢٩ تشرين الثاني سنة ١٩١٥م توفي الشيخ مبارك آل صباح بعد أن دام حكمه إحدى وعشرين سنة، وخلفه في كرسي الحكم ابنه جابر.

الشيخ جابر بن مبارك بن صباح

تولى الشيخ جابر الحكم بعد وفاة والده الشيخ مبارك في يوم ٢١ محرم سنة ١٣٣٤هـ وقد كان الشيخ جابر رحمه الله حليماً متواضعاً عادلاً. وأول عمل قام به هو أن الغى عن الكويتيين (ضريبة الثلث) على العقارات والبيوت التي أثقل فيها المرحوم الشيخ مبارك كاهلهم. وفي عهد الشيخ جابر ازدهرت التجارة في الكويت ولم تحدث في عهده أحداث هامة تستحق الذكر لقصر مدة حكمه. (ولكننا نذكر الحوادث الثلاثة التالية وإن كانت عديمة الأهمية).

– في سنة ١٣٣٤هـ ثارت ثائرة العجمان في الإحساء على جلالة الملك عبد العزيز آل سعود فضربهم جلالته ضربةً قوية فر على أثرها عدداً كبيراً منهم إلى الكويت ولما علم جلالة الملك عبد العزيز التجاءهم إلى الكويت أرسل رسوله إلى الشيخ جابر يطلب منه إخراجهم وعدم ايوائهم وقد وافق الشيخ جابر على طلب الملك عبد العزيز ولكن أخاه الشيخ سالم أعترض ونصحه بعدم إخراجهم من الكويت وتركهم في حمايتها مع علمه بثورتهم ضد الملك عبد العزيز وأنهم من ألد أعدائه. وقد اثقل هذا خاطر الملك عبد العزيز آل سعود وظهر هذا واضحاً في عهد الشيخ سالم.

– وفي شهر محرم سنة ١٣٣٥هـ عقد مؤتمر في الكويت بين (السيد برسي كوكس) الحاكم العسكري البريطاني في العراق وبين (جلالة الملك عبد العزيز آل سعود) والشيخ

(خزعل بن جابر بن مرداو) أمير قبيلة بني كعب. وذلك لجمع كلمة العرب وتوحيدهم تحت راية زعيم منهم ضد الأتراك وفي ذلك الوقت كانت الثورة العربية التي أعلنها (شريف مكة المكرمة) الحسين بن علي ضد الأتراك على الأبواب فتكلم جلالة الملك عبد العزيز آل سعود عن مدى كرهه للأتراك وحقده عليهم وقال مثله الشيخ خزعل، أما الشيخ جابر فقال نحن مسلمون وإذا ما أجمع المسلمون رأيهم على شخص فنحن له من الطائعين.

وأخيراً وفي مدة حكم (الأمير سعود بن عبد العزيز المتعب آل رشيد) على حائل والذي كانت العلاقات بينه وبين المرحوم الشيخ جابر قوية ومتينة جداً.

وفي ذلك الوقت نزل الأمير سعود بن عبد العزيز آل رشيد قريباً من (الجهراء) فخشى الشيخ جابر أنه جاء محارباً فأستنفر أهل الكويت عموماً واستعدوا للمحاربة ولكن الأمير ابن رشيد عندما علم بما حدث في الكويت من فزع واستعداد ارتحل من مكانه وابتعد عن الجهراء ولما اتضح سبب مجيئه ونزوله قرب الجهراء تبين أنه لم يأت محارباً ولم يقصد الكويت بسوء وإنما كانت الجهراء في طريقه فكان مروره عليها اضطرارياً. وفي شهر ربيع الأول من سنة ١٣٣٥هـ توفي الشيخ جابر وتولى الحكم بعده أخوه الشيخ سالم.



الشيخ جابر المبارك آل صباح



الشيخ سالم المبارك آل صباح

الشيخ سالم بن مبارك بن صباح

تولى الشيخ سالم مقاليد الأمور في الكويت بعد وفاة أخيه الشيخ جابر وذلك في شهر ربيع الأول سنة ١٣٣٥هـ وكان رحمه الله شجاعاً عفيفاً تقياً ورعاً وقد أشتهر بالإصلاح ومكافحة الفساد وتعقيب أرباب الفسق والفجور في الكويت وخفض الرسوم الجمركية وجعلها ٤٪ واعفى البضائع الصادرة من الكويت من الرسم الجمركي وفي عهده أصبحت الكويت متصلة اتصالاً سريعاً بالعالم الخارجي وذلك بواسطة أسلاك البرق التي قامت الحكومة البريطانية في مدها سنة ١٩١٧م.

أهم الحوادث التي وقعت فى عهد الشيخ سالم:

معركة (حمض):

في صبيحة يوم ٢٨ شعبان سنة ١٣٣٨هـ هجم (فيصل بن سلطان الدويش، رئيس قبيلة مطير المشهورة وأميرة هجرة (الارطاوية) المعروفة في نجد هجم على الجيش الكويتي المرابط في (جرية[1]) الواقعة على الحدود النجدية الكويتية.

وكان الجيش الكويتي بقيادة (الشيخ دعيج بن سليمان) وكان لهجوم الدويش هذا مقدمات حيث أنه في شهر رجب سنة ١٣٣٨هـ أراد (أبن شقير من رؤساء قبيلة مطير البناء على أرض واقعة على ساحل الخليج العربي جنوب الكويت تبعد عنها مسير (ثلاثة أيام) تسمى (بلبول[2]) وعندما بلغ المرحوم الشيخ سالم الخبر وأرسل من يمنع أبا شقير من البناء مدعياً أن هذه الأرض كويتية.

ولكن ابن شقير قابل رسول الشيخ سالم بكل برود ورفض أمره وبعد ذلك أغارت طائفة من مطير على أطراف الكويت الأمر الذي جعل الشيخ سالم يرسل سرية من الجيش الكويتي بقيادة الشيخ دعيج بن سليمان السالف الذكر إلى جريه الواقعة شمال غربي بلبول وذلك لحماية عربان الكويت القاطنين هناك، وبعد أن سار الشيخ دعيج بن سليمان منفذاً أوامر وتعليمات سيده المرحوم الشيخ سالم الذي أوصاه ألا يحدث حدثاً إلا بأمره ولا يقوم بعمل إلا باسترشاده.

(١) جريه: هجرة من هجر الاخوان أسسها أبن شقير من (مطير).
(٢) موضع بلبول كما هو معلوم (بين الكويت والقطيف).

وفي نفس الوقت شرع ابن شقير في بناء جريه ولما أقام الجيش الكويتي في جريه بين الإعراب المتفرقين هناك هجم عليهم الإخوان بقيادة فيصل الدويش وانهزم الجيش الكويتي وقائده الشيخ دعيج السلمان هزيمة شنعاء.

بناء سور الكويت:

وفي شهر رمضان من سنة ١٣٣٨هـ وبعد حادثة حمض شرع الشيخ سالم في بناء سور منيع يحيط بمدينة الكويت ليصد عنها هجمات المعتدين.

معركة الجهراء:

في صباح يوم الأحد ٢٦ محرم سنة ١٣٣٩هـ الموافق ١٠ تشرين الأول سصنة ١٩٢٠م هجم فيصل الدويش على (قرية الجهراء) ومعه أربعة آلاف مقاتل من الإخوان بين خيال وراجل. وكان المرحوم الشيخ سالم آنذاك في الجهراء ومعه (١٥٠٠) مقاتل أكثرهم مشاة، وكان هجوم الإخوان على تلك القرية من جهتي الجنوب ومن الشمال الغربي لكي لا تصل إلى المدافعين عن الجهراء النجدات من الكويت وقد أصيب الإخوان في هجومهم الأول بخسائر فادحة حيث أن الكويتيين متحصنين وراء جدران البساتين عكس الغزاة الذين كانوا في أرض مستوية.

ولولا نفاذ ذخيرة أهل الكويت لقضوا على الإخوان قضاءاً تاماً وبعد قتال عنيف دام ست ساعات التجأ الكويتيون إلى (القصر الأحمر[1]) المعروف في الجهراء، وعند صلاة الفجر من اليوم الثاني هجم الإخوان على القصر الأحمر ولكنهم عادوا بخفي حنين وكان مصيرهم الخيبة بعد أن اصلوهم من في القصر ناراً حامية وهنا أمر الشيخ سالم شخصين بالخروج من القصر والذهاب إلى الكويت لاستنفار أهلها وطلبا منهم النجدة فهب جميع الكويتيين لنصرة أخوانهم المحاصرين ولم يتأخر أحد إلا من ادعى أنه (غير كويتي).

وفي الوقت نفسه نهض معظم أهل نجد وأهل الزبير القاطنين في الكويت مع أخوانهم الكويتيين لنجدة المرحوم الشيخ سالم ومن معه من المحاصرين في القصر الأحمر وتجهز جيش بري قوي قصد الجهراء وسفن شراعية مملوءة بالذخيرة والأطعمة والرجال. وما أن شاهد الإخوان السفن الشراعية في ساحل الجهراء حتى أصابهم الرعب وخارت عزائمهم فأرسلوا رسولاً منهم إلى الشيخ سالم ليعرض عليه عقد الصلح بين الطرفين وقال رسول الإخوان أن الإخوان كانوا يريدون مهاجمة القصر ولكن فيصل الدويش و(الشيخ عثمان بن سليمان) عالم

(١) لا يزال هذا القصر قائماً حتى الآن.

الإخوان منعوهم من ذلك وأن نيّة الدويش يأتيكم هو بنفسه لمفاوضتكم ثم جاء بعده رسول آخر فعرض على الشيخ سالم عدة شروط وهي:

أولاً: الرجوع إلى الدين الإسلامي .

ثانياً: ترك المنكرات.

ثالثاً: ترك شرب الدخان .

رابعاً: تكفير الأتراك .

فأجاب الشيخ سالم الرسول واسمه (منديل بن غنيمان) قائلاً! الحمد لله أننا متمسكون بالإسلام ومحافظين على أركانه الخمسة ولم نكفر يوماً بالإسلام أما ترك المنكرات والدخان فنحن نزيل ما بوسعنا إزالته وأما تكفير الأتراك فلم يثبت عندنا ما يوجب تكفيرهم .

وبعد أن غادر ابن غنيمان حضرة الشيخ سالم في القصر تبودل اطلاق النار بين الإخوان ومن في السفن الشراعية قادماً من الكويت وكان ذلك في المساء وعند منتصف الليل هجم الإخوان على القصر الأحمر وهم يهتفون بأعلى أصواتهم إبراهيم يا عمود الدين محمد يا رسول الله هبت هبوب الجنة وين أنت يا باغيها.

ومن الفتحات الصغيرة التي في جدران القصر من أسفله وأعلاه (المزاغيل) حصد رصاص الكويتيين الإخوان المهاجمين حصداً وبعد هذه الهزيمة التي مني بها الإخوان ذهب عالمهم الشيخ عثمان بن سليمان إلى الشيخ سالم في القصر وهو يحمل كتاباً غير مختوم من الدويش، وبعد أن سلم الكتاب إلى الشيخ سالم أخبره عن نفسه أنه جاء لتكملة الصلح الذي سبق وأن قدم منديل بن غنيمان من أجله وقد انفرد بالمفاوضات مع عثمان بن سليمان عالم الإخوان كل من المرحوم سالم والمرحوم الشيخ علي الخليفة آل صباح والمرحوم الشيخ عبد العزيز الرشيد من علماء الكويت المشهورين .

ولما طلب عالم الإخوان جواب الكتاب الذي قدمه إلى الشيخ سالم أراد أن يكون هذا الكتاب مختوماً بعكس كتاب الدويش الغير مختوم ولكن الشيخ سالم أجابه شفهياً. ثم تكلم الشيخ عبد العزيز الرشيد وقال على أي شيء يعقد الصلح فأجابه هذا العالم الذي ربما يكون إلى الجهل أقرب ولو كان عالماً لما أجاز لنفسه أن يكفر مسلماً، أجابه على القصر ومن فيه فرفض المرحوم

الشيخ عبد العزيز الرشيد وقال على الجهراء كلها وألا فلا صلح وأخيراً وافق ابن سليمان على أن يعطي ثلاثة أيام يراجع خلالها الدويش فاعطي .

ثم أن ابن سليمان ذهب إلى الدويش ثم عاد إلى الشيخ سالم مرةً أخرى وأخبره بموافقة الدويش على الصلح. ورحل الإخوان من الجهراء إلى (الصبيحية) حاملين معهم جرحاهم وقد قدرت خسائر الإخوان بالأرواح حوالي ١٥٠٠ شخص بين قتيل وجريح أما خسائر أهل الكويت بلغت نحو ٣٠٠ شهيد .

وبعد معركة الجهراء استنجد الشيخ سالم بالحكومة البريطانية لخوفه من غارات جديدة تشن على الكويت فلبت الحكومة البريطانية مساعدته حيث أرسلت طرادين حربيين وطائرتين من طائرات سلاح الجو الملكي البريطاني جاءت من العراق وحلقت إحداهما على الإخوان في الصبيحية وألقت عليهم منشوراً موقعاً من قبل (الكولونيل مور) معتمد بريطانيا في الكويت وفي الصفحة القادمة نصه:

إلى الشيخ فيصل الدويش وجميع الإخوان الذين معه

لكن معلوماً لديكم بأنه طالما أفعالكم ضيقت على البادية وحتى على الجهراء أيضاً وبما أن الحكومة البريطانية لم تدع لتعمل أكثر مما هي عادتها أن تسعى بحسب الصداقة وراء الإصلاح فأما الآن ما دام أنتم تهددون ليس فقط ضد حقوق سعادة شيخ الكويت التي تخالف تأميننا له بل ضد مصالح بريطانيا وسلامة الرعايا البريطانيين ولا يمكن بعد الحكومة البريطانية أن تقف على جانب بدون دخولها في المسألة ثم من التأمينات التي نطق بها من مدة قصيرة سعادة الشيخ عبد العزيز العبد الرحمن الفيصل آل سعود إلى فخامة السير برسي كوكس المندوب السامي البريطاني في العراق تثق الحكومة البريطانية بأن أفعالكم هي عكس إرادة أوامر الأمير المشار إليه ولا شك بأن سعادته سينبهكم بذلك عندما يعلم بأفعالكم.

بناءً عليه بهذا ننبهكم بأن إذا تجربون أن تهجموا على مدينة الكويت فحينئذ ستحسبون مجرمين بالحرب ليس عند سعادة شيخ الكويت بل عند بريطانيا أيضاً فالحكومة البريطانية لم تعتبر ذلك بل ستقابل هكذا أفعال عدائية بواسطة القوة التي تفتكر لائقة هذا ما لزم إعلامه لكم.

(٧ صفر سنة ١٣٣٩هـ).

ميجرجة سي مور الوكيل السياسي لدولة بريطانيا في الكويت

وبعد هذا المنشور اسودت الدنيا أمام عيني فيصل الدويش وساد الهرج والمرج بين الإخوان وأمر الدويش بالرحيل فوراً ورحل الإخوان عن الكويت.

وفي شهر ربيع الثاني سنة ١٣٣٩هـ نهض فيصل الدويش على رأس جيش كبير من الإخوان وهجم على (أبن خالد) من رؤساء قبيلة مطير كانوا شمال الكويت ففتك بهم فتكاً ذريعاً. ثم أغار الإخوان عل قبيلة الظفير ونهبوا منها أموالاً كثيرة وقتلوا عدداً من رجالها ثم نزل الإخوان قرب الزبير (راجع أهم الحوادث التي وقعت في الزبير).

وبعد معركة الجهراء وما صاحبها من أحداث قدم الكويت الشيخ (خزعل بن مرداو) أمير بني كعب وبحث مع المرحوم الشيخ سالم إرسال وفد إلى نجد لمقابلة جلالة الملك عبد العزيز آل سعود الذي كانت الاتهامات تدور حوله بأنه هو الذي حرض الإخوان ودفعهم على الكويت انتقاماً من الشيخ سالم الذي لم يستحكم العداء بين آل سعود وآل صباح في يوم من الأيام مثل استحكامها في عهد المرحوم الشيخ سالم.

وفي يوم ٢٩ جمادى الأولى سنة ١٣٣٩هـ غادر الكويت على (يخت) الشيخ خزعل وفد برئاسة المرحوم الشيخ (أحمد الجابر آل صباح) ويضم في عضويته كل من الشيخ جاسب بن الشيخ خزعل، وعبد العزيز السالم البدر وعبد اللطيف باشا المنديل والأخير من أهل الزبير ومن كبار التجار والملاكين في البصرة ومعتمد جلالة الملك عبد العزيز آل سعود فيها. قصد الوفد المذكور البحرين ومنها إلى الإحساء ثم سار متوجهاً إل نجد.

وفاة الشيخ سالم:

وفي ليلة الأربعاء ١٥ جمادي الثانية سنة ١٣٣٩هـ الموافق ٢٢ شباط سنة ١٩٢١م توفي الشيخ سالم وتولى الحكم بعده أبن أخيه الشيخ أحمد الجابر.



الشيخ أحمد الجابر آل صباح

الشيخ أحمد بن جابر بن مبارك

تولى الشيخ أحمد الجابر آل صباح زمام السلطة بعد وفاة عمه المرحوم الشيخ سالم المتوفي في ١٥ جمادي الثانية سنة ١٣٣٩هـ. وفي أثناء وفاة الشيخ سالم كان الشيخ أحمد الجابر في نجد على رأس وفد غادر الكويت في ٢٩ جمادى الأولى لمفاوضة الملك عبد العزيز آل سعود، ومن المعروف أنه بعد اعتلاء الشيخ مبارك حكم الكويت على جثتي أخويه (محمد وجراح) سنة ١٣١٣هـ أصبحت إمارة الكويت له ولأولاده من بعده وانحصر حكم الكويت في عقب الشيخ مبارك ولا يزال. فبعد وفاة الشيخ مبارك سنة ١٣٣٤هـ تولى الحكم ابنه الشيخ جابر وبعد وفاة الشيخ جابر سنة ١٣٣٥هـ تولى الحكم أخوه سالم والشيخين (جابر وسالم) هما اللذان ساعدا أباهما على قتل أخويه واستخلاص الحكم له. ولما كان المرحوم الشيخ سالم لم يرشح أحداً في حياته ليكون ولياً للعهد وأميراً بعد وفاته شغر كرسي الإمارة بعد وفاة المرحوم الشيخ سالم. فرشح ثلاثة أشخاص من آل صباح هم (الشيخ حمد المبارك آل صباح والشيخ أحمد الجابر آل صباح والشيخ عبد الله السالم آل صباح) فانتخب الشيخ أحمد الجابر آل صباح لهذا المنصب الرفيع.

وفي ١٤ رجب سنة ١٣٣٩هـ الموافق ٢٤ آذار سنة ١٩٢١م بويع له بالإمارة وكان أحمد الجابر ذكياً حليماً مسالماً يحب الخير لأمته ووطنه بل للعرب وللمسلمين جميعاً. وقد فسح المجال لتأسيس مجلس ينظر في شئون البلد ومصالحها ليكون عوناً له في إدارة الأمور وتشكل هذا المجلس من اثني عشر عضواً انتخب من بينهم (الحاج حمد العبد الله الصقر) رئيساً له ولكن هذا المجلس انحل من تلقاء نفسه لعدم انسجام أعضائه فيما بينهم.

وفي عهد المرحوم الشيخ أحمد الجابر كثرت المشاريع النافعة في الكويت على مختلف المجالات ومنها إرسال أول بعثة علمية إلى خارج الكويت وكان ذلك سنة ١٣٤٣هـ وقد أوفدت هذه البعثة إلى العراق وعدد أفرادها سبعة أشخاص كما تأسست المدرسة (الأحمدية) سنة ١٣٣٩هـ وهي ثاني مدرسة تقام في الكويت بعد المدرسة المباركية) المؤسسة سنة ١٣٣٠هـ وكان عهد المرحوم الشيخ أحمد الجابر عهد الهدوء والسكينة والأمن والاستقرار وعهد تقدم وارتقاء وازدهار.

أهم الحوادث التي وقعت في عهد المرحوم الشيخ أحمد الجابر:

طلب (ابن سعود) النجدة من أحمد الجابر:

في أواخر سنة ١٣٣٩هـ عند محاصرة جلالة الملك عبد العزيز آل سعود (حائل) استنجد جلالته بالشيخ أحمد الجابر فبادر بنجدته وأرسل إلى جلالة الملك عبد العزيز آل سعود (٦٠ ألف ريال و١٠٠٠ كيس أرز) وبقي الملك عبد العزيز محاصراً الحائل حتى سلمت في شهر صفر سنة ١٣٤٠هـ وسيق الأمير (محمد الطلال آل رشيد) أسيراً إلى الرياض.

هجوم (ابن حثلين والفضم):

في سنة ١٣٤٢هـ هجم ابن حثلين والفضم وكلاهما من رؤساء قبيلة العجمان المعروفة على أطراف الكويت ونهبوا بعض باديتها وأراد الكويتيون تعقيبهم ولكن الشيخ أحمد منعهم حتى يخبر الملك عبد العزيز آل سعود عن اعتدائهم هذا فأرسل أحد رجاله وأعتذر أبن سعود عما بدر.

هجوم أبن شقير:

في سنة ١٣٤٦هـ هجم ابن شقير أحد رؤساء مطير وأمير (جرية) هجرة الإخوان المعروفة والواقعة على الحدود النجدية الكويتية. هجم على ثلة من الفداوية أي حملة السلاح خلف الشيوخ في مكان يدعى (أم الرحم) وقتلوا ثلاثة منهم وصادروا أبلهم وأغنامهم. وفي السنة المذكورة هجمت طائفة من الإخوان على بعض الأعراب القاطنين قرب الجهراء.

معركة الرقعي:

في ٥ شعبان من سنة ١٣٤٦هـ هجم (علي ابن عشوان) رئيس قبيلة (برية) وهي فرع من فروع قبيلة مطير على موضع يبعد عن الجهراء مسافة ست ساعات يسمى (أم الرويسات) فيه رجال تابعين لآل صباح وقد اشتبك هؤلاء الرجال مع ابن عشوان وقتل رئيسهم وحصلت بين الفريقين خسائر طفيفة. وأخيراً استولى الإخوان على ما وصلت إليه أيديهم من أبل وأغنام ولما بلغ خبر هذا الاعتداء حامية الجهراء سارت سرية من الجيش يبلغ أفرادها نحو ستين رجلاً بقيادة المرحوم (الشيخ علي الخليفة آل صباح) ليسترد من الإخوان ما أخذ فأدركهم الكويتيون في (الركعي) وجرى تبادل اطلاق النار بين الإخوان بقيادة علي ابن عشوان وبين الكويتيين بقيادة الشيخ علي الخليفة آل صباح. ثم هجم أهل الكويت بسياراتهم التي كانت قد نقلتهم من الجهراء ويقال أن عددها اثنا عشرة

سيارة ولم يسبق أن استخدمت السيارات في معركة قبل هذه وعلى أثر هذا الهجوم فزع الإخوان وركنوا إلى الفرار تاركين في الميدان قتلاهم وجرحاهم وكل ما أخذوا من أموال وغنائم. ولم يكتف الكويتيون بهذا النصر الذي أحرزوه بل أصروا على اقتفاء أثر الإخوان وقطع دابرهم ولكن تعطلت السيارات عن مواصلة السير بسبب الرمال في (شعيب الركعي) الأمر الذي جعل الإخوان يكرون على الكويت ويهاجمون بعض السيارات وعاد الكويتيون على أعقابهم بعد أن قتل الشيخ علي السالم آل صباح وجرح الشيخ علي الخليفة آل صباح قائد الحملة وتسمى هذه المعركة معركة الركعي نسبةً إلى المكان الذي وقعت فيه (معركة الركعي هذه هي آخر معركة وقعت في تاريخ الكويت).

سنة الخكرة:

في ٢١ رمضان سنة ١٣٤٧ هـ هجم (أبن شقير) من رؤساء مطير على بعض أعراب العراق من الغنامة[1] وهم في طريقهم إلى الكويت بين سور البلدة والشويخ ومعظمهم من عشيرة الخرسان العشيرة العراقية التي اعتادت سكنى لواء المنتفق وكان ذلك قرب سور مدينة الكويت الذي أغلقت أبوابه في وجوههم. وحلت بهؤلاء المساكين مأساة وأصيبوا بخسائر جسيمة في الأموال والأرواح والعجيب أن الشيخ أحمد الجابر آل صباح والكولونيل (دكسن) الوكيل السياسي البريطاني في الكويت يراقبون من فوق السور سير هذه المأساة كأنهما يشهدان عرضاً سينمائياً.

وقد استاء من هذا الحادث الذي قام به المجرم (تريجيب بن شقير) وجماعته من مطير عدد كبير من الوجهاء والتجار الذين تقدم أحدهم إلى المرحوم الشيخ أحمد الجابر قائلاً: هل من الإنصاف أن نتركهم يقتلون وتسفك دماؤهم على مرأى ومسمع منا ويستجيرون بنا ولا نجيرهم. فرد عليه الشيخ أحمد قائلاً ما هو موقفي أمامكم لو دخل الإخوان البلدة وأخذوا يهاجموننا في عقر دارنا، ويظهر أن الذي دفع الشيخ أحمد على إغلاق أبواب السور أمام المعتدى عليهم وعدم التدخل ومراقبة الموقف من فوق السور ليس تأييداً للمعتدين بل مخافة أن يكون وراء هذه الحادثة شيئاً آخر. فيعتمد ابن شقير بمهاجمة أولئك الأعراب وبنفس الوقت يقرب نحو البلدة فيهاجمها.

سنة البشوت:

البشت هي العباءة التي يرتديها الرجل وفي البادية ونجد والكويت والخليج العربي لا يكون الرجل رجلاً يستحق الاحترام والتقدير ما لم يضع على رأسه العقال ويرتدي العباءة. وفي سنة ١٣٤٩ هـ أصدر المرحوم الشيخ أحمد الجابر آل صباح أمراً لم يسبق أن أصدر مثله أحد وهذا الأمر ينص بخلع البشوت.

---

(١) يطلق اسم الغنامة على الاعراب الرجل الذين يقتنون الأغنام دون سواها وقد اعتاد هؤلاء التجول في الصحراء في فصلي الشتاء والربيع وال سكني في الاهوار والنخيل في فصلي الصيف والخريف.

وقوبل أمر الشيخ أحمد الجابر بالانتقاد والتحدي إلا أن الشيخ أحمد ألزمهم بتنفيذ هذا الأمر ولما رأى سموه عدم انصياع الأهالي لتنفيذ أمره هدد بمصادرة عباءة كل رجل من على ظهره وحرقها فخاف الناس فخرج معظمهم بلا عباءة مستعيضين عنها بعصى من الخيزران أما بعض المتعصبين فأنهم لازموا منازلهم.

وكان أول من خرج للناس بدون عباءة أفراد الأسرة الحاكمة يتقدمهم الأمير نفسه وكذلك الحاشية والخدم وخلال أيام قلائل اختفت العباءة تماماً ويقال أن جلالة الملك عبد العزيز آل سعود أرسل كتاباً إلى الشيخ أحمد الجابر يسأله فيه عن سبب القرار وينتقده فسمح للناس بالعودة إلى العباءة.

النفط فى الكويت:

في سنة ١٩٢٣م قدم الكويت ضابط انكليزي متقاعد اسمه (الميجر فرانك هولمز) وهذا الرجل هو أول من تنبأ بوجود النفط في الكويت وبعد ذهابه إلى لندن أخبر الشركة الشرقية العامة المحدودة عن ذلك فأنتدبته الشركة المذكورة بعد أن لفت نظرها ليفاوض باسمها المرحوم الشيخ أحمد الجابر آل صباح لأخذ امتياز النفط. ولكن لم يبت في الأمر فى ذلك الحين وفي سنة ١٩٢٧م اتفقت الشركة الشرقية العامة المحدودة مع شركة زيت الخليج الشرقية على أن يعطى حق استغلال أراضي الكويت إلى الشركة الشرقية العامة المحدودة وجرى العمل بعد أن تم الاتفاق.

وفي سنة ١٩٣١م حفرت بئران ولكن لم تظهر نتيجة فاصلة لعدم الإغراق في الحفر ولما اكتشف النفط في البحرين بكميات كبيرة استأنف البحث والتنقيب عن النفط في الكويت أملاً بالحصول على كميات أكبر.

فاتفقت الشركة القائمة على العمل (الشركة الشرقية العامة المحدودة) مع شركة الزيت الانكليزية العجمية على أن يكون لكل من هاتين الشركتين ٥٠٪ بعد أن اتفقتا على شركة اسمتاها (شركة زيت الكويت).

وعقدت الشركة الجديدة اتفاقية مع الشيخ أحمد الجابر وذلك في ٢٣ كانون الأول سنة ١٩٣٤م شملت أراضي الكويت وبدأ البحث الجيولوجي والتنقيب عن النفط فبني معسكر كبير للخبراء والمختصين بجانب البحر.

وبدأ الحفر في مارس سنة ١٩٣٦م برعاية حضرة صاحب السمو الشيخ أحمد الجابر آل صباح وأقيم احتفال بمناسبة البدء بالعمل وقد حفرت أول بئر إلى عمق (٧٩٥٠) قدماً فهجرت بعدم

الحصول على النفط ثم حفرت بئر أخرى قرب (تلول الربقان) على عمق (٣٦٧١) قدماً. وفي شهر تشرين الأول سنة ١٩٣٧م ظهر نفط يبشر بكميات أعظم وفي ٣٠ حزيران سنة ١٩٤٦م أقيم احتفال رسمي كبير بمناسبة شحن أول كمية من النفط الخام وتصديره إلى الخارج على ناقلة البترول البريطانية (برتيش فيوزلير) وهي أول ناقلة بترول ترسو في ميناء (الأحمدي) لهذا الغرض.

وكان من أبرز حضور هذا الاحتفال الرسمي الكبير حضرة صاحب السمو المغفور له الشيخ أحمد الجابر آل صباح الذي تفضل وفتح بيده الكريمة الصمام الفضي ايذاناً بشحن أول كمية من النفط الخام.

وفاة الشيخ أحمد الجابر:

وفي كانون الثاني سنة ١٩٥٠م توفي الشيخ أحمد الجابر آل صباح رحمه الله وتولى الحكم بعده ابن عمه الشيخ عبد الله بن سالم بن مبارك آل صباح.



الشيخ عبد الله السالم آل صباح

الشيخ عبد الله بن سالم بن مبارك

ولد الشيخ عبد الله السالم آل صباح سنة ١٨٩٥م وتولى مقاليد الأمور في الكويت بعد وفاة ابن عمه الشيخ أحمد الجابر آل صباح، وكان أثناء وفاة الشيخ أحمد الجابر آل صباح خارج الكويت في عمان ومسقط فقدم الكويت بعد وفاته بيوم. وفي ٢٥ شباط سنة ١٩٥٠م الموافق ١٣٦٩هـ استلم زمام الحكم رسمياً وأقيم لذلك احتفال في ساحة الصفاة وكان رحمه الله يتولى الإشراف على مالية الكويت في عهد المرحوم الشيخ أحمد الجابر وتولى رئاسة المجلس التشريعي الكويتي سنة ١٩٣٨م.

أهم الحوادث التي جرت في عهده:

إلغاء معاهدة الحماية البريطانية على الكويت:

في ١٩ حزيران سنة ١٩٦١م تم إلغاء معاهدة الحماية التي سبق وأن عقد في ٢٣ كانون الثاني سنة ١٨٩٩م بين الحكومة البريطانية والمرحوم الشيخ مبارك آل صباح وفيما يلي نص تلك المعاهدة:

بسم الله الرحمن الرحيم.

المقصود من تحرير هذا الصك الحقانية المعتبر أنه قد تحقق العهد والقبول بين (كرنل ملكم جان ميد أندين ستاف كار) باليوز جلالة الملكة البريطانية العظمى من جانب الدولة البهية القيصرية في طرف جناب الشيخ مبارك بن صباح شيخ الكويت في الطرف الثاني بأن جناب الشيخ مبارك بن صباح المذكور برضائه واختياره يعطي العهد ويقيد نفسه وورثته وأخلاقه إلى الأبد، بأن لا يقبل وكيلاً أو قائم مقاماً من جانب دولة أو حكومة في الكويت أو في قطعة أخرى من حدوده بغير رخصة الدولة البهية القيصرية الإنكليزية، ولا يفوض ولا يبيع ولا يؤجر ولا يرهن ولا ينقل بنوع آخر ولا يعطي للسكون قطعة من أراضيه إلى دولة أو رعية أحد من الدول الأخرى بغير أن يحصل الأجازة أولاً من دولة جلالة الملكة البريطانية العظمى لأجل هذه الإرادة وهذه المقاولة أيضاً تشتمل على كل قطعة في أراضي الشيخ المذكور التي تكون حالاً في تصرف رعايا كل واحد من دول الغير ولأجل الشهادة لتكتمل هذه المقاولة الحقانية المعتبرة المحترمة كرنل ملكم جان ميداندين ستاف كار باليوز جلالة ملكة بريطانيا العظمى في خليج

فارس وجناب الشيخ مبارك الأول منهما من جانب الدولـة البهية القيصرية لانكليس والثاني منهما من جانب نفسه وورثته واخلافه كل واحد منهما بمحضر الشهود وضعا صحيحهم في هذا اليوم العاشر من شهر رمضان المبارك سنة ١٣١٦هـ مطابق ٢٣ جنوري سنة ١٨٩٩م.

توقيع　　　　توقيع

مبارك الصباح　　　　الكولونيل ميد

المقيم السياسي في الخليج الفارسي

توقيع　　　　توقيع

محمد رحيم بن عبد النبي صفر　　　　الكابتن ويكهام هور

توقيع

كرزن اوف كداستون

نائب الملك والحاكم العام في الهند

صودق عليها من قبل سعادة نائب الملك والحاكم العام في الهند في (قلعة وليام) في السادس عشر من فبراير ١٨٩٩م.

ختم

دبليوجي كننغهام

سكرتير حكومة الهند

للشئون الخارجية

تبادل الرسائل بين الشيخ عبد الله السالم آل صباح والمقيم البريطاني في الخليج:

وفي ١٩ حريزان سنة ١٩٦١م تبودلت الرسائل بين حضرة صاحب السمو المغفور له الشيخ عبد الله السالم آل صباح حاكم الكويت وبين المقيم السياسي البريطاني في الخليج (السير وليام لوس) وذلك في مقابلة تمت بينهما في (قصر السيف) في الكويت. ثم قرأ السير وليام لوس كتاباً اعترفت فيه بريطانيا باستقلال الكويت وسيادتها الكاملة. ثم قرأ كتاب حضرة صاحب السمو الشيخ عبد الله السالم آل صباح (كتاب الجواب) وبعد الانتهاء من قراءة الكتابين تم التوقيع عليهما من قبل سمو الشيخ عبد الله السالم آل صباح والمقيم السياسي البريطاني.

وفيما يلي نص الرسالة الموجهة إلى سمو الشيخ عبد الله السالم آل صباح من المقيم السياسي البريطاني:

١٩ حريزان ١٩٦١م

يا صاحب السمو ،

لي الشرف أن أشير إلى المباحثات التي جرت مؤخراً بين سموكم وبين سلفي نيابةً عن حكومة صاحبة الجلالة في المملكة المتحدة وبشأن الرغبة في تطوير العلاقات بين حكومة المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وايرلنده الشمالية وبين دولة الكويت وذلك للأخذ بعين الاعتبار حقيقة أن حكومة سموكم تتحمل وحدها مسئوليات تسيير شئون الكويت الداخلية والخارجية فقد تم الوصول خلال هذه المحادثات إلى النتائج التالية:

(أ) تلغى اتفاقية ٢٣ جنوري ١٨٩٩م لكونها تنافى مع سيادة واستقلال الكويت.

(ب) تستمر العلاقات بين البلدين مسيرة بروح الصداقة الوثيقة .

(ج) عندما يكون ذلك مناسباً فإن الحكومتين ستتشاوران مع بعضهما في الأمور التي تهم الطرفين .

(د) لا شيء في هذه النتائج سيؤثر على استعداد حكومة صاحبة الجلالة في مساعدة حكومة الكويت إذا طلبت حكومة الكويت مثل هذه المساعدة فإذا كان ما سبق ذكره يمثل تمثيلاً صحيحاً النتائج التي تم الوصول إليها بين سموكم وسير جورج مديلتن فلي الشرف أن اقترح بناء على تعليمات من سكرتير الدولة الرئيسي للشؤون الخارجية لصاحبة الجلالة أن تعتبر هذه المذكرة وجواب سموكم

بالموافقة عليها انهما يشكلان معاً اتفاقية بين المملكة المتحدة والكويت بهذا الموضوع وتظل هذه الاتفاقية سارية المفعول ما لم يشعر أحد الطرفين الآخر برغبته في إنهائها إلا بإخطار يسبق هذا الإلغاء بثلاث سنوات على الأقل .

وتعتبر اتفاقية ٢٣ جنوري ١٨٩٩م ملغاة من تاريخ هذا اليوم .

لي الشرف يا صاحب السمو أن أكون خادمكم المطيع.

المقيم السياسي لصاحبة الجلالة.

نص الرسالة الموجهة من الشيخ عبد الله السالم آل صباح أمير الكويت إلى المقيم البريطاني:

حضرة صاحب الفخامة المقيم السياسي لصاحبة الجلالة في الخليج المحترم.

بعد السلام والتحية ،

لي أن أشير إلى مذكرة فخامتكم المؤرخة بتاريخ اليوم والتي تتضمن على ما يلي:

(أ) تلغى اتفاقية ٢٣ جنوري ١٨٩٩م لكونها تنافى مع سيادة واستقلال الكويت.

(ب) تستمر العلاقات بين البلدين مسيرة بروح الصداقة الوثيقة .

(ج) عندما يكون ذلك مناسباً فإن الحكومتين ستتشاوران مع بعضهما في الأمور التي تهم الطرفين.

(د) لا شيء في هذه النتائج سيؤثر على استعداد حكومة صاحبة الجلالة في مساعدة حكومة الكويت مثل هذه المساعدة فغذا كان كا سبق ذكره يمثل تمثيلاً صحيحاً النتائج التي تم الوصول إليها بين سموكم وسير جورج مديلتن فلي الشرف أن اقترح بناء على تعليمات من سكرتير الدولة الرئيسي للشؤون الخارجية لصاحبة الجلالة أن تعتبر هذه المذكرة وجواب سموكم بالموافقة عليها انهما يشكلان معاً اتفاقية بين المملكة المتحدة والكويت بهذا الموضوع وتظل هذه الاتفاقية سارية المفعول ما لم يشعر أحد الطرفين الطرف الآخر برغبته في إنهائها بأخطار يسبق هذا الإلغاء بثلاث سنوات على الأقل .

وتعتبر اتفاقية ٢٣ جنوري ١٨٩٩م ملغاة من تاريخ هذا اليوم .

أوكد أن مذكرة فخامتكم تمثل تمثيلاً صحيحاً النتائج التي تم الوصول إليها بيني وبين سر جورج ميدلتن وأوافق على أن تعتبر مذكرة فخامتكم وجوابي عليها أنهما يشكلان معاً اتفاقية بين الكويت والمملكة المتحدة بهذا الموضوع .

مع أطيب التحيات،

توقيع

في ٦ محرم ١٣٨١هـ

عبد الله السالم آل صباح

١٩ جون ١٩٦١م

(نص خطاب الشيخ عبد الله السالم آل صباح الموجه إلى الشعب الكويتي):

بسم الله الرحمن الرحيم،

شعبي العزيز، إخواني وأولادي ،

في هذا اليوم الاغر من أيام وطننا المحبوب في هذا اليوم الذي ننتقل فيه من مرحلة إلى مرحلة أخرى من مراحل التاريخ ونطوي مع انبلاج صبحه صفحة من الماضي بكل ما تحمله وما انطوت عليه لنفتح صفحة جديدة تتمثل في هذه الاتفاقية التي تقرأونها الآن والتي نالت بموجبها الكويت استقلالها التام وسيادتها الكاملة .

وفي هذا اليوم والسرور يملأ الجوانح والابتسامات المشرقة تعلو الوجوه نرفع أبصارنا بخشوع إلى المولى عز وجل لنحمده سبحانه ونشكره على ما وفقنا إليه وأنعم علينا به . ولقد كان للتعاون الوثيق بين الحكومة ممثلة في المسئولين من أبناء الأسرة الحاكمة وبين الشعب المخلص من المغزى الجميع ما أشاع الغبطة والاستحسان في نفسي وجعلني أتمنى استمرار مثل هذا التعاون لخير البلد ودوام تقدمه وازدهاره ولا يفوتني هنا أن انوه بالروح الطيبة التي سادت المباحثات وأن أسجل للجانب البريطاني الصديق ما تحلى به من رحابة الصدر وحسن التفهم للأمور والرغبة الصادقة في التفاهم مما جعل الوصول إلى الغاية المنشودة في سهولة ويسر ما أكد مضموناً منذ البداية .

وختاماً فأننا نرجو ونحن على أبواب عهد جديد أن تبدأ الكويت انطلاقها بتقوية أواصر الصداقة والأخوة مع شقيقاتها الدول العربية للعمل بتكاتف وتآزر على ما فيه خير العرب وتحقيق أماني الأمة العربية .

كما أن الوضع الجديد يتطلب منا العمل على الانتماء للجامعة العربية وهيئة الأمم المتحدة وغيرها من المنظمات التي تعمل لخير العالم وأمنه وسلامة كل ما كان ذلك في الإمكان والله ولي التوفيق .

تهنئة ملوك ورؤساء الدول العربية :

وعلى أثر إعلان إلغاء الحماية وتبادل رسائل الاستقلال بين سمو الشيخ عبد الله السالم آل الصباح وبين المقيم السياسي البريطاني. انهالت البرقيات من ملوك ورؤساء الدول العربية للتهنئة بهذا اليوم الأغر الذى سجلت الكويت فيه نصراً عظيماً .

العملة الكويتية الجديدة :

رأت الحكومة الكويتية أن تكون لها عملة مستقلة . فأصدرت قانوناً للنقد الكويتي وأنشأت مجلسا وجعلت (الدينار الكويتي) يحل محل الروبية الهندية التي كانت تستعمل في الكويت .

تشكيل وزارة برئاسة سمو الأمير :

وبعد أن نالت الكويت استقلالها وأصبحت تتمتع بكل مقومات الدولة الحديثة. ورأى المسئولون ضرورة التحول من النظام القديم المعمول به قبل الاستقلال إلى نظام جديد .

تشكلت أول وزارة في تاريخ دولة الكويت المستقلة. برئاسة سمو الأمير نفسه وتضم أربعة عشر وزيراً. وهم:

الشيخ صباح السالم الصباح	وزيراً للخارجية.
الشيخ جابر الأحمد الجابر آل الصباح	وزيراً للمالية والاقتصاد.
الشيخ سعد العبد الله السالم آل صباح	وزيراً للداخلية.
الحاج حمود الزيد الخالد	وزيراً للعدل.
الشيخ جابر العلي السالم آل صباح	وزيراً للكهرباء والماء.
الشيخ سالم العلي السالم آل صباح	وزيراً للأشغال العامة.

الشيخ خالد العبد الله السالم آل صباح	وزيراً للجمارك والموانيء.
الشيخ صباح الأحمد الجابر آل صباح	وزيراً للإرشاد والأنباء.
الحاج عبد العزيز الحمد الصقر	وزيراً للصحة العامة.
الشيخ عبد الله الجابر آل صباح	وزيراً للتربية والتعليم.
الشيخ مبارك الحمد آل صباح	وزيراً للأوقاف.
الشيخ مبارك العبد الله الأحمد آل صباح	وزيراً للبريد والبرق والهاتف.
الشيخ محمد الأحمد الجابر آل صباح	وزيراً للدفاع .
الحاج محمد يوسف النصف	وزيراً للشؤون الإجتماعية.

وكان تشكيل الوزارة بتاريخ ١١ شعبان من سنة ١٣٨١ هـ الموافق ١٧ كانون الثاني من سنة ١٩٦٢م.

المجلس التأسيسي :

وفي ٧ تشرين الأول من سنة ١٩٦١م. أمر سمو الشيخ عبد الله السالم آل صباح بإجراء انتخابات للمجلس التأسيسي. أول مجلس من نوعه في دولة الكويت وفاز كلٌ من:

عبد اللطيف محمد الثنيان الغانم الذي انتخب فيما بعد رئيساً له .

الدكتور أحمد محمد الخطيب
حمود الزيد الخالد
أحمد خالد الفوزان
خليفة طلال محمد الجرى
سليمان أحمد الحداد
سعود العبد العزيز العبد الرزاق
عبد العزيز الحمد الصقر
عبد الله فهد اللافي الشمري
عبد الرزاق سلطان أمان
يوسف خالد المخلد المطيري .

علي ثنيان صالح الأذينة.
عباس حبيب مناور الميلم.
محمد رفيع حسين معرفي.
محمد وسمي ناصر السديران.
محمد يوسف النصف.
مبارك عبد العزيز الحساوي.
منصور موسى المزيدي.
نايف حمد جاسم الدبوس.
يعقوب يوسف الحميضي.

وفاة الشيخ عبد الله السالم آل صباح:

في ٢٦ تشرين الأول سنة ١٩٦٥م افتتح الشيخ عبد الله السالم آل صباح الدورة الرابعة لمجلس الأمة الكويتي. وهي آخر دورة برلمانية في عهده وبعد ظهر يوم الأربعاء ٢ شعبان سنة ١٣٨٥هـ الموافق ٢٤ تشرين الثاني سنة ١٩٦٥م توفي المرحوم الشيخ عبد الله السالم بعد أن دام حكمه خمس عشرة سنة . وتولى الإمارة بعده أخوه الشيخ صباح السالم آل صباح وهو الأمير الحالي .

الشيخ صباح بن سالم بن مبارك

أمير دولة الكويت الحالي

تولى الشيخ صباح السالم آل صباح الحكم بعد وفاة أخيه المرحوم الشيخ عبد الله السالم آل صباح مباشرةً. حيث كان في عهده ولياً ورئيساً لمجلس الوزراء .

أن عهد حضرة صاحب السمو الشيخ صباح السالم آل صباح مائل للعيان فلا حاجة للكتابة.

ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يمد في عمره ويجعله ذخراً للعروبة والإسلام .



الشيخ صباح السالم آل صباح أمير دولة الكويت الحالي

الشعر النبطي

هذا النوع من الشعر عند أهل نجد. يدل على أنه قد أتاهم من العراق أو مشارف الشام فيدعونه (بالنبطي).

والشعر النبطي أصيب بما أصيب به سلفه الجاهلي الفصيح من انتشار الأمية بين أهلية واعتمادهم على الرواية والحفظ والذاكرة وكان أدباء الحاضرة يستهجنونه فضاع منه الشيء الكثير بل الأكثر ولولا ما دون منه في السنوات الأخيرة لضاع كله.

وأقدم ما دونت أشعارهم راشد الخلاوي وأبو حمزة العامري من أهل الإحساء وقطن بن قطن من أهل عمان. ورميزان وجبر بن سيار من أهل سدير في نجد وقد عاش هؤلاء في القرنين العاشر والحادي عشر من الهجري.

ثم نبغ الشاعر الغزلي عبد المحسن بن عثمان الهزاني من الهزازنة أمراء (الحريق) في نجد الجنوبية فأدخل الأوزان المسماه (بالسامري) ذات القافيتين. فكل شطر قافية إلى آخر القصيدة. وقد عم هذا النوع حتى عم على القصيدة القديم ونظم أيضاً المربوعات متخذاً فيها الجناس اللفظي. وعبد المحسن الهزاني من شعراء القرن الثاني عشر الهجري وتلاه ابن لعبون فنسج على منواله وكان أكثر اطلاعاً على الأدب الفصيح. فبالغ استعمال الجناس والاستعارات البديعة حتى أنه قلد (الحريري) و(الصفي الحلي) في نظم المهملات من النقط والمعجمات وقد ظل الشعر النبطي حيناً من الدهر لا حافظ له إلاّ صدور الرواة. فدخله كثير من النقص والتحريف ولم يدون إلاّ في أواخر القرن الماضي.

فجمعت منه دواوين كثيرة وتخصص بعض النساخ لنسخه والارتزاق يبيعونه منها ويسمى (دواوين).

وأول ما طبع منه ديوان صغير سنة ١٣٢٨هـ للمرحوم الشيخ قاسم بن ثاني حاكم قطر.

محمد بن حمد اللعبون المدلجي الوائلي

أبوه حمد بن لعبون من أدباء نجد ونبهائهم. وقد ولي بيت مال سدير في عهد الإمام سعود الكبير وابنه عبد الله.

وله تاريخ نجد مطبوع باسم تاريخ ابن لعبون. ولد شاعرنا في حرمه (ولا نعلم سنة ميلاده). ونشأ في حضن أبيه الأديب وتثقف. وتدل أشعاره على أنه ضليع في الأدب العربي. وقد اقتبس كثيراً من معاني الشعراء الأولين. ولكنه سبكها في قالب جميل قد يفوق المأخذ الأول.

من ذلك قوله:

ضحكتي بينهم وأنا رضيع ... ما سوت بكيتي يوم الوداع

أخذه من قول المعري:

إن حزناً في ساعة الموت أضعا ... ف سرور في ساعة الميلاد

ولكن ابن لعبون قد لطف معناه حتى استحقه.

ومن ذلك قول مسكين الدارمي:

أو كعبد السوء أن جوعته ... سرق الجار وإن يشبع فسق

أخذه ابن لعبون بقوله:

والعبد عبدها فيات عموقه ... إن جاع باق عمومته وإن شبع مات

والذي يتذوق الشعر العامي يفضل بيت ابن لعبون على بيت مسكين.

نشأ ابن لعبون في عصر اشتداد الدعوة الدينية. بعد قيام الشيخ محمد بن عبد الوهاب وكان في طبعه ميالاً إلى اللهو والبطالة فلم توافق له تلك البيئة.

ومن المدلج في الزبير العون ورئيسهم الشيخ ضاحي بن عون وابنه أحمد لهما الرئاسة والشرف والغنى والعون رؤساء أهل حرمة الجالين إلى الزبير. فقدم ابن لعبون إلى الزبير وكان عصره عصر الفوضى والتنافس على الرئاسة في الزبير بين الثاقب الوطبان يناصرهم آل سعدون. وبين أهل حرمه وأهل حريملة يناصرهم آل زهير.

وشاعر الوطبان عبد الله بن ربيعة وابن لعبون شاعر أهل حرمه وأشياعهم. وهذا ما أثار المهاجاه بين الشاعرين.

وإذا كان التاريخ يعيد نفسه ففيها تتجلى مناقضات جرير والفرزدق وابن لعبون كجرير في رقة الفاظه ونفاذ طعناته. وكالفرزدق عبد الله بن ربيعه متانة لفظ وسبك ديباجة مع الرصانة وعدم الفحش. ولابن لعبون الألحان اللعبونية لا يزال يغنى بها في كافة بلاد ساحل الخليج العربي.

وفي أواخر أيامه تغلب (علي باشا آل زهير) على رئاسة بلد الزبير ففر ابن لعبون إلى الكويت ثم سافر إلى البحرين وتوفي في الكويت بالطاعون سنة ١٢٤٧ هـ أما أسلوبه فهو ممزوج بين لهجة أهل نجد ولهجة أهل الساحل. فصار مقبولاً عند الطرفين كما أن تضلعه بالآدب العربي تجعله يستعمل أنواعاً كثيرة من البديع ورد في شعره ذكر الشيب وأنه عمر ستاً وأربعين سنة على أن أباه عمر بعده طويلاً.

ويعتبر محمد بن لعبون أمير شعراء النبط. ولما بلغت مسامع الشيخ علي باشا آل زهير حاكم الزبير أن لمحمد بن لعبون قصيدة جديدة وكان الشيخ علي من المولعين بأشعار ابن لعبون. والذي أبلغه عنها هو الشاعر ابن ربيعة. فاستدعاه إلى مجلسه لسماعها منه ولما مثل ابن لعبون أمامه طلب منه القاؤها فألقاها على كره منه لما يعرفه عن الشيخ علي من ذكاء ودهاء.

فاعتبرها الشيخ علي هجاء لآل زهير واتباعهم ولكن من طرف خفي. وفيما يلي بعض مقاطع منها:

يا خفي اللطف لطفك يا كريم … ترحم اليوم اللي عجز لا يقوم
كلما ناحت حمامات الصريم … في مغاني مي ناوحت الهموم
وإن كشفت أغطاي ولى أن الحريم … قاعدات من صباح الله تلوم
قلت باسمك يا الهي يا رحيم … قال ربي قبلكم ويش العلوم
قالوا هجر دار ذا العيش الذميم … وارتحل عن ماه جعلك ما تقوم
يا محمد سبعة أيام مديم … بالسفاهة وسبعة أعوام تعوم
ما ور أمير أنت بالميشوم شيم … عن ديار جعل ساكنهن بوم

وانس ذاك الولف والعهد القديم … واعرف أن أوصال مي ما يدوم
وأنت منت بولد عمك غشيم … قلت يالعذارى ولد عمي عزوم
لو ولد عمي على عوج الخصيم … ما لقيتوني مسامر للنجوم
ان عطا فهو الكريم ابن الكريم … وان سطا فهو الغشوم ابن الغشوم

ومنها والخطاب لعلي آل زهير:

ملقح بأفكاره الحرب العقيم … وضعها عقب الحمل غلمان نوم
يورد الرايات في هول عظيم … خافقات بالنصر مثل الغيوم

***

ثابت لا زال بالهيجا مقيم … والسبايا طافحات بالقدوم
كم عذلني فيك أفاك أثيم … سامري ما يروم اللي تروم
يفتخر حاشاك بالعظم الرميم … مفخر البزون بالسبع القصوم
يندب العليا ويعلق في تميم … اقعدوا له بالذي فوقه رجوم
وأنت مثل الليث بالليل البهيم … عسكرك طير المنايا به يحوم
لو رميت ابها الذى لك من خصيم … ما جرى شط العرب غير الدموم
كل عين شوفها صاغ سليم … من سنانك يا علي فيها عزوم

- ومنها هذان البيتان وهما بيت القصيد:

تحسب أن الحق بالشرع القويم … والمعالي بالتساكر والرشوم
دون حق المدعي عط الرزيم … والمعالي دونها قطع الخشوم

والذي يقرأ هذه القصيدة يظنها مديحاً للشيخ علي باشا آل زهير والحقيقة خلاف ذلك. فأبن لعبون مدح الشيخ علي آل زهير على طريقة أبي الطيب المتنبي مع كافور ولما انتهى من لقائه. التفت الشيخ علي إلى من حوله. وقال أنه يحرك ساكناً ويوقظ رأساً نائماً.

فأمر بمغادرة الزبير وأعطاه مهلة ثلاثة أيام على ما قبل. فخرج ابن لعبون من عنده غاضباً وقصد بيت ابن ربيعه وأخبره الخبر. وقال له أن الشيخ علي أمهلني ثلاثة أيام ولكني سأترك الزبير اليوم وفي هذه الساعة وطلب من ابن ربيعه قربة ماء فارغة وسايره ابن ربيعه حتى أبار (الدريهيمية) وهي آبار يستقي منها أهل الزبير. ولما انحدر ابن لعبون في أحداهما يستقي سمع صوت (طار) فقال ابن لعبون لابن ربيعه (ذا حس طار) فرد عليه ابن ربيعه أو في ضميرك خفوقه فنظمها ابن لعبون بهذا المطلع قصيدة طويلة شحنها باقذع الهجاء وأمره على أهل الزبير قاطبة بما فيهم الشيخ علي آل زهير. وهذه بعض مقاطع منها:

ذاحس طار أو ضميرك خفوقه / يدق به من نازح الفكر دقاق
الحي هو حيك أو طابت أو فوقه / والدار هي دارك وهذيك الأسواق
يا عبيد خل اللي تشكل بسوقه / شيخ وهو عبد يذكر بالأعماق
ويا قلب وإن كانت اعلومك صدوقه / بينك وبين الدار عهد وميثاق
شرواك ينشد من مغاني تروقه / حيثك محب للمغاني ومشتاق
تذكر بها عيش مضى ما تذوقه / يا عونة الله يوم تقسيم الارزاق
العبد عبدها هافيات اعموقه / أن جاع باق عمومته وأن شبع ماق
والحر حر ينهضنه اسبوقيه / والبوم يمشي بين الأسواق خفاق
قم لا رعاك الله قرب سبوقه / ثم ارفعه من دار غاقه وغرناق
بع بالهجير أوصال حي تشوقه / دار عساها للرزايا بتيفاق
دار العنا للي بها والمعوقه / لو هي عن الدولة على سبعة أطبقا
دار بها الوالد كثير اعقوقه / واللي يعقونة امصلين الاشراق
تلقى بها هذا على ذا يسوقه / الله يعزك والخوندات بسحاق
راعي الوفا منهم عميله يبوقه / وتلقاه حلاف مهين وملاق
بأركانها المستور ضاعت حقوقه / وحقوق داني الجدجت له بالآفاق

ومنها:

ما بين شقاق ورافي شقوقه / وشمات مخلوق وعصيان خلاق
يا مال هطال صدوق حقوقه / يشبه كما ليل على الصبح ينساق
يوضي كنها حرب النصارى بروقه / يطرب له البهلول منهم يشتاق
يقتل نداف الطها من اطبواقه / مثل النعام أن ذارها زول تفاق
ترفا مريضات النسايم افتوقه / لجب عسى ما في نويه بتيفاق
يسوقه الغربي والآخر يعوقه / مستاصل مبناه طاق على طاق
تفتر عن مثل الدحاريج موقه / أربعة ليالي مدلجات على ساق
وخامس تشوق الدار والثلج فوقه / مثل السرير مجلل عاد براق
تلقى العذارى حسر في صفوفه / ياضي لميع خدودهن مثل الأوراق
بين الطموح وبين مشتاق شوقه / صرعى بها من غير خمر وترياق
تسمع ندازجر الملك في صفوفه / قضى القضا والتفت الساق بالساق
رواد بهم ما راد بيضا سحوقه / من طولها تمضي على سبعة أطباق
منشي الخيال إلى غشى في شروقه / يحده اللاهب ويضويه براق
واللي يرى ضد الوفا ما يذوقه / يدق به من نازح الفكر دقاق

وسافر إلى الكويت بحراً من مرفأ الخوير ولا يعرف تاريخ سفره من الزبير بالضبط الا أن ذلك وقع ما بين سنة ١٢٤٣هـ وسنة ١٢٤٧هـ في عهد علي باشا آل زهير.

ولما وصل إلى الكويت وجد شهرته قد سبقته إليها فلقى من الشيخ جابر العبد الله آل صباح ومن أهل الكويت وأمرائها كل ترحيب وإكرام. وصارت له علاقات طيبة مع عدد من الشخصيات الكبيرة ومنها الحاج يوسف اليعقوب البدر وهو من المعجبين بالشاعر. وكان ابن لعبون يركن إليه بالملمات وعلاقته به قديمة منذ أن كان في الزبير.

ورغم الترحيب والإكرام الذى لقيهما من أهل الكويت ومن أميرها فانه لم يستطع تناسي الذكريات الجميلة التي مرت به في الزبير. كما نرى ذلك واضحاً في شعره الذى نظمه في الكويت كقوله في قصيدة:

يا منازل مي في ذيك الحزوم قبله الفيحا وشرق عن سنام
في سراب عن جوانبها بجوم طافحات مثل خبز في يدام
يستبين بها الخبير بها الرسوم دراسات كنهن دق الوشام
ما بكت فيها من الفرقا غيوم من نظير العين إلا من غرام
عوضت عنها الضعاين بالهدوم وانتحاب البوم عن سجع الحمام

ومنها:

كل عيش غير عيشك ما يدوم يوم وصلك بالكرايم والكرام
يا سنين اللي مضت مثل الحلوم كنهن في دار ابن عوام عام
يوم مى تحسب الدنيا تدوم وان عجات الصبا دوم الدوام
يوم هي توريك خد به وشوم يفضح البراق من جنح الظلام
كنه القنديل بالزيت مخدوم شبته دياتها عند المنام
غانيات غانجات لي تروم كنهن في كنهن بيض النعام

وقوله من قصيدة أخرى:

قضت ليالي وصلنا به وفرقت شمله وذاك الوصل على بالي

ومنها:

فيا مي صفو العيش ما طا عقبكم وقلب سلاما اعتاض عنكم بالأبدال

وقصائد ابن لعبون التي نظمها في الكويت مليئة بالذكريات والحنين إلى الزبير وليس من المستغرب على ابن لعبون المفعم قلبه بالذكريات الجميلة أن يجيش قلبه بها ويعبر عنها بشعره ويجعل منه متنفساً له مهما بلغ من إكرام القوم له ولكن المستغرب هو أن ينسى الإنسان هذه الذكريات والماضي مهما كان ومن أشهر قصائده التي نظمها عند وصوله إلى الكويت قصيدته التي يهجو بها شاعر الزبير عبد الله بن ربيعة ويمدح بها الشيخ جابر العبد الله آل صباح حاكم الكويت وهي من أروع أشعاره قال:

البارحة سهر وأدير التفاكير في ذم تدل بادي بالعياره
لا طالب دم يبي له مشاوير حتى نعذره لو طلبنا بشاره
ولا صان عرضه لو بوسط الدواوير ولا هو يطلبنا بقايا تجاره
بلا ذنب اركا في قفانا مشايير واشوف جاذم بعين الحقاره
وحنا أهل الوادي وحنا المناعير وحنا ودينا جارنا من جداره
يشهد لنا جريس اليماني بتفخير يوم عن أهل الدين محد اجاره

***

خذ ما تراه وخل عنك الخماكير من شق جيب الناس شقو وزاره
تر اذهاب النمل سعيه بتطيير خذ رأسها ياللي تطهمت قاره

ومنها:

يا عبيد ابن عمك خواله بياسير وعينك عمت من شوف عيبك وعاره
وان طعتني عن السباع المضاهير عندك أخو مريم تسلفط بداره
أبو صباح ريف ركب معايير هو زين مضيوم جلا عن اديارہ
جابر لكم سدره وانتم عصافير إذا خيم عصفور لجا في جواره
يستاهل البيضا بروس المقاصير وأولاده اللي كل منهم نماره

والمعروف عن ابن لعبون انه ميال إلى الطرب وحياة اللهو والمجون، وفي الكويت حصل له فراغ كبير في نفسه فتعذر عليه أن يجد المجال الكافي لملء هذا الفراغ. فعزم على ترك الكويت وسافر منها إلى البحرين حيث الصبا والجمال والحياة الفارهة الميالة. وهناك وبعد أيام قليلة من استقراره فيها حدث ما لم يكن في حسابه. واضطر إلى الهرب منها والعودة إلى الكويت. ذلك أن امرأة لأحد أمراء آل خليفة حكام البحرين حضرت حفلة عرس كانت قد أقيمت. وابن لعبون فيها. وكان الوتر من العود وكانت فارعة الجمال. فطغى عليها الطرب وبغي وبرزت ترقص بين وقع (الطار) وصوت ابن لعبون الجميل وأسقطت القناع عن وجهها وبرزت كالبدر في ليلة تمامه. فتخرج موقف ابن لعبون وصار يناديها من خلال الغناء. بأن تعيد القناع إلى وجهها

فلم تأبه له. وفيما هي كذلك شاهد ابن لعبون أحد أقاربها بين الحاضرين واسمه (علي) فخاف من العاقبة. وانتقل إلى فن آخر لعله يتفادى الأمر هذا مطلعه:

يا على صح بالصوت الرفيع   يا مره لا تذ بين الجناع

إلى آخره.

وفي رواية أخرى أنها برزت للرقص واسقطت القناع عن وجهها انتقل ابن لعبون إلى هذا الفن مع فارق بسيط يخاطب رفيقاً له بلهجة الأمر ويدعى (علي) أن يصيح بها صوت عال كما يدل على ذلك مضمون البيت.

يا على صح بالصوت الرفيع   يا مره لاتذبين الجناع

والرواية الأولى هي الأصح لتواترها. وعاد ابن لعبون إلى الكويت ولسان حاله يقول:

وألقت عصاها واستقر بها النوى   كما وقر عيناً بالإياب المسافر

وبقي ابن لعبون في الكويت إلى أن توفي بالطاعون الذي اجتاح الكويت عام ١٢٤٦هـ.

قصيدة محمد بن لعبون (وهو في البحرين) كاملةً.

يا علي صح بالصوت الرفيع   يا مره لا تذبين القناع
قل لها المهره الصفر الصنيع   سنها عندكم وقم الرباع
نشترى منك كان آنك تبيع   بالعمر مير ما ظني تباع
شاقني يا علي قمراً ربيع   يوم أنا آمر وكل أمري مطاع
يوم أهلنا وهل مي جميع   نازلين على جال الرفاع
ضحكتي بينهم وأنا رضيع   ما سوت بكيتي يوم الوداع
هم بروني وأنا عودي رفيع   يا علي مثلما تبرى اليراع
طوعوني وأنا ما كنت اطيع   واغلبوني وأنا ظفر شجاع
وجد عيني على ظبي تليع   عندكم كن في خده شماع
وأنت يا لا يمي جعلك تضيع   ما تمارى بها مثل الشعاع
ودي اسلاه والكون الفنيع   سلوتي يا علي ما تستطاع

عبد الله بن ربيعه

عبد الله بن ربيعه بن عبد الله بن وطبان بن ربيعه بن مرجان بن إبراهيم ابن موسى بن ربيعه بن مانع المريدي.

جده وطبان بن ربيعه قتل ابن عم له اسمه مرخان سنة ١٦٠٥هـ ومرخان هذا هو ابن عم مقرن أحد أجداد (سعود بن محمد) الذى سميت به الأسرة السعودية.

وفي وطبان يجتمع الثاقب والربيعة. ومن الثاقب إبراهيم وابنه محمد الذى قتله متسلم البصرة سنة ١٢٥٢هـ. ومحمد هذا جد المرحوم الشيخ مبارك آل صباح حاكم الكويت الأسبق من جهة أمه. وقد كانت لولوه بنت محمد البراهيم الثاقب زوجة للشيخ صباح بن الشيخ جابر العبد الله آل صباح وصباح هذا هو والد عبد الله ومحمد وجراح ومبارك. تولى الشيخ صباح زمام الحكم في الكويت بعد وفاة والده جابر. وتولاه بعده ابنه عبد الله ثم ابنه الآخر الشيخ محمد ثم تولى حكم الكويت الشيخ مبارك سنة ١٣١٣هـ وتوفي الشيخ مبارك سنة ١٣٣٨هـ.

وكان وطبان قد فر هارباً من الدرعيه وقصد المنتفق. وخلف وطبان ثاقب وخلف ثاقب إبراهيم الذى أسند أمراء المنتفق مشيخة الزبير له سنة ١٢١٣هـ إلى أن قتل سنة ١٢٣٧هـ وتولى المشيخة بعده ابنه محمد (راجع أحوال الزبير السياسية) وكثيراً ما يفتخر ابن ربيعه بآل سعود وبنوه في شعره. ولقد اختص ابن ربيعه بآل سعدون أمراء المنتفق في العراق.

ولد الشاعر ابن ربيعه في الزبير ومات فيها سنة ١٢٧٣هـ.

يقول ابن ربيعه:

خد ما تراه وخل عنك التفاكير   يا قلب ياللي كل ما جاه داره
لابد للعسر لمنوخ مياسير   ولا بد ما تقفا النذارة بشاره
العبد ماله عن حتوف المقادير   واللي كتب لو بصندوق زاره
ما قل دل وحاجتي ياهل العير   طرس تودونه الحامي جواره
من ديرة [1] العوام روحوا مسافير   تلقون ينبوع الندا والنماره
ربع يسرك وردهم المصادير   صبيان يا ما شتتوا كل غاره

(1) ديرة العوام بلد الزبير (مسافير) سعداء ميمونين (تلقون) تلقون أو تصلون.

صار الجزالي من عشيرتي معايير ليته يشارهني مشارى ماره[١]
إن كان حنايا خوالك عطاطير[٢] فحمود[٣] تبطل شيمته واعتباره
جدك أخذ هنديه بالدنانير بيضا وتكرم داخليها طهاره[٤]
ليتك تقر بخطبتك بنت صنهير انشد بني عتبه ترا العجم داره
مرباه في دسبول والجد بنجير أشقر ولطامة أخدود خساره[٥]
حنا أهل الباس الشديد المناعير وحنا إلى خرب المذاهب عمارة
تشهد لنا عقال قومك بتفخير وحنا أهل العوجا وحنا فقاره[٦]
يا هيه من ضعا إلى ما وراء الدير أنشدك من كل البوادي جواره[٧]
انشدك من خيله بفارس مشاهير[٨] وأنشدك من أضرم على العجم ناره[٩]
وأن قيل ثور مقري السبع والطير اسهر عيون أهل المدن بالنظارة
هذا ابن عمي وخل الجماهير[١٠] يا أخو عمر وش جابنا للعطارة
فان كان ذا الغربه رمتنا بتصغير خذ رأسها ياللي تجشمت قاره[١١]
الراية البيضا[١٢] لأهل بنت الخير ما دامت العينين ترعا سماره[١٣]

---

(١) المشارة: العتاب .

(٢) كان بعض العرب ولا يزال الكثيرون منهم يعدون الصناعة كالحدادة والنجارة وبعض أنواع التجارة كالعطارة والصيرفة عاراً ولا يمتهنها إلا من هو ليس من أصل عربي ومتى كان عطاراً فهو ساقط النسب.

(٣) حمود هو حمود بن ثامر آل سعدون

(٤) الطهاره: بيت الخلاء .

(٥) دسبول ويجير من بلاد العجم (لطامة خدود) شيعية.

(٦) أهل العوجا أهل العارض (وبهذه الكلمة يعتزون بها وقت الحرب..

(٧) الدير: دير الزور .

(٨) مشاهير: معلمات .

(٩) ثور مقري السبع والطير يقصد به الامام تركي بن عبد الله آل سعود وتركي هذا هو جد الامام عبد الرحمن وعبد الرحمن هو جد جلالة الملك فيصل المعظم .

(١٠) الجماهير: الكذب والبهتان .

(١١) القارة: الجبل (تجشمت) تكلفت الصعود .

(١٢) الراية البيضاء كان الرجل إذا احسن إلى الرجل وأراد مكافأته ينصب على بيته راية بيضاء وينادي فلان بيض الله وجهه.

(١٣) السهارة: سواد النخيل أو الشجر .

بيت السلف بيت الخلف والمضاهير بيت عمار المنتفق من عماره[١]
بيت لهم ورد الرياسة بتصدير حلوين علقم للذي به مراره
بيت لهم شيمه علامه على الغير ما لجلجت عينه بحذار جاره
بيت اليتامى والهجا فا المقاصير بيت سلاطين العرب من جواره
بيت الندى بيت الغنى والمياسير بيت الرياسة والحكم والوزارة
بيت تقصده الهلاكا من النير[٢] الله يدمر من سعا بدماره
بيت المحمد[٣] من تزبنته صغير مالي سواهم يعلم الله تجاره
اختص أبو هزاع حبس الطوابير[٤] كم حله داسه وجدد مفاره
شيخ على وضع النقا[٥] كونه عصير[٦] والليل غطا من لقاه ذعاره
يون مرباع وربع مسايير وخلو عمر عمودهم بالمعاره
دوا لمن زاد وعلا[٧] كنه الطير[٨] واللي على قربه عقبهم شراره[٩]
حر تذكر ما كره وادلج السير عزيلكم[١٠] ياللي سكنتو بداره[١١]
ادمي العرب[١٢] من شنبل الشام لنجير ولا عاش من يسكن بعدهم أدياره
أمين قولوها معي خا تمت خير من مخلص مأمون سر جهارة

---

(١) المنتفق من أكبر القبائل العراقية من بني عامر بن صعصعه وامراءهم آل سعدون من اشراف الحجاز قدموا العراق واتفق المنتفق على تاميرهم .

(٢) النير: الهاربون من النار.

(٣) من آل سعدون (عيسى ابن محمد وأخوانه) وينازعهم الرئاسة (آل ثامر) من السعدون أيضاً والعقيل من السعدون وقد توفي عيسى بن محمد حرقاً في سنة ١٢٥٩ هـ وحكم بعده أخوه بندر.

(٤) الطوابير: يقصد بها جنود الاتراك.

(٥) وضع النقا: بمعنى عيان بيان (كونه) غارته .

(٦) (عصير) مساء يصفه بأنه لا يهاجم خصمه مساءً في وضح النهار اعتداداً بنفسه وحتى يهيأ له الهروب بالليل .

(٧) يريد ان ممدوحه مثل الدواء لمن به غرور وطغيان.

(٨) الطير مثل الطاعون مرض يصيب ذوات الحافر أما القريبون منه فلا يصيبهم شيء من شرار غضبه.

(٩) عقبهم: تعدادهم.

(١٠) عزيلكم: أي عزاء لكم.

(١١) سكنتوا بداره: رعيتم حماها .

(١٢) أدمي فلان، فلان صار مطلوباً له بدم أي ثار. (العرب) بمعنى الناس يريد أنه قتل كثيراً من كل القبائل ولكن دماءها تذهب هدرا.

حميدان الشويعر

حميدان الشويعر من شعراء نجد المشهورين الذين كتب لهم الخلود. وهو من (السيايره) من قبيلة بني خالد. ومن أهل قرية (القصب) أحد قرى الوشم في نجد. توفي في منتصف القرن الثاني عشر الهجري. ولا تزال أشعاره سائرة على الألسن لأنها من النوع الخفيف. وأشعاره كلها جد في هزل في السياسة والاجتماع والأخلاق. ولا يعرف عن مولد حميدان أو وفاته شيء سوى أنه عاصر عبد الله بن معمر أمير العيينه ومدحه. والمذكور توفي سنة ١١٣٩هـ وممن ذكرهم في أشعاره (محمد بن ماضي) وابن نحيط وكلهم متقاربون في ذلك القرن. وهو على ما يظهر من أشعاره قميء نحيف القوى ولكنه ذو لسان حاد مهيج حماسي عاش حتى هرم. وسفره إلى العراق ليكون حارساً في بساتين النخيل في البصرة، وخروجه من الزبير ماراً ببلدان سدير في طريقه إلى القصب. أوحى إليه بتلك الملحمة الخالدة التي وصف بها بلدان سدير. فمدح من مدح وهجا من هجا. فصارت سجلاً للمجد يفتخر بها الممدوح ويتوارى المهجو.

لقد هال حميدان ما رأى في العراق من خيرات ونخيل وبساتين وأعظمها (شط العرب) ولا يستعظم شط العرب إلاّ من يأتي من قرية حميدان حيث الجفاف وقلة الماء ونضوبه حيث يكمن الفقر باجلى مظاهره. فينطلق خيال حميدان ليصور لنا حالة نجد والفقر الجاثي بها آنذاك.

وعبارة نجد مصطلح جغرافي فكل أرض مرتفعة تسمى نجد. أطلق هذا الاسم على نجد لارتفاعها. هذا وجميع سكان نجد عرب أقحاح تركوا حياة البداوة وسكنوا قرب آبار المياه. حيث تكونت قرى صغيرة اتسعت إلى أن أصبحت واحات في قلب الصحراء.

ونجد قليلة المياه لابل معدومة إلا في بعض المناطق كالقصيم والخرج. أما في بعض المناطق فإن المياه تغور أحياناً، ولا سيما إذا قلت الأمطار وتجدب الأرض فتكون الفاقه والمجاعة. ويضطر بعض الناس إلى السفر خارج نجد طلباً للرزق خصوصاً بعد انتهاء فصل الربيع ودخول فصل الصيف وعندما ينتهي فصل الصيف ويدخل فصل الشتاء يعود المسافرون إلى وطنهم.

وقد ترك حميدان الشويعر بلدة القصب وتوجه بصحبة القوافل إلى الزبير آملاً بالحصول على عمل. وعمل حارساً في نخيل البصرة. ثم عاد من البصرة إلى الزبير وقصد وطنه بلد القصب. وهذا الشاعر من شعراء نجد وغير معدود من شعراء الزبير. غير أنه قال قصيدته المشهورة التي يبين فيها حالة سفره من الزبير إلى نجد ماراً ببعض القرى النجدية التي لابد أن يكون قسماً

من أهل الزبير ينتسب إليها. ومن لم يكن منها فهو من قرى نجدية أخرى. ومن لم يكن أصله منحدراً من نجد فهو ليس بنجدي الأصل حتى ولو كان ساكناً في الزبير.

قال حميدان الشويعر:

ظهرت من الحزم اللي بـه … سيد السادات من العشره[١]

حطيت سنام باليمنى … ووردت الرقعي من ظهره[٢]

ولقيت الجوع أبو موسى … باني له بيت بالحجرة[٣]

عليه قطعت دسمال … وبشيت مبقر ظهره[٤]

وحاكاني وحاكيته … واعطاني علم له ثمره[٥]

مايرخص عندي مضمونه … وأقول بعلمه وخبره

(الزلفي) فيه زغيوبه … أوي دحوش بجزره[٦]

وأهل (مغيره) ما بهم خيره … وأميرهم ذاك القذره

من قابل (خشم العرينه) … فالخاطر منقول خطره[٧]

ومن قال أنا مثل (سليمان) … كرم السامع يا كل بعره[٨]

---

(١) الحزم: المرتفع من الأرض. سيد السادات من العشرة: الزبير بن العوام (رضى).

(٢) سنام: يجعله المسافر من الزبير إلى نجد بيمناه (الرقعي) ماء مشهور في وادي الباطن.

(٣) كنى الجوع والفقر بأبي موسى لأنه يحلق كالموسى ولا يبقي شيئاً (الحجرة) موضوع مشهور.

(٤) الدسمال: الرداء وهي كلمة هندية. (ديسى مال) أي صنع وطني وهو من المنسوجات القطنية اليدوية الخشنة والبشيت تصغير بشت (المشلح).

(٥) العلم: الخبر.

(٦) الزلفي من بلدان نجد المشهورة وأهلها يحترفون الجماله (النقل على الجمال) وحميدان صاحبهم في رحلته هذه وهو قميء قصير حقير الظهر فجعلوه اضحوكة لهم يتنادون عليه والرغيوي المكار (العيار) والدحوش جمع دحش الذي فيه جفوه غلظة (جزره) قرية من قرى الزلفي.

(٧) خشم الجبل: رأسه والعرينة جبل شمال بلدة الغاط، الخاطر (الضيف) منقول (محمول) أى كل من يشاهد رأس جبل العرينة من الضيوف فهو سالم من الاخطار.

(٨) سليمان: هو سليمان السديري من البدارين من قبيلة الدواسر المعروفة وهو مؤسس بلدة الغاط وأميرها ومن ذريته الأمير أحمد بن محمد السديري جد جلالة المرحوم الملك عبد العزيز آل سعود وجد الأمراء آل سديري وذلك أن حميدان خرج من الزبير مع قافلة أهل الزلفي ومنها خرج وحيداً على جمله قاصداً الغاط وجلس في مضيف سليمان السديري وكان حميدان يومئذ فتى قميء غير معروف وسأل العبد عن وجود ذاهب إلى المجمعة ليسايره راجلاً ثم أخبره بقصته فأخبر العبد مولاه سليمان بما جرى على حميدان وانه نهب بقرب (العرينة) والعرنية حمى سليمان فأرسل إلى كافة البدو الموجودين بالغاط فحبسهم وأرسل إلى أهلهم ان يردوا جمل ضيفه والاقتلهم به ولم يزالوا به حتى انصاعوا واتوا بالجمل وسلمه إلى حميدان.

(والخيس) بوليد مسقى ... خبيب لاجي له بوعره

(والفيحا) ديره (عثمان) ... مقابلها ديار الزيره[1]

وأهل (جلاجل) نعيميه ... ورا الباب ما من ظهره[2]

وأهل التويم رأس الحيه ... من وطأها ينقل خطره

وأهل (الداخلة) النواصر ... خاطرهم مقطوع ظهره[3]

(ابن ماضي) راعي (الروضة) ... يأخذ منهم ربع الثمرة[4]

(وابن نحيط) راعي (المضون) ... الداشر رضاع البقره[5]

(وأهل الحوطة) وقصراهم ... .[6]

وأهل العطار عرينات ... أهل يقطع ذيك الشجرة[7]

وأهل (العودة) عند الندوة ... عدو خيك وعد عشره

وأهل (عشيرة) منيعات ... أوي رجال يذيك (الظهره)[8]

وأهل (تميم) قريريشة ... ما شال العير شال ظهره[9]

---

(١) الخيس من قرى سدير (بوليد) تصغير فولاذ (مسقى) مقتن بالسقي لقوتهم ومنعتهم وصغر الفولاذ لقتلهم وشبههم بالضبيب تصغير كتصغيرة الفولاذ اللاجي بالصفا فلا يحفر غاره.

(٢) الفيحاء يريد بها (المجمعة) عاصمة سدير اليوم وعثمان هو ابن مزيد أميرها وديرة الزيره يقصد بها (حرمه).

(٣) جلاجل من بلدان سدير (نعيميه) مترفون.

(٤) النواصر من بني تميم وأهل الداخلة في روضة سدير والحقيقة انهم لم يكونوا دليلين فى دفعهم ربع الثمرة لابن ماضي وما كان ابن ماضي ظالماً لهم وذلك أن الروضة كلها كانت ملكاً لآل ماضي فأخذ النواصر الداخله بالمغارسه بالربع ولكن حميدان صاغها بهذا القالب لغرض في نفسه.

(٥) وصفه برضا البقرة اخفاءً لصوت الحليب من البخل.

(٦) الحوطة: حوطة سدير (لا حوطة بني تميم) قصراهم جيرانهم وقد ترك الشطر الثاني لشهرته

(٧) العرينات: فخذ من قبيلة سبيع

(٨) المنيعات: من أولاد المنيعي فخذ من بني عمرو بن تميم

(٩) قريريشة: تصغير قراش وهو الحطاب أو الحشاش وما شابهه من المهن ويصفهم بأنهم حمالون.

بديوي الوقداني

من قبيلة وقدان التي تسكن ضاحية (نخب) بالطائف. خرج هذا الشاعر في عصره حاملاً لواء الشعر. إذا غرد أسكت البلابل. وإذا غنى أطرب المحافل فارس الميدانين. القريض و(الحُميني) مدح وجهاء عصره ونال جوائزهم كان في بدءِ أمره مشهوراً بنظم (الحَميني) ثم قرأ قليلاً من النحو والآدب. فنظم القريض وأجاد فيه توفي سنة ١٢٩٦هـ.

وهذه قصيدة شعرية من غرر الأشعار. كل كلمة فيها درة ثمينة حوت النصائح الغالية والحكم العالية.

استمع إلى بديوي في التحذير من الدنيا وأهلها المتكالبين عليها. وتسليته عن الفقر بصحيح الإيمان والقيام بحقوق الجار والعاني والأمانة والتزام الصبر والعزم يقول بدوي الوقداني:

دنياك هذي كلها هز قاووق ... ما تعرف الصاحب من اللي معاديك

وأكثر كلام الناس بالمكر والبوق ... يهرج معك وليا تقفيت يرميك

المال دايم صاحبه مرتفع فوق ... والقل خايب لو ترفعت يرخيك

عزي لمن دور لها عند مخلوق ... إما وراك ولازم انه يلاقيك

يا عبد هون كل مطرود ملحوق ... لا تشتحن لك رب ما هو مخليك

اللي جعل لك روح جاعلك مرزوق ... كما تكفل بك من الخلق كافيك

يعطي وباب الرزق ما هو بمغلوق ... وليا طلبته وانت محتاج يعطيك

الرزق له حبسه وله وقت مطلوق ... ون مت ظل عند قبرك يناديك

والموت جايك لو تقع جوف صندوق ... دع عنك مابك من حذر لا يعنيك

لا تشتغل بالمال ترى المال ممحوق ... ما مالك إلا ما تمده أياديك

إن كان مالك يا فتى ضيق السوق ... تراه عند الموت ما هو منجيك

الجار والعاني لهم شروط وحقوق ... والضيف واجب تكرمه يوم يلاقيك

وإن كان تبي تأخذ المدح مطبوق ... خلك مشمر دون ضيفك وعانيك

صون الأمانة واظهر الهرج بصدوق — ولا تعاشر صاحب البوق يعديك

لا تصحب الخاين ولا تامن النوق — ون لاح براق الحيا عذرت فيك

والدرب لا تامنه لو كنت مرفوق — إلا بحد في يمينك يباريك

اترك طريقة كل عاشق ومعشوق — ترمي بروحك في الشرك ثم يرميك

والكلب ما يتبعك لوتلبسه طوق — ولا خلاخيل الذهب ما يراعيك

والصبر تغلب صاحب العزم يا شوق — والعزم طيب مير حزات يرميك

واقزح ليامنك عن الشر مدروق — واحذر صديقك واحدر اللي يواليك

من هاجس يطمي كما بحر صافوق — احذر على القلب الشقي يوم يطريك

الشريف بركات

الشريف بركات بن عبد المطلب من شعراء أواخر القرن العاشر وأوائل الحادي عشر. فهو من اشراف مكة الذين يقولون الشعر. وأن وصيته لابنه مالك الآتية في هذه القطعة الشعرية الرائعة. وصية أب مشفق ترمي بجانبها كل الوصايا والعلوم التربوية التي اتعب علماء النفس والتربية أنفسهم في تدوينها وهكذا يربي الآباء أبناءهم وإلا فيا ضيعة الأبناء.

يقول الشريف بركات:

يا الله اللي كل الأمات ترجيك — يا واحد ما خاب حي ترجاك

يارب عبد ما مشى في معاصيك — ولا يمشى إلا في محبتك ورضاك

يا مرحب بالصبح ظليت باديك — ما واحد قبلي خبرته تعلاك

وليت يا ذا الدهر ما كثر بلاويك — الله يزودنا السلامة من اتلاك

ياللي على العربان عمت شكاويك — وليت يا دهر الشقاول مقواك

واليوم ها الكانون غادٍ شبابيك — تلعب به الأرياح من كل شباك

يا مالك اسمع جانتي يوم اوصيك — واعرف ترى يابوك بأمرك وانهاك

وصيةٍ من والد طامع فيك — تسبق على الساقه لسانه العلياك

أوصيك بالتقوى عسى الله يهديك — لها وتدركها بتوفيق مولاك

الله برب أجدادك الغر يعطيك — مرضاته مع ما تمنى من امناك

احفظ دبشك اللي عن الناس مغنيك — اللي ليابان الخلل فيك يرفاك

واعرف ترامكه ولا ها بناخيك — لو تشحذه خمسة ملاليم معطاك

اجعل دروب المرجله من معانيك — واحذر تميل عن درجها بمرقاك

لا تنسدح عنها وتبغيني اعطيك — جميع ما يكفيك ما حاصل ذاك

ادب ولدك ان كان تبغيه يشفيك — ون ضاقت امه لا تخليه يا طاك

اما سمحج واستسمحك عند شانيك — ويفر من فعله صديقك وشرواك

ولا بعد جهله تراهو بياذيك — لو زعلت امه لا تخليه يالاك

واحذر تضيع كل من هو ذخر فيك — معروف لا تنساه واوفه بعرفاك

تر الضايع بين الاجواد تشريك — اليا طمعت ابغرسها لا تعداك

واحذر سرور أبغيه البحر يرميك — ولا عنده افلس من تشكيك وابكاك

واوف الرجال احقوقها قبل توفيك — لا توفه بالقول فالحق يقفاك

وهرج النميمة والقفا لايجي فيك — واياك عرض الغافل اياك اياك

تبدي حديث للملا فيه تشكيك — وتهيم عند الناس بالكذب واشراك

واليانويت احذر تعلم بطاريك — كم واحد تبغي به العرف واغواك

واحذر شماتت صاحب لك مصافيك — وليا جري لك جاري قال لولاك

ولا تحسبن الله قطوع يخليك — ولا تفرح ان الله على الخلق بداك

الضيف قدم له هلاجين يلقيك — ومما تطوله يا فتى الجود يمناك

احذر تلقى الضيف مقرن علابيك — خله محبٍ لك صديق إذا جاك

واوصيك زلات اصديقان عفافيك — مازال يغطاها الشعر فاحتمل ذاك

راعه ولو شفت انه ما يراعيك ... عساك تكسر نيته عن معاداك
واحذر عدوك لو ظهر بي يصافيك ... خلك نبيه وراقبه وين ما جاك
لا تامنه واطلب من الله ينجيك ... ويكفيك ربك شر ذولا وذولاك
شفني أنا يا أبوك بأمرك وانهيك ... عن التعرض بين الاثنين حذراك
إذا حضرت أطلابه مع شرابيك ... اسع لهم بالصلح والـلاش يقداك
ابذل لهم بالطيب ربك ينجيك ... ولا تجضع الميزان مع ذا ولا ذاك
أا الشهادة فأدها ان ادعو فيك ... بين عمود الدين لا عميت أرياك
بالك تماشي واحدٍ لك يرديك ... طالع بني جنسك وفكر بممشاك
رابع أصيل في زمانك يشاكيك ... لا شاف خلاتك عن الناس غطاك
واحذرك عن طرد المقفي حذاريك ... عليك بالمقبل وترك اللي تعداك
ثم اللعن الشيطان لياه يغويك ... ترَ ان تبعته للشرابيك وداك
وأوصيك لا تشكي علينا بلاويك ... انت السبب طرفك أعيونك بيمناك
واعرف ترَ اللي وطا واطيك ... واحذر تكلم يا لساني حذراك
والطف بجارك وقم من دون عانيك ... وافطن لما يعنيك عن ربعة أخواك
يا ذيب ون جتك الغنم في مغاليك ... فاكمن الين ان الرعايا تعداك
فيما مضى يا ذيب تفرس بياديك ... واليوم يا ذيب عن الفرس عداك
يا ذيب عاهدني وعاهدك مرميك ... مرميك انا يا ذيب لوزان مرماك
والنفس خالف رايها قبل ترميك ... ترَ لها الشيطان يرمي بالاهلاك
ومن بعد ذا لا تصحب النذل يعديك ... وعن صحبة الانذال حاشاك حاشاك
ترا العشير النذل يخلف طواريك ... وأنا أرجي انك ما تجي دون اياك
والقهوه انك ما تجي دون اهاليك ... ولا أظن عود الورد يثمر بتنباك
والحر مثلك يستحي يصحب الديك ... وان صاحبه قافا مقاقاة الادياك

لا تستمع قول الطرف يوم يلقيك ... بالكذب يقضي حاجته كل ما جاك
من نم بك ولا فيه تشكيك ... والياه قد زرى رفيقك وزراك
عندك حكى فينا وعندى حكى فيك ... وأصبحت كارهنا وحنا كرهناك
ما أخطاك ما صابك ولو كان راميك ... واللي يصيبك لو تقيت ما اخطاك
مير استمع مني عسى الله يهديك ... النصح يا مالك لك الله المولاك
عندي مظنه ما تمثلها فيك ... واطلب لك التوفيق من عند مولاك

الخلاوي

راشد الخلاوي من أقدم الشعراء البدو. ولكن لا يعرف بالضبط مولده أو وفاته وكل الذى نقدر أن نقوله أنه عاش في القرن التاسع الهجري لأنه كان ملازماً (لمنيع بن سالم بن عريعر) أحد شيوخ الإحساء ورئيس الخوالد وقد عاش هذا الأخير في ذلك القرن. والمعروف أن هذا الشاعر من قبيلة (صليب) وقد كان عالماً بمواسم الأمطار ومواطن هطولها مُلماً بعلم النجوم ومواقع البروج والفصول الأربعة وهبوب الرياح.

والخلاوي لقب لحقه لانه كان يجوب الفيافي (خلاويا) أي وحيداً يمتاز شعره بالمعنى الرصين والحكم وبعض الآراء الفلسفية البسيطة. لذا كان شعره مرغوباً عند الناس ولولا ذلك لما بقي لنا من شعره شىء لطول المدة بيننا وبينه ولو لم يقل في مطالع قصائده (يقول الخلاوي والخلاوي راشد) لتعذر علينا أيضاً نسبة هذه القصائد له أو لغيره.

وهذا مقطع من قصيدة لراشد الخلاوي:

يقول الخلاوي الذي ما يكوده ... جديد البنا من غاليات القصايد
قايد لابد الردا تستفيدها ... لا زاغريم الروح للروح صايد
لعل الذي يروونها يذكروني ... بترحيمه تودع اعظامي جرايد
أوصيك با أولدي اوصاة تظمها ... إلى عاد مالي من مدا العمر زايد
وصية عود ثالثة رجله العصا ... وقصرت اخطاه من عقب ما هي بعايد

يبديك بالغالي على شف نفسه … شفيق من أيام الدخا عنك ناشد
لا تأخذ الهزلا على شأن مالها … ولا تقتبس من نارها بالمواقد
لا تأخذ إلا بنت قوم حميده … عسى ولد منها يجيب الحمايد
ايجازي الراعي الحساني بمثلها … ويجازي الراعي النكد بالنكايد
ولا تنجي بخصله ما ابها لك ذرا … ولا تنزل إلا عند راعي الوكايد
ولا تخيب المنيوب إلى جاك عاني … وإياك يا ولدى ومطل الوعايد
أبيك اتسوى بي اسواتي بوالدي … وأنتا على غيره بري الزوايد
فلي من جديم العمر نفس رفيعه … اعض على عصيانها بالنواجد
جد الزمتها ما كان خوف الى بقا … على من أيام الردا ان تعاود
فيا طال ما وسدت رأسي نكاده … من خوفتي يعتادلين الوسايد
فمن عود العين المنام تعودت … او عود العين المسارى تعاود
ومن عود القوم المناعير مطمع … تلو بالانضا والجياد العدايد
ومن عود الصبيان اكل ابيته … عادوه في عسر الليالي الشدايد
ومن عود الصبيان ضرب بالجنا … نخوه يوم الكون يابا العوايد
ومن كثر الطلعات للصيد ربما … يوافيه عرات يجي منه صايد
الأيام ما بقا منها كثر مامضا … والأعمار ما اللي فات منها ابعايد
نصر الليالي والليالي تعدنا … والأعمار تفنا والليالي ابزايد
إلى دقت الوسط الحزام تذكرت … زمان مضا ما هو لمثلي بعايد
فلا بد ما سحم الظهور اتحوفني … بليل ولا لي عن لقاهن بزايد
ويمعشن هبر من الظهر كنه … خبايب افعى بين حدب الجرايد
فقلت العواد منا هاشل الخلا … إلى جو يدزون المطايا البلايد
فيا عيد يا عواد إن شاملت بكم … أكبار الهوادي ناحلات المقاود

كفرق القطا صفر الحلاقيم ساقها … سموم من الجوز اكحامي الوقايد
وجزت الدياميم الذي مد لهمه … وطيرت بالظلما اقطما اللوابد
على عيد هى أو على عيد هيه … حداكم ما بين النجيرين قاعد
بتيه يسل القيظ فيها اسيوفه … على الحي الا الجازيات الرواغد
بها القوم تقتسم الانطاف على الصفا … لا يبست الصملان الازهايد
يزيد نجيب الخال فيها جلاده … وتزداد فيها اللايمات الجلايد
إلى ما لفيتوا بالمطايا تقيدوا … لدا من تقا راياتها بالحدايد
فعجلي بها لا عاقك الله بالنيا … فحبل المنايا للبرايا قلايد
تفكر يا ميمون في ربع ومنه … خلا ربعها من حين يا ابن قايد
دار لكن الحي ما اوقفوا بها … ولا شببوا فيها جحيم الوقايد
شمالي اعطاف النقا من تقيد … سقاها الحبا سيل الرعود الشواهد
وقل يا لياليا القدام التي مضت … بالإقبال هل لي في لقاكم عايد
قل الله قد شفت الضخي ابن سالم … منيع ومن حاش الثنا والغوايد
تطاوحته الأيام لين أودعته … يشد على ثلب قصيف البدايد
يشد على ثلب وهو كان قبل ذا … على ظهر الجد عايدود الغوايد
وهو كان في ما جد مضى من زمانه … جميل الثنا من حامدات وحامد
وهو عجيد الركب لولاه ما غزوا … ولا نسفوا بكوارهن الجواعد
ودليل عوض الناجيات الى اختفت … معالمها والنابيات الغرايد
والى بغي يمضي على العزم وانتوى … أخذ رأي ألف وانتقامنه واحد
يا طول ما رد بهم جاهليه … يفجي الشبا عن كوكب ماه بارد
قل ما منيع كاسب الحمد والثنا … الى ما القنا الوت عليه المطارد
يا ابن الندا وجالي الهم ان طووا … على عد من بعض الجلاعيد صايد

ابزرقا لأهلها ماطها ها وساقها   مع الحكم نقض من بنان وساعد
فمن مغجبات الشيب في لمة الصبا   الى ما لفا من دمعة السو زايد
قل الله لي من رمعه يا ابن سالم   لها حادر قلبي اهموم وصاعد
لفاني بها لا ساعد الله ركبه   الى ساعد الركبان مع من يساعد
على شان سلطاني عقيل كميتها   زمان القسا يشفي قراه الولايد
سريع القرا للضيف في ليلة الشتا   وعبد المقاوي سيد الناس ماجد
قوي أوساع السمط في كل مسغبة   تعادا بها نسل القيام الولايد
ذوي من يلبي الضيف في مد همه   من الليل والما في مغانيه جامد
يقوم ابها عن مجضع الليل منتون   ذنجه اسهان عن لقاح الجلاعد
يهلي بضيفه بالنيا حينما لفا   عن العذر دون اللوايا الزهايد
منا خاطر الظلما ولا يد لاكنها   اعضاب من اثار السيوف الحدايد
فمن عاش بالدنيا يرى يا بن سالم   كريه الليالي والأمور الشدايد
ومن ساعدته الأيام ادجن حبله   وينقضن في حبل الذي ما يساعد
كفا الله ذاك الوجه نار من اللظا   بحق المصلي والدعا في المساجد
يا من غزا من حرة عامريه   سماويه نمرا الذراعين صايد
الى اضربت ما تضرب إلا امتونها   بيوم على منصاه للصيد جالد
وليس يعطي بالايادين صيدها   ولو عضنا دهر بنات وناجد
سوا عندها ما راتع أو مذير   أو ما يثنازا بالحزوم البعايد
في ميمر يا طال ما صبح العدا   على الهجن والخيل الجياد العدايد
يعنها للضد ثم أريدها   بالارسان كره والنضا كالجرايد
بشر دبيلا شر من صبح العدا   حفايا ومنها ناقصات البلايد
يتلن كالقناص يوم جرا له   هموم ويوم راج فرح وصايد

لاكنه على ميرادها حين يعتدي   على الضد من بين الفجوج البعايد
قطامي فتا يا طال ماناش نوشه   بلج الهوا في مرهفات الحدايد
ترى الثنايا يا ابن اكليب على الفتى   امكاد كما بالعين شوك الكتايد
فلا واخليلي الذى يعطي الغنا   وخلف العطا منه الرجا بالوعايد
ترا ان كان جد ماتوا فيا طول ما ملو   مزاود ضيوف من جراه القواصد
وان كان هي مالت فياطول ما ملو   ابطون اليتامى في السنين الشدايد
اوي صبح كرمته حد جوعه   تعادا بها سمح الوجوه الولايد
يثور عمود الصبح ما شيل فضله   ذا صادر منها وهذاك وارد
بجوزيه ما يبرح الضيف فوقها   كما الثاقب المنفاد بين البدايد
فقولو لبيت الفقر لا يامن الغنا   وبيت الغنا لا يامن الفقر عايد
ولا يامن المظهود قوم تعزه   ولا يامن الجمع العزيز الظهايد
واد جرى لابد من الحيا   ان ما جرى عامه جرى عام عايد

ومنها:

متى ما الثريا مع سنا الصبح وايقت   على كل خضرا علقت بالسنايد
من عقبها فرخ كما نجم مثلي   على الشوف تبليها بمشيه ايمايد
بوارح الجوزا ربت فيها بسرها   تخالف الألوان بين الجرايد
الى ظهر المرزم شبع كل كالف   من الفين ومحن الليالي الشدائد
نجم الكليبين الذى يرشف الجسم   يفور فيه ماء العيون الوكايد
والى مضى عقبه ثمان مع رابع   الخامسه طالع اسهيل يحايد
تشوفه كقلب الذيب يلعج ابنوره   امويج على غراة حدب الجرايد
الى غابت النسرين بالفجر علقن   مخاوف من بين عوج الجرايد
والى مضا واحد وخمسين ليله   لا يا من الما من خفوق الرعايد

غـذا القيظ نحن السبـايـا ولا — من الضيف لا مـرجفات العلايد
مـن لا يسجي كنت القيظ زرعـه — فـهـو مفلس مـنـه لـيـالي الحصايد

ومنها:

وصـلـوا عـلى خير الـبرايـا محمد — مـا نـاح ورق فـوق حـدب الجـرايد

(وليست هذه القصيدة هي كلها وانما جزء منها لأنها على ما يقال تتجاوز الألف بيت ولكن مالا يدرك كله لا يترك جله) وقد أخذت هـذه القصيدة (قصيدة راشد الخلاوي) من كتاب الشعر عند البدو - تأليف شفيق الكمالي وزير الثقافة والإعلام الحالي في العراق ...

شاعر نجد الكبير

محمد العبد الله القاضي

الشعراء كثيرون وكثيرون ولكل شاعر منهم ميزه يمتاز بها على غيره في ضرب من الضروب الشعرية كالهجاء والفخر والمدح والوصف والغزل إلى غير ذلك ولكن شاعراً واحداً سنسأله من بينهم لنتحقق معه في أحد نواحيه الشعرية الهامة ثم نرجعه. ولكن لا الى مكانه لنجعله في المقدمة. ذلك هو الشاعر الكبير محمد العبدالله القاضي الذي غرد في نجد وفي غيرها زمناً ثم صمت ليسمع الناس صدى صوته المتردد. عاش القاضي زمناً ولم يكن له في وقته من يضاهيه من الشعراء في جزالة اللفظ وسهولته وبداعة الأسلوب واندفاق المعاني المعبرة عما يلوج في صدره ويخالج ضمره وأن ناحية واحدة من نواحيه الشعرية المتعددة كافية بجعله في طليعة الشعراء وهذه الناحية هي الوصف لأنه فيه أشعر منه في غيره. وما قصيدته في وصف القهوة وطريقة صنعها الا نموذجاً رائعاً لو صفياته. ووصفه الموت ومنكر ونكير والحشر ما يشعرك بإنما وصفه شيئاً مرئياً وملموساً. وهذا دليل على قوة الانسجام بين التفكير والتعبير. ويعتبر هذا الانسجام عند علماء اللغة ملكة بلاغية نادرة يقصر الكثير من شعراء زمانه عن امتلاكها. فإذا وجب علينا أن نجعله في الطليعة ولك أيها القارىء الكريم أن تطالع أشعار القاضي ومقدار رأينا فيه قبل إصدار حكمك.

عاش محمد العبدالله القاضي في بلدة عنيزة في القصيم من نجد وهو من آل قاضي المعروفين في عنيزه توفي سنة ١١٨٤ هـ رحمه الله.

يقول القاضي في الوصايا والحكم:

إلى ابصرت بالدنيا تكدر لي الصافي — وتعذر زماني ما حصل صاحب صافي
افيض عليه أسرار ما التج بالحشا — وكـل شعيب لـه مفيض ومعطافي
ومـن عـاش ماله في زمـانـه امنادم — تجـرعـها رايـه عـلى جـال مهيافي
تخير مـن اجـنـاسـك نـديـم تـوده — وثـيـق عميق يفهم الـعـلم عـرافي
يحتمل زلاتـك ويـصرك مـا حفـا — للقلب دربـيـل لـلابـعـاد كشافي
ولازم على الخل القديم ولـو شهر — واصبر ولو بان الجفا لك والانكافي

ترى ذخاب الذهن صحبتك لحمق   يجوز يطغا جهله على حلمك الوافي
وتراشور من لا يستشيرك   كما وصف من ينفخ بكير وهو طافي
ومن اغتنى برأيه عن شور ناصح   تندم ويكشف له الى شاف ما شافي
ومن خاطب الجاهل فهو مثل من كشف   وجهه وقابل به عواصيف الاصيافي
ومن لبس ثوب الكبر ما صان عرضه   ولو مطر جوده على الناس هتافي
ومن شال حمل الزوم كان امتحانه   ولا حمل الله عاجز حمل الاسرافي
ومن طاول اطول منه ما استر ساعه   يجاهد جنود وينقسم رأيه انصافي
وتدخلك بأمر ما يعناك جهاله   وتبريك من عانيك يلزمك به وجافي
وباشر هل المعروف منك بتواضع   وأهل الشر باشرهم بشر وتستافي
وتر اللئيم ان لان منك جانب   توطاك يوري انه يجافي وينخافي
والعوشزه على النيل ما أثمره   يورد ويبقى الشوك والغصن غريافي
وكم جاهل صور على غيره القضا   يجرم بفعله مسلم غافل غافي
وكم بخيل تفرش الناس ماله .   وهو منه محروم على نفسه اتلافي
كما ابره عريانه دب دهرها   وهي تكسي المخلوق من قمش الضافي
والمال له حق حلاته مع الفتى   يضرب المجرم ويبذل لأهل الانصافي
وإياك لا تقصد لئيم الحاجه   ولو هي بكفه حال دونها جبل قافي
وجلوسك مع أهل الفهم مما يفيدك   ومع البهايم ينطبع قلبك الصافي
ولا تبدي الرقه الى رمق همة   تراجف بها الصافي ويفرح بها الجافي
فالى رمت امراً فاكتم السر والتزم   بقوى العزا والعزم والحزم لك وافي
ترا صاحب التسويف مدرك مرامه   يفوته وهو يذري على رأسه السافي
ومن عاش يزرع بالتماني رياضه   يحصد الهوى وبواقي الغبن يستافي
وترا دمار العمر ذلك بديره   ولو تربة ارضه تنبت اللولو الصافي

والعز لو في راس حزم ترومه   لكنك في جناتها مرغد صافي
ومن شاف في الدنيا قبول كمت له   بخيل مغاوير وجيش له اردافي
ومن رامها عشق وغلافي ودادها   خير امنها تناكير واعيافي
ولا تكرب لامر تقدم همومه   تراصعب الأشياء تعترض لك بالاصدافي
فالي اشتد حبل وصار سوترا الفرج   قريب بألم نشرح دليك وهو كافي
وبين افتراق الليل والصبح قد حدث   يسر بعد عسر الأيام زلافي
ابرم دواليبك بالانساب ربما   توافق مفاتيح للاقفال وتوافي
ومن رام صعاب المشاكل برايه   ادرك بها اشيا ما بنا له بالاسيافي
وألزم عقول أهل التجارب واجتنب   بالارياعما رأى مع الخوف رجافي
وانا عن معاني كل ما قلت عاجز   اسراج الغير محرق روحي اتلافي
ركنت نفسي للهوا يوم لي به   هوا وشفي فيه مياس الاعطافي
فيلا افزغت نفس الغريم من الهوا   فلا ينفع للسكين تذكير اريافي
خدمت القلم والطرش للشوق مصخر   يعفي الشرفات القوافي على القافي
صدرت ولا نفع الفتى ذكر ما مضى   الى عاد من طرد الهوا معطي جافي
كذا البدر يوضي في ابراجه الى انتهى   ويكشف ويصحي صافي يوم الانصافي
صلاتي وتسليمي على اشرف الورى   عدد أضا برق بالا لآفاق كشافي

وللقاضي في حساب العام من البروج والمنازل والنجوم:

سبك لك أنجوم الدهر بالفكر حاذق   حوا واختصر مضمونها بأمر خالق
تر أول انجوم القيض سبع رصايف   كما جيب وضحا ضايع الشبك دالق
أول تقل شاخ والتويبع تبيعها   في برجها الجوزاء كما الدال دانق
يرقع بها عاهات الأثمار وعشيها   يغذي من سموم الحر مثل الحرايق
سته وعشرين بها الظل بسطه   نهاية قصر الليل عشر ودقايق

عقب تطلع الجوزا كشلفا سعالها … نظيم تلالا كالداري لواهق
تبرا لها الهقعه وبالهنعه انتهت … تهت السمايم فيه والظل سابق
ستة وعشرون السرطان برحبها … يصلح بفصله كل حلو وحاذق
ويظهر اذراع الليث هو المرزم الذي … كما مشغل الساري بنوره تشاعق
يرفف بنوره كل ما بان واختفى … كما عين عمهوج غنوخ لعاشق
وبين لك نجم الكليبين بعده … هي النثر وصفها كالعيون الروامق
دليل على ظهر الكليبين اماره … اذا غربن عنه النسور العتايق
رياح وسموم وقيل تظهر به آفه … لبعض الثمار وبعض الاشجار صافق
سته وعشرين ترا الليث برجهن … يقف كدورة خاتم بيد مايق
بنشر اقماش الجوخ والصوف لا يقع … به الدود في مثنى مطاويه خارق
ومحسوبه أربعة النجوم بنجمه … مع الجبهه الزبره لها الصرف لاحق
وإذا مضى منهن ثلاثين ليله … تواسى نهاره هو وليله مطابق
وعشر ويبدي المزن ينشي مغرب … كما افتر ديدان حداهن سايق
واثنى عشر باقي سهيل وبعدهن … تظهر انجوم الوسم صم الحدايق
اثنين وخمسين ترا انجومه أربعه … اولهن العوى كما اللام لاهق
والسماك مع غفر كما القوس وصفه … وزباناه نجمين كرمح امعانق
تكثر عواصفها بها الظل سبعه … وعن العضد والمسهل نهونا الحواذق
به قطع الأشجار والاثل والنخل … يصلح عن القادوح والدود عالق
ويطلع لك الإكليل والقلب وشوله … هي المر بعانيه للأوراق اماحق
تسع وثلاثين إذا فات ثلثهن … نهاية طول الليل بالقلب فارق
وبروجهن بالقوس والجدي ينبي … كثير به الماطر حقوق البوارق
يقف ظلها عن سبع الاقدام زايد … به البرد دخانه من الجوف عالق

وتبدى النعايم تسع نجمات سبكها … تاسعهن مرتفع عليهن وشاعق
نجمين يسما السماكين وبعضهم … يسمونهم الشبط بالبرد عالق
ترا بروجهن بالدلو والظل سبعه … ومحسوبهن ستة وعشرين شارق
بهن يظهر الهدهد والأشجار كلها … تغرس وتجرى الماء بالعود سابق
وتطلع سعودات النجم الثلاثة … وهن القارب بعض الخلايق
فالذابح نجمين كما الألف وصفه … بجنب العلو نجم شمال ملايق
وسعد بلع نجمين بالعرض وافتخر … إلا على والأسفل به الكبر فارق
وسعد السعود يشابه الذابح إذا بدا … ترا انوارهم النجم الشمالي مشارق
فالورد والرمان والخوخ يورق … بالاول ينضي تين غض المطارق
والثانية هي آخر البرد ومبتدا … ربيعه مع أنواء الصيف والعرق عالق
وبالثالثة تورق الأشجار كلها … وتزهر رياضين بها البرد خافق
عدل الزمان بليلها مع نهارها … تواسن براس الحوت فصله موافق
فالأسعده تسعة وثلاثين ليلة … الأول برأس الدلو والحوت لاحق
ويطلع لك نجمين الحميمين واسمهن … الاخبيه ثم المقدم يعانق
سته وعشرين ترى الحمل برجهن … فيه الدوا والفصد والحجم لايق
ويظهر لك الفرع المؤخر مع الرشا … نجمين لهن اسم الذراعين عالق
وصف الرشا سمكة أنجوم زواهر … وحادي عشر نوره عليهن فارق
بآخر برج الحمل والثور ظله … قدم وهو فصل الربيع الموافق
وأعدادهن ستة وعشرين ليله … يوافق بهن غرس الشجر والحدائق
ويظهر لك الشرطين كالألف به ميل … ثلاث نجمات حداهن غافق
ويظهر عقب هذا البطين أنجومه … ثلاث كنقط الثاء صغار خوافق
بآخر فصل الصيف يصلح به الدواء … وقصده وحجمه هايج الدم دافق

فالشرطين والبطين نجمين ظلهن   قدم وهـن ستة وعشرين فالـق
يسد الخلل من شاف عيب وختمها   صلاة على المختار مـا ذر شارق

وللقاضي في الحكم وهو في أخريات أيامه:

الصبر محمود العواقب افعاله   والعقل اشرف ما تحلا به الحال
والصمت به سر سعد من يناله   والهذر به شر وشوم وغربال
ولا خير في اللي ما يصدق مقاله   فعل بحالات قصيرات وأطوال
وشر أفات الفتى البخل بماله   وشر منه المطل في كل ما قال
البل معلوم بالأيدي عقاله   والخيل تزلج بالشبيلي والأقفال
والرجل بالواجب السانه عقاله   الى قال علم تم لو حال به حال
والمال كثره عار الى بقى له   فضل ومعروف الى نال ما نال
ومن جاد جده صار ضده افعاله   ومن سائت أخلاقه افراقه هو الفال
ومن لا يفارق موضع الهم غاله   (فالقهر مثل السيف والحيف قتال)
ومن هاش حاش المرجله والشكاله   ومن ذل ذل وكل من حل يقتال
ومن جاد ساد ومن يشح بحلاله   مدرك مرامه لو صعد مصعد عال
والفقر هدم من برأسه صعاله   والجود من الماجود هو ثار بعقال
ولا يفتخر من جاد جده وخاله   هي بالهم لا بالرمم مثلما قال
ومن قلب الدنيا برادي الحاله   أخطا وصاب له دليل بالأقوال
كم خير ما نال فيها سواله   وكم ثور هور ساعفت له بالإقبال
وكم عاقل به حاذق رأس ماله   عقله وكم بهلول عقله جمع مال
السبع رزقه من جيفها ختاله   وجند ضعيف مرغد رزقُه اشكال
ومن كور الأشياء بفكره بداله   ضغاين تكشف خفيات الأحوال
وأن قال رجل في عيوبك فماله   وزن ثقل عقلك بعقله بمثقال

وتكشف ضغاين غايته بالرسالة   أو لفظ مرسوله بعنوان ما قال
ويبين لك فضل الرجل بمقاله   الى جا جدال فيه فض للأشكال
فالصاحب الصافي تحمل خماله   يلزمك ولا الضر حده على الجال
وصحا ترا المجفي غدا له   يتعبك والمقبل عطه وجه وإقبال
وترا بوجه اللي يودك دلاله   وصده بمن تكره تراهن بالاغزال
واحفظ أوصاف اللي نزل بالرسالة   واصبر ولا تجزع الى حل بك حال
فالدهر له حال اكتراب وحاله   يتعبك عند العسر في شرب فنجال
كم صيحت ينفك مشكل بحاله   يا حسن منه ما عاد يخطر على البال
وانرمت رأي فاستخر ثم واله   واعزم وزم واجزم على الحال بالحال
كم فات حر منصب ما يناله   وكم حصل العليا غشوم بالاجزال
الى صدر بالرأي والشور قاله   ما طاوع ازدال برأيه وعذال
ومن يفشي اسراره وقع بالجهاله   واعطا العد الزمام عقله وهو عال
والسر له خل وثيق صفا له   نقاض مبروم وبالرأي فتال
الى احتجت رأي من فكر تخاله   يخاطب عواقب كل أمر بالاحمال
ويبصرك بأشياء مشكلات صحاله   يوريك ما صور على صفحة البال
واشك الأحوال لمن تحول بحواله   يسعد ويبصر ثم يشرع لك البال
وهذا وكل من ادعى بالكماله   عمى وتاه بظلمة الليل بالآل
من اغتر بالدنيا فهو من أهباله   ما يعتبر بآجال جولات الأجيال
صولات دولات عصاة مضاله   ملك وحطتهم تواريخ وأمثال
ذهبوا وذهب الحال من له وماله   والحمد وبالمجد يبقى الى التال
والعمر في زايل لا محاله   وفي الحشر ينشر من عمل وزن خردال
فالله تواب مشيب نسأله   عفوه الى نشر الصحايف والأعمال
وصلوا على المختار والصحب وآله   ما التج حجاج بهاتيك الأميال

عبيد العلي آل رشيد

هو الفارس الشجاع والشاعر الحماسي ذو القصائد الحماسية الرائعة عبيد العلي آل رشيد فهو شاعر بقدر ما هو فارس .

نشأ عبيد في وقت تسوده الفوضى والاضطراب فالحروب قائمة في كل مكان من الجزيرة والقبائل تغزو بعضها بعضاً والعبرة بالقوة أما الضعيف فلا عبرة له فمن هذا كان الأفراد ينشأون بين الحروب المتواصلة لا يسمعون غير أزيز الرصاص وقرقعة السيوف ولا يرون غيرh لدماء القاسية تتناثر من الجماجم. ويترعرعون على تلك الأوضاع التي هي أaبه ما تكون بالمدرسة يتخرجون منها كل حسب درجته واستعداده فعبيد نشأ وشب على هذه الأوضاع كما ينشأ غيره فارساً صنديداً وبطلاً صميدعاً وشاعر ملفقاً يقول الشعر ويرسله قطعاً رائعاً في الأسلوب والمعنى وشعره كله على وتيرة واحدة «حماسة وفخر» هذا هو عبيد العلي آل عبيد رشيد من الناحية الشعرية والفروسية. أما ناحيته السياسية فهو من مثبتي دعائم امارة آل رشيد في حائل وساعد أخاه عبد الله العلي آل رشيد المتوفي سنة ١٢٦٣هـ وظن الناس أن الذى سيتولى الإمارة بعد وفاة عبد الله أخوه عبيد ولكن الأخير تنازل عنها لابن أخيه الامير طلال العبدالله آل رشيد الذي توسعت البلاد في عهده وسادت الطمأنينة والرخاء ودام حكمه تسع عشرة سنة إلى أن مات منتحراً سنة ١٢٨٢هـ وفي سنة ١٢٨٥هـ توفي عبيد العلي آل رشيد في حائل بعد أن بلغ من العمر قرابة مائة سنة رحمه الله.

يقول عبيد العلي آل رشيد في وقعة بقعاء:

يا من لقلبٍ بين خمسه وعشرين … هجس هاجوس وعدلٍ ومايل
يدير في دولاب الأفكار تسعين … بالصدر ينثر دقهن والجلايل
أصبحت منهم خالي غير ثنتين … سعدي ومصقول يداوي الغلايل
وخماسي غمق صوابه وجوزين … الياكر بواشخص المهار الاصايل
يا دارنا من جاكِ جيناه عجِلين … بالليل تسري والصفر والقوايل
فان كان هم عنا بالإنشاد مخفين … من الراس ما نحتاج دزالرسايل
ناتي مع أول سريه فوق الالفين … كنا اشهر به ديدحان المسايل
حضر الجبل والبوو ناتي صليبين … يتلوننا جملات سود الجدايل

جينا صباح وهم لنا مستكنين … وثار الدخن من حر صلو الفتايل
حصل لنا عقب المواكل وفا الدين … وراعي السلف ردت عليه الجمايل
من فضل والي العرش عدل الموازين … صارت على القصمان وولا دوايل
عجاجة تجلي صدا القلب يا حسين … دبيلة ما هي بكل الدبايل
كم ميمر راجوا عليه الغلامين … خلوا دماغه عن علابيه مايل
ربعي مروية السيوف المسانين … خلوا صفا (بقعا) من الدم سايل
واللي ذبحت بشذرة السيف تسعين … منهم ولاني عن طردهم بسايل
واللي وطينا ما يشوف المحبين … والكذب تنفاه العلوم الصمايل
جونا يبون ديارنا والبساتين … يبغون منزلهم (قفا) و(حايل)
واليوم يبغونا وحنا معيين … نسند بحد السيف من جاه عايل
ونكس على ربعه بشر (الغرامين) … فيدة عماهم تايهين الدلايل
يصيح مثل البارحة ما هنا شين … ولا حصل له غير قطع الوصايل
يقول جده يوم صولة أهل الدين … قادوه عليه ذاهبين الحمايل
اغراه بالمكحول خرط الفراقين … وعرضاتهم بمشورفات الثنايل
أطاع حكى الذايدي والسلاطين … وقبله لويبان رمي بالحبايل
ناس يبون العز منهم ذليلين … ويش قال مشعال بهم بالأوايل
اللي وفا حق الديار الهزازين … وحنا اليا عدت علوم القبايل
ربع على حرب المعادي ضريرين … ومن مقدم كسابة للنفايل
عندي له اللي يلبسون التوامين … اليا جذبوا شروى بروك المخايل
يتلون ريف الضيف عيد المساكين … الشيخ أبو متعب عزيز النزايل
اليا بغا أمر ما يطيع المشيرين … الحيد شيال الحمول الثقايل
اليا سلم رأسه فحنا عزيزين … ارجيه من معطي العطايا الجزايل
وصلوا على قنديل سكني الحجازين … راعي المقام المعتلى والوسايل
مني عدد ما يشمع اللبن بالطين … أو ما لبيت الله تشد الرحايل

مصادر الكتاب

١	البصرة في أدوارها التاريخية	الشيخ عبد القادر باش أعيان
٢	التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية	الشيخ محمد خليفة النبهاني
٣	تاريخ الكويت السياسي	حسين خلف الشيخ خزعل
٤	عنوان المجد في تاريخ نجد	الشيخ عثمان بن بشر
٥	من هنا بدأت الكويت	عبد الله الحاتم
٦	أعيان البصرة	الشيخ عبد الله باش أعيان
٧	تاريخ الكويت	الشيخ عبد العزيز الرشيد
٨	الإعلام في أعيان بلد الزبير بن العوان (مخطوط)	الشيخ عبد الله بن إبراهيم الغملاس الزبيري
٩	نبذة تاريخية عن نجد	الأمير ضاري بن فهيد الرشيد
١٠	القول السديد في أخبار إمارة الرشيد	سليمان صالح الدخيل
١١	رحلة نيبور من البصرة إلى الحلة	ترجمة سعاد هادي العمري
١٢	البادية	عبد الجبار الراوي
١٣	جزيرة العرب في القرن العشرين	الشيخ حافظ وهبة
١٤	الأمثال العامية في الكويت	خالد سعود الزيد
١٥	معجزة فوق الرمال	أحمد عسه
١٦	المملكة العربية السعودية في حاضرا وماضيها	صلاح الدين المختار
١٧	عشائر العراق البدوية	عباس العزاوي
١٨	ديوان الرصافي (الجزء الأول)	
١٩	من الكويت	سيف مرزوق الشملان
٢٠	سبائك العسجد	عثمان بن سند
٢١	مجلة (العروة) العدد الثاني السنة الرابعة -آذار سنة ١٩٣٩م	
٢٢	الشعر عند البدو	شفيق الكمالي
٢٣	الكويت المستقلة	محمود قلعه جي
٢٤	مجلة (الكويت) العدد (٧٣) تشرين ثاني سنة ١٩٦٥م	
٢٥	منتخبات من الشعر النبطي	
٢٦	الأزهار النادية من أشعار البادية	الجزء الأول
٢٧	الأزهار النادية من أشعار البادية	الجزء العاشر

فهرس الصور

الفهرس